وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: الدراسات اللغوية

التخصص: الدراسات النحوية بين القديم والحديث

العنوان

العدول التركيبي وتطبيقاته في القرآن الكريم

من إعداد

أسماء زيدان

المناقشة بتاريخ**2019/07/18** من قبل اللجنة المكونة من:

أحمد بن عجمية	أستاذ التعليم العالي	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	رئيسا
عبد القادر حمراني	أستاذ محاضر أ	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	مشرفا ومقررا
مصطفى طويل	أستاذ محاضر أ	جامعة حسيبة بن بو علي الشلف	ممتحنا
عبد القادر حاج علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	ممتحنا
أحمد قوفي	أستاذ محاضر أ	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	ممتحنا
عبد القادر بعداني	أستاذ محاضر أ	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	ممتحنا

الموسم الجامعي
2019/2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾

سورة ص، الآية:29

مقدمـــــــــــة

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن. وحبانا بأشرف لسان. والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب. وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين.

تتميّز اللّغة العربية في أساليبها التّعبيرية بسلاسة تركيبية عالية تؤهّلها للتجاوب مع مختلف مطالب الفكر، ونوازع النفس الإنسانية. وهي في طبيعتها الأسلوبية تتمظهر في نمطين اثنين: أحدهما يكون مسايرا للأصل الذي وضعه النحاة وهم يستقرئون أحوال المدوّنة العربية، ويرسون دعائم النّظرية النّحوية. وثانيهما: العدول عن الأصل الذي يتجلّى في أساليب تعبيرية شتّى. وهذا ما يعكس عبقرية اللغة العربية التي استطاعت وبجدارة حمل الفكر ومراميه فحصدت بذلك الإبانة والإيجاز في الكلام.

ولعلّ هذه العبقرية التي جادت بها قريحة اللّغة العربية أهّلتها لأن تكون حاملة لأرقى مدوّنة نصيّة وأرقى نظام متكامل في جوانبه النّحوية والبلاغية، الحامل لأصناف البيان المخاطب للنفس الإنسانية بتقلباتها وتنوّع أحوالها. وذلك بفك الرّتابة التي قد تلحقها وهي تعبّر عن ملابسات الحياة.

إنَّ الأسلوب القرآني الذي يأتي في أعلى درجات البيان قد حوى العديد من المبتكرات التعبيرية الناجمة عن العدول عن الأصل الذي تذهب فيه النفس كلّ مذهب. وهي جديرة بأن تستقلّ بدراسة علمية جادّة وهادفة يتمّ الكشف فيها عن مختلف عوارض التركيب وما تشحن به من وجوه البيان المنسجمة مع لطائف الأفكار.

لقد شغل البحث في أسرار التراكيب القرآنية عقول علماء العربية الذين أبلوا بلاءً حسنا في التّنقيب عن خصائص أساليبه وتدبّر بديع نظمه.وهذا ما أثار انتباهي ودفعني إلى محاولة البحث في إحدى الظّواهر الأسلوبية التي استقطبت الأنظار قديما وحديثا عبر طرق مختلفة في التّناول وهي جديرة بأن تفرد لها بحوث خاصّة تجلّي معالمها، وتستقصي أطرافها، وتنبّه إلى طرائق الأسلاف في التعامل معها. وبخاصّة كتب التفسير التي تضمّنت الكثير من أصنافها والوقوف على مقاصدها.إنّها ظاهرة العدول التي تجلّت في قوالب شتّى تجاوبا مع ما تحمله من معان ، وما تستهدفه من أغراض. وسعيا منّا في الوقوف على حقيقة هذه الظّاهرة والنّظر في شطر منها آثرنا أن يكون : **العدول التركيبي وتطبيقاته في القرآن الكريم . (دراسة نحوية بلاغية)** .عنوانا لهذا البحث الذي استدعته

جملة من الأسباب المختلفة وما يترتّب عنها من أهداف منها:

_حاجة ظاهرة العدول إلى عناية خاصّة ودراسة معمّقة تجمع أشتاتها وتنير دروبها بالاتّكاء على ما نبّه إليه الأسلاف بخصوصها.

_توضيح ما لظاهرة العدول التركيبي من أثر فعّال في رسم معالم المعنى وتوجيهه.

_الرغبة في رصد ظواهر العدول التركيبي في القرآن الكريم وما تحمله من مقاصد ودلالات.

_ محاولة الكشف عن عوارض التركيب وما تحقّقه من خصوصيات معنوية.

_الوقوف على موجبات العدول وأسراره التي وجّهت التراكيب القرآنية وصرفتها عن وجهتها الأصلية إلى فروع متجاوبة مع متطلبات المعنى، ومقاصد الخطاب.

وقد تمثلت إشكالية هذا البحث في جملة من التساؤلات التي تطرحها خصوصية الموضوع و هي:

إلى أيّ مدى تشكّل ظاهرة العدول التركيبي ملمحا أسلوبيا ذا خصوصيات تركيبية، وفوارق دلالية لا سبيل إليها من دونها؟ وما هي مختلف العوارض التركيبية التي تعتري هذه الظّاهرة في الأسلوب القرآني وما تنطوي عليه من لطائف معنوية؟

ولتجسيد هذا المطلب وتحقيق هذه الفكرة تم بسط المادة البحثية تبعا لما تقتضيه طبيعة الدّراسة التي توزّعت على قسمين: قسم نظري وآخر تطبيقي. وذيّل البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

تكفّل المدخل بالحديث عن عبقرية اللغة العربية من الناحية التركيبية التي تأخذ وضعيات شتى وأنماطا عديدة يتكيّف فيها المبنى تبعا للمعنى. والتّنبيه إلى ما امتاز به القرآن الكريم من مبتكرات أسلوبية في هذا الشأن. وما فجّره من طاقات تعبيرية جديرة بالدّراسة والتحليل.

أمّا القسم النظري فقد تكفّل بالتعريف بظاهرة العدول التركيبي ورصد مظاهرها في الدراسات اللغوية. وحوى أربعة مباحث سعينا من خلالها إلى تطويق هذه الفكرة بما هو كفيل برسم معالمها،وتعميق النظر في كنهها. والوقوف على أبعادها. وتوضيح نظرة القدماء والمحدثين إليها. ولكي يكون البحث متناميا في طرحه فقد جاء المبحث الأوّل خاصّا بالحديث عن العدول التركيبي من حيث المفهوم والماهية. وتكفّل المبحث الثّاني بتأصيل المصطلح والظّاهرة وهو نوع من التعريف بهذا

النّوع من الأسلوب في الموروث اللغوي والبرهنة على وعي اللغويين القدامى بهذه الظّاهرة. ولتعميق النّظر في منطلقات فكرة العدول ومآلاتها جاء المبحث الثالث ليجلّي حقيقتها تحليلا وتفسيرا. أمّا المبحث الرّابع فقد تكفّل برصد معالمها والكشف عن ثقلها الأسلوبي في الدّراسات اللّغوية الحديثة. وهو ما من شأنه أن يؤكّد أهمية الموضوع وحاجته إلى البحث.

ولما كانت الدّراسة تسعى إلى توضيح معالم العدول التركيبي في القرآن الكريم، فقد جاء القسم التطبيقي مجسّدا لهذا المبتغى من خلال عيّنات مختلفة تمّ تتبّع حالاتها والسّعي قدر الإمكان إلى الرّبط بين بُناها وبين مقاصها البلاغية. وقد تمثّلت مباحث هذا القسم في أشهر هذه الظّواهر وهي: التقديم والتأخير، والحذف، والالتفات، والتّضمين، والإظهار والإضمار.

ولما كان المنهج أساس كلّ دراسة علمية فقد اخترنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب وطبيعة البحث التي تقوم على استقراء هذه الظّواهر المختلفة بغية توصيفها وتحليلها وتفسيرها لاستجلاء مقاصدها. وهو ما يمكن تحصيله من خلال المزاوجة بين علمي النحو والبلاغة للظفر بالمقصود.

أفدنا في هذا البحث من جملة من المصادر والمراجع ذات الصّلة بموضوع البحث، وفي مقدّمتها كتب التّفسير نذكر منها: كتاب الكشاف للزمخشري، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود،والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، وكتب النحو والبلاغة: البلاغة،كالكتاب لسيبويه، والخصائص لابن جني، و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. كما اعتمدنا على مؤلفات حديثة من أهمها كتاب: البلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطلب، وكتاب الأسلوب والأسلوبية لعبد السلام المسدي، ومؤلفات أحمد محمد ويس في ظاهرة الانزياح، ومؤلفات تمام حسان: كتاب الأصول، واللغة العربية معناها ومبناها، وكتاب بلاغة الحذف في التراكيب القرآنية لحسين مصطفى غوانمة، وكتاب أسلوب الالتفات لحسن طبل، وكتاب العدول التركيبي مسائله ومناهله لعبد القادر حمراني الذي بصَّرني كثيرا بملابسات الموضوع.

أمّا عن الصعوبات التي واجهناها في سبيل تحقيق هذه الدراسة، فهي صعوبات لا يكاد يخلو منها بحث يطارده الوقت من جهة، وتفرضها طبيعة الموضوع الذي يتطلّب دراية واسعة بعلمي النّحو

والبلاغة خاصّة. هذا بالإضافة إلى أنَّ التعامل مع النّص القرآني باعتباره نصًّا مقدَّسًا يحتاج إلى كثير من الحيطة والحذر، وإمعان النّظر.

ولم يكن لهذا البحث أن يستوي على سوقه، ويمتلك عوامل وجوده لولا رعاية الله وتوفيقه،و توجيهات الأستاذ المشرف عبد القادر حمراني الذي رعى هذا البحث منذ أن كان مجرّد فكرة إلى أن صار حقيقة وثمرة. فله جزيل الشّكر والامتنان وجميل العرفان على ما قدَّمه من توجيهات أنارت دروب هذا البحث، وذلّلت كثيرا من العقبات. والشّكر موصول إلى أعضاء لجنة الناقشة الموقّرين الذين أسهموا في توجيه هذا العمل، وتنقيته من شوائب الزّلل عساه يكون حلقة في سلسلة الدّراسات الأكاديمية. ولبنة مكمّلة لغيرها من البحوث في هذا المجال.

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل.

مـــدخـــــــل

مدخـــل:

تتميز اللغة العربية بإمكانات في تراكيبها تؤهلها للوصول إلى أشرف الغايات وأجلها،فتتيح لمستخدمها جملةً من السبل الموصلة إلى المطلوب بطريقةٍ سلسة عبر تراكيب رشيقة تأخذ وضعيات عدة تسهم وبشكل سافرٍ في خدمة المقام الذي يأخذ لنفسه أشكالا بنائية تُسكب فيها المعاني المراد إجلاؤها بدقة وإحكام.إنَّ تعدُّد المقامات والأحوال والفكر إجمالا وحاجة الإنسان الماسة إلى التعبير خصوصا تقتضي لغة طيّعة تستجيب لهذه الدّواعي، مما يستلزم بالضرورة "قبولها للتوسيع والتغيير وذلك أن الأغراض تختلف باختلاف الأفراد والأزمنة والأحوال"[1] فالتوسع يشمل قدرة الفرد على ابتكار الأفكار والتعبير عنها بأساليب تركيبية مستجدة مغايرة للمألوف من الكلام.

هذه القدرات كلها مُستمدة من طواعية اللغة العربية ومرونتها التي مكَّنتها من اكتساب لياقةٍ تركيبية عالية تتيح لها إمكانية توليد عدد من التراكيب الموازية لعدد الأفكار والمعاني الدقيقة التي تخطر في ذهن المتكلم "فاللغة تجعل للجملة العربية أنماطا تركيبية معينة ففي الجملة أركانها ومكملاتها .وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره وما لا يُستغنى المعنى عن تقديره".[2] وتكون هذه الأنماط قابلة لتأخذ أشكالاً متعددة وذلك باستثمار امتيازات اللغة العربية المتاحة خدمةً للمعاني المطلوبة.

وكما هو معلوم فإنّ المباني اللغوية والأنماط التركيبية محدودة أمام الفكر اللاَّمتناهي، ومن هذا المنطلق تكون اللغة عاجزةً أمام هذا الزخم من المعاني القابعة في فكر الإنسان هذا من جهة.وعدم القدرة على إخراج الفكر والتعبير عنه يجعل منه مبتورًا من جهة أخرى لأن الروح وإن كانت أساس أي كائن لابد لها من جسد يحملها وإلا فلا قيمة لها في الوجود،وكذلك اللغة التي يغذيها الفكر فإنها "هي التي توضحه وعدم استعمالها يجعل التفكير مفتقدا لأهم أدواته"[3].

عبقرية اللغة العربية التي خلقت أنماطًا تركيبية عدة استطاعت أن تحوي الفكر ومراميه،لتضمن لمستعملها الإصابة والإيجاز في إظهار المعاني عبر تراكيب مولّدة تكون حلقة وصلٍ بين ما يدورُ في ذهنِ المتكلمِ والمتلقي للكلام، وفق آلياتٍ معينة تترجم وتجسد البِنية اللغوية العميقة،فتأخذ عناصر

[1] _المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط02، 2007،ص 65.

[2] _البيان في روائع القرآن، تمام حسان، علم الكتب، مصر، ط01، 1993، ص 308.

[3] _ المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، محمد يونس علي، ص68.

التركيب الواحد وضعيات شتى تتكيف فيها تبعا للمعنى تقديمًا وتأخيرًا وحذفًا وذكرًا إظهارًا وإضمارًا...إلخ.

فكل ركنٍ في التركيب اللغوي يوضع الموضع المناسب له وبطريقة مقصودة، فالتقديم مقصود وكذلك التأخير مقصود وكما أن الإظهار مقصود فكذلك الإضمار مقصود وكما أن الأصل مقصود فإن كل خروج وتغيير فيه مقصود[1] لأن وظيفة اللغة الإفصاح عما يريده المتكلم الذي يحدد أسلوبه بطريقة تبليغية مناسبة لأنه يبحث دائما عن المباني المناسبة مقاساتها للمعاني المتجلية في ذهنه، وهو ما أراده البلاغيون بقولهم " لكل مقام مقال". والمقصود بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال[2] والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي.

والجدير بالذكر أن مقولة المطابقة ارتبطت بكل تصرف يتمظهر فيه الكلام البليغ، الذي يكون ملازمًا للمقامات والظروف المتحكمة في صياغة الكلام تماشيًا مع ما يهدي إليه الذوق الأدبي الرفيع من استخدام لأساليب التعبير الحاملةِ لأصنافِ البيان.

إنَّ المعنى أو المقام هو الفيصل في عملية تحديد شكل المبنى الذي يصوّره، فتقرير فكرة معينة أو إضافة معانٍ جديدة تتطلب بالضرورة تراكيب مستجدة تعدل عن مستواها النمطي وهو الذي يقتضي الذكر أو الحذف، والإظهار أو الإضمار والتقديم أو التأخير. وكل هذه الآليات تمكِّن اللغة العربية من الوصول إلى مشارف الكمال لما تملكه من تقنيات وخدمات عالية تتيح لمستعملها اختيارات أسلوبية تمكنه من الوصول إلى أبعد غايات الدقة في التعبير الذي يحدده السياق. "ومن يتدبّر طبيعة هذه اللغة يقف على حقيقة مفادها أنّ سرّ عطائها الذي لا ينضب،وقوّة الاستجابة فيها لكل مطلب وليد جمعها بين أصناف العدول الذي تتمظهر فيه أصناف التعبير العاكسة لبصمات التفكير. ومن رام إدراك هذا العطاء المكتنز ألفاه في الكلام البليغ العالي الطبقة ممّا هو مثير للنّفوس،ومستجيب لكل مجرّد ومحسوس. وفي القرآن الكريم من هذه الظواهر الأسلوبية ما يغري

[1] ـ ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، مكتبة النهضة، بغداد،ط1، 2006، ص04.

[2] ـ ينظر: التلخيص في علوم البلاغة،الخطيب القزويني، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط02، 1932، ص65.

بالباحث ويدفعه إلى الوقوف على حقائقها والتنبيه إلى لطائفها ودقائقها."[1]. ولعل هذا ما أهّل اللغة العربية لأن تكون حاملةً لأعظم معجزةٍ في الكون، وهي القرآن الكريم الذي اصطفى أجود اللغات. يستطيع الناظر في نظم القرآن أن يلفي كيف أنَّ اللغةَ "ظهرت في آياته للزمان ليظن أنها لغة عصرها وكيف بهرت في غاياته في البيان ليقال إنها لغة دهرها وكيف جاوز قدرها الطبيعي بعد أن صار هو من قدرها."[2] فما اختار الله اللسان العربي "مظهرًا لوحيه ومستودعًا لمراده وأن يكون العرب هم المتلقين أولا لشرعه وإبلاغ مراده إلا لحكمة يعلمها منها: كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشارا وأكثرها تحملا للمعاني مع إيجاز لفظه"[3]. وما تحدى الله سبحانه وتعالى العرب بلغتهم إلا لأنهم" كانوا مضرب المثل في الفصاحة والبلاغة وإحكام البيان لذلك تحداهم الله من جهة هم فيها يضالعون"[4] وطالبهم بأن يأتوا بسورة من مثله وأكّد لهم عجزهم عن المطلوب بعد أن هاجت نفوسُهم وبذلوا جهدًا في الإتيان بمثله إلَّا أنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.وصدق الله العظيم في قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ سورة الإسراء الآية: 88.

العرب وإن جادت قريحتهم في الكلام وحسن تأليفهم حتى وصلت بلاغتهم إلى حد البيان الآسر، فإنها لم تسمع قط أحسن من لغة القرآن الكريم الذي جاءهم على حد تعبير مصطفى صادق الرافعي: "بأفصح ما تنتهي إليه لغات العرب جميعا وإنما سبيل ذلك من لغة قريش ...وهذا المعنى هو مناسبة التركيب في أحرف الكلمة الواحدة ثم ملاءمتها للكلمة التي بإزائها ثم اتِّساق الكلام كله هذا على الوجه حتى يكون كالنغم الذي يصب الأذن صبا يجري أضعفه في النسق مجرى أقواه لأن جملته مفرغة على تناسب واحد."[5] فالعرب بفصاحة لسانهم وعذوبة بيانهم قد ذهلت أمام بلاغته عقولهم. وتذللت له قلوبهم لما يحمله من معان قوية الدلالة رصينة الصياغة "فالعربية لم تعرف خطابًا أعمق من القرآن مع حسنه وأناقة لغته وبديع نظمه وعذوبة إيقاعه، ثقفته أفئدة كثير من أساطين الكلمة النافذة

[1]_العدول عن مقتضى الظاهر في البلاغة العربية، عبدالقادر حمراني، الآكادمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية،العدد21،جانفي 2019، ص65.

[2]_ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي،لبنان،1973، ط09، ص 74.

[3]_ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر، دط، 1984، ج01ص40.

[4]_ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط01،ج01 1992،ص36.

[5]_المرجع السابق، ص63.

إلى القلوب منذ مطلع الإسلام، فسكنت إليه نفوسهم وامتصت من رحيقه عقولهم وامتزجت به شغاف قلوبهم"[1]. لقد تحداهم بلغتهم التي يتعاطونها،كما أنَّ اختيارها لتكون لغته تتويجا لها في حد ذاته ومدحًا وإشادةً بكمالها ورفعا من شأنها.[2] فقد أمدها "بزاد من المعاني لا ينفذ ...وحوّلها إلى ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة"[3].

ولعل ما ميّز لغة القرآن الكريم، أنها استطاعت وبجدارة أن تخاطب النفس الإنسانية بتقلباتها وتنوع مزاجها وأحوالها، فالمشهد فيه "يحرِّك الكيان الإنساني نحوه فخيال الإنسان يتحرَّك مع مناظره في تحرِّكه وانطلاقة وعيه وفكره وشعور يخالجه في أثنائها شعورٌ بالانفعال متسامٍ على رتابة الحياة العادية."[4]والحقيقة التي لا مفرَّ منها أنَّ الذَّات فُرِض عليها نمطٌ رتيب في الحياة في كل المجالات من بينها اللغة فتجدها ميالة بفطرتها دائما إلى ما يكسر المألوف وهو ماحققه الأسلوب القرآني،لأنَّ العربَ اعتادت على نمط معين في الكلام وكان الشعر عماده فتخطى القرآن بذلك كل الحدود القديمة "والحق أنه قد أحدث انقلابًا هائلًا في الأدب العربي بتغييره الأداة الفنية في التعبير"[5]، فإذا اعتبرنا الشعر مظهرًا من مظاهر فكِّ الرتابة اللغوية في تعابيره العدولية، فإنَّ القرآن الكريم جله عدول في عدول.

ولما كان القرآن الكريم موجهًا إلى كافة البشر عبر كل زمان ومكان، فإنَّ القارئَ لآياته يتحسَّسُ فيها مناسبة نظمه وتركيبه لكل تلك الاعتبارات في تكويناته التركيبية"وبان منها بهذه المناسبة العجيبة التي أظهرته على تنوعه في الأوضاع التركيبية مظهر النوع الواحد وهي مناسبة المعجزة في نفسها لأنَّ التأليف بين المواد المختلفة على وجه مناسب ممكن ولكن التأليف بينها على وجه يجمعها ويجمع الأذواق المختلفة عليها كما اتفق القرآن أمر لا يقول بإمكانه من يعرف معنى الإمكان."[6] فقدرة

---

[1] _فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، عبد الله طاهر الحذيفي، عالم الكتب الحديث،إربدط01، 2009ص01.

[2] _ ينظر: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حواس بري، دار فارس للنشر والتوزيع،عمان،ط1، 2002، ص05.

[3] _ اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، إربد، ط1، 1995، ص08.

[4] _الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء، الاسكندرية، ط01، 1998، ص12.

[5] _ الظاهرة القرآنية، ابن نبي مالك، دار الفكر، دمشق، ط04، 1987،ص 191.

[6] _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص23.

القرآن على التوفيق بين الأذواق المتنوعة والتأليف بينها لا يخرجُ عن إطار الإعجاز الذي تحّس النفس بجلاله وجماله من الوهلة الأولى في التعامل معه.

أسلوب الكلام عن الكفَّار يختلف نظمه وتركيبه عن أسلوب الكلام عن المؤمنين، وأسلوب النهي غير أسلوب الأمر، وأسلوب الدعوة غير أسلوب التحقير والاستهزاء والتعظيم،كما أنَّ أسلوب الوعد غير أسلوب الوعيد.ففي الوعيد مثلا تتضارب التراكيب حسب مقاماته وأغراضه البلاغية فهو أسلوب يتنوع "تنوعا عجيبا في القرآن الكريم حسب اختلاف طبيعة النفوس واختلاف البيئات ...فكل نوعية من الناس لها وعيد يلائمها حيث يكون أبلغ وأوجع في إيلامها."[1] فوعيد الخاصة نلحظه يتميز بطابع الإهانة والحط من شأنهم لأنَّ إذلالهم يكون ذا وقع عظيم عليهم، أما العامة من الناس فوعيدهم تميز بطابع التعذيب الجسدي لأنَّ إهانتهم لا تهمُّ لكونهم مهانين أصلا في مجتمعهم وذلك للوصول إلى العديد من الغايات تتلخص في الدعوة وإيقاظ العقول وتقوية التدبر والتفكير.فهذه الدقة في مراعاة كل الأحوال والظروف جعلت منه بحق في تفرده سماء علياء لا تدانى.

وقد حوى القرآنُ الكريم كثيرًا من المبتكرات في هذا الشأن، باعتباره أرقى مدونة نصية وأعلى ما في العربية من بيان وهو النص المعجز "من حيث فصاحته وبلاغته ونظمه وتراكيبه وأساليبه ... تحدى ببلاغة ألفاظه فُصحاء العرب كما تحداهم بما اشتمل عليه من معانٍ صحيحة كاملة وهي أعظم من التحدي عند كثير من العلماء."[2] وذلك بتفجيره للطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة العربية وارتقى بالأداة الفنية في التعبير إلى أعلى درجات البلاغة المفضية إلى حد الإعجاز. فالقارئ للذكر الحكيم تتضح له بجلاء فصاحته المصيبة للمعاني المراد إيصالها المصوغة صياغة تتماشى ومقتضيات الأحوال "وهكذا كلما تأمل المتأملون في أسلوب القرآن الكريم وجدوا فيه الفيض والعمق الذي لا قرار له"[3].ولأنَّ الهدف من الوحي في الأساس هو القارئ، فمن البديهي أنْ يكون نصه "في هذه الحالة دالًا حيث هو رسالة لغوية وعلى كل أطراف عملية الاتصال."[4] فنجده يراعي في نظمه المخاطب

[1] _أسلوب الوعيد في القرآن الكريم، عبد الحليم حنفي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2000، ص03.

[2] _الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002،ص 11.

[3] _ أسلوب الوعيد في القرآن الكريم، عبد الحليم حنفي، ص 08.

[4] _مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ناصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط06، 2005.ص38.

ومستواه الاجتماعي وحالته العقدية وما إلى ذلك من الاعتبارات التي تؤخذ في الحسبان، فتعدى أسلوبه بذلك درجة الصحة ووصل إلى درجة الإعجاز الذي لا يجارى.

كل ما سبق ذكره عن أسلوب القرآن الكريم وقوة تراكيبه التي سمت عن كل ما هو مألوف في كلام العرب، فإنَّ عقول العلماء قد انشغلت بالتنقيب عن أسرار هذه الأساليب المحتوية على كمٍّ هائل من الاختراعات والتوليدات التي أطَّرها العدول بمختلف آلياته وأصنافه، محاولين سبر أغواره،أو صرف نفائس الأنفاس إلا في مهور أبكاره، أو إنفاق بدر الأعمار إلا لتشويق بدر أسراره[1]كما قال الشاعر:

نِعْمَ السَّميرُ كِتابُ اللهِ إنَّ لَهُ حلاوةً هي أَحْلَىمِنْ جَنَى الضَّرَبِ
بِه فنونُ المعَاني قد جُمِعْنَ فما تَفْتَرُّ من عَجبٍ إلاَّ إلى عَجبِ
أمرٌ ونهيٌ وأمثالٌ وموعظةٌ وفكرةٌ أُودِعَتْ في أفصحِ الكتبِ
لطائفُ يجتليهَا كُلُّ ذي بصرٍ وروضةٌ يجتنيها كلُّ ذي أدبِ[2]

ولعل هذا الاهتمام بالنص القرآني أحد أهم الأسباب التي كانت من أهم نتائجها ولادة علوم اللغة العربية الثلاثة، بدايةً بالنحو وفقه اللغة وصولًا إلى علوم البلاغة،فنشأ النحو حفظًا للسان العربي من اللحن وحفظا للقراءة السليمة للقرآن الكريم، ومحاولة اقتفاء سمت كلام العرب كما عرَّفه ابن جني ليلحق من هم ليسوا بأهل العربية بأهلها في الفصاحة[3]. وذلك لتوسع البلاد الإسلامية واختلاط العرب بالعجم الذين أملت عليهم عقيدة الإسلام التعامل بهذه اللغة،وأسباب سياسية وأخرى قومية.[4]

وكانت البدايات الأولى بمحاولتهم قطف ثمار لطائف وإبداع اللغة العربية الكامن في الأسلوب القرآني متوقفة على فقه أسرار اللسان العربي. "حتى كاد العرب منهم يفرغون طاقاتهم تعبيرًا عن حب

[1]_ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،د ط،د ت، ج01،ص 03.

[2]_ المصدر السابق، ص 03.

[3]_الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط01ج01،ص35.

[4]_ ينظر: الأصول، تمام حسان، ص23.

عميق للغة القرآن، وغيرة آسرة على كلام الآباءِ والأجدادِ"[1].فعكفوا على النظر في مدونته_ اللسان العربي_ لتمحيص أصولِه من فروعه بحثًا عن حيثيات الفصاحة التي قصدها ابن جني في تعريفه للنحو وذلك من خلال تتبع سنن العرب في الكلام للوصول إليها باعتبارها ميزة بارزة في كلام العرب. فكان لزامًا على رواد النحو مشافهة الأعراب في البوادي والسماع من كلام العرب شعره ونثره بعد أنْ "حددوا الفصاحة بقبائل معينة وأبعدوا سواها عن الفصاحة ... قيس وتميم وأسد بعض كنانة والطائيين وتركوا الأخذ عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف الجزيرة لمجاورتهم لسائر الأمم التي من حولهم"[2]* وذلك حرصا منهم على أخذ كل ما هو عربي خالصة فصاحته.

وكان السماع إلى كلام العرب وشعرهم ثالث ميدان اعتمد عليه بعد القرآن الكريم والحديث الشريف حيث قال الفراء: "الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"[3]. وقال جلال الدين السيوطي عن الاحتجاج بالقرآن" جاز الاحتجاج به في العربية سواءً كان متواترا أو أحادا أو شاذا"[4]* فقد عده العلماء أول ما يعتد به لأنه محفوظ في الصدور متلقى من رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ أما الحديث فعلى الرغم من كونه الميدان الثاني للسماع إلا أنَّ الاحتجاج به كان لافتا للنظر وربما يعود ذلك إلى عدم اطمئنانهم. " للغة الحديث لأنَّ رواية الحديث كانت قد اتسعت اتساعا كبيرا وكثر المشتغلون بها قبل تدوينه" [5]وذلك أن الحديث وثّق بالمعنى دون إعارة أي اهتمام لمدى الموافقة النصية المروية عن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] _الأدوات النحوية في كتب التفسير،محمود أحمد الصغير، دار الفكر، سورية، ط1،2001،ص 11.

[2] _الفكر النحوي عند العرب، علي مزهر الياسري، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، ط01، 2003، ص195.

*_ومن بين القبائل التي لم يعتد بفصاحتها: قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم الشام، وكذلك لخم وجذام لمجاورتهم الأقباط والمصريين،ويرى منَّظرو النحو أنَّ اقتصار النحاة الأوائل على الأخذ من قبائل معينة دون غيرها سبب في تضييق دائرة اللغة باعتبارها قبائل عربية لا غبار عليها فغابت عنهم صور أخرى للتطور اللغوي النحوي والتي ربما كان لهم في لتغتها حل لبعض العوائق التي صادفت واضعي النحو الأوائل . ينظر: م س،ص194.195

[3] – معاني القرآن، أبو زكريا يحي زياد الفراء،عالم الكتب، بيروت،ط03، 1983،ج01، ص12.

[4] _ الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تح: عبد العليم عطية،دار البيروتي، دار الكتاب العربي، القاهرة ،ط2، 2006،ص 39.*_تضاربت الآراء في مسألة الاحتجاج بالقراءات الشاذة والاعتماد عليها في استنباط قواعد اللغة لدخولها دائرة الشذوذ، ينظر: تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1966،ص 116.

[5] _الفكر النحوي عند العرب، علي مزهر الياسري، ص 187.

ومن أدلة النحاة في التجريد واستنباط الأحكام النحوية القياس الذي هو" محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية وحمل الكلام على كلامهم في أصول المادة وفروعها"[1].بعد وضعهم قواعد عدت أصولا في بابها كأصل الوضع وأصل القاعدة اللذين يستصحبان في الاستعمال"[2].وقد يُعدل عن الأصولِ إلى الفروع التي تتسم بالاطِّراد فيقاس عليها أو بالشذوذ فتحفظ ولا يقاس عليها.

وتقاس الفروع على الأصول المنقولة عن طريق السماع كما صرَّح ابن جني:"كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[3]. حيث تقاس الكلمات والتراكيب اللغوية على الأصل الوضعي "فأصل الاشتقاق وأصل الصيغة وقواعد التصريف وإعلال وإبدال وزيادة، وحذف، ونقل،وقلب ... يقاس على أصل، وضع الجملة من ذكر أو حذف وإظهار، أو إضمار ووصل،أو فصل ورتبة أو تقديم وتأخير"[4]. فالقواعد النحوية في مجملها قواعد أصلية وأخرى فرعية محمولة عليها من كلمات وتراكيب.ولما رأى النحاة "أنَّ الكلمةَ الواحدة تتغير صورها بحسب تصريفها وإسنادها إلى الضمائر وتثنيتها وجمعها وتصغيرها اقترحوا لها أصلًا يخضعُ للتغيير والتأثير بحسب قواعد معينة وحين رأوا أنَّ الجملةَ لا تبدو على نمطٍ تركيبي واحد اقترحوا لها أصلًا نمطيًا تخرج عنه بالزيادة والحذف والإضمار والإظهار والاستتار وسمو أصل الحرف وأصل الكلمة وأصل الجملة باسم جامع هو أصل الوضع"[5].

وذهب النحاةُ إلى ترتيب أجزاء الجملة بنوعيها عن طريق أصل الاستصحاب الذي يعتبر أصلًا من أصولِ النحو العربي الناتجة عن الملاحظة والاستقراء، وجعلوا لها ترتيبًا لا يخرج عنه إلَّا لموجبات معينة لأن المقام قد يتطلَّب ماهو أبعد وأرحب من أصل يتقيده، فيخرج الكلام عن نمطه المألوف وفق مجموعة من الضوابطِ التي تحكمه على نحو ما ذكره ابن مالك بخصوص ترتيب عناصر الجملة الاسمية:

ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة

وهل فتى فيكم فما خل لنا ورجل من الكرام عندنا

---

[1]_ اللغة والنحو، عباس حسن، ص 22. وينظر: لمع الأدلة، الأنباري، ص95.

[2]_ الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في لأصول النحو، أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الأنباري، تح:سعيد الأفغاني،دار الفكر العربي،بيروت، 1971،ط01، ص141.

[3]_ الخصائص،ابن جني، ج01،ص448.

[4]_الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،دط،2000، ص174.

[5]_ المرجع السابق، ص 115.

ولا يكون اسم زمان خبرا عن جثة وإن يفد فأخبرا

والأصل في الأخبار أن تؤخّرا وجوّزوا التقديم إذ لا ضررا[1]

ويبقى دائمًا الأصل هو المرجع الأساس لقياس درجة العدول في التراكيب المعدولة التي لحقها في تراكيبها الإسنادية أحد العوارض فيحذف العنصر الإسنادي، أو يقدم، أو يؤخر، أو يضمر، أو يظهر، وذلك لإقرار فكرة تطلبها المقام.

ويمكننا القول إنَّ ذلك الاستقراء المعمق للسان العربي كان من أهم نتائجه بروز نظرية الأصل والفرع الجامعة لمختلف الأساليب التي تستطيع العربية حملها و"الناظرة في خصائص التراكيب ودلالتها والبحث في ركازها الذي تضمره وحداتها التركيبية مما هو مستودع فيها من ذخائر العقول التي لا تدرك إلا بالتروي والفهم الجيد. وهي دقائق مستقاها العقل والروية."[2] ولعل عناوين الكتب التي ألفت في دراسة النص القرآني خير شاهدٍ على إدراك علماء اللغة الأوائل لأنماط العدول عن الأصل في التراكيب التي زخر بها الأسلوب القرآني.والمشحونة بطاقات إيحائية ثرية لا سبيل إليها من دون آليات العدول.وهو عند سيبويه توسع في الأداء اللغوي يؤدي إلى الإيجاز في تحقيق مقاصد الكلام[3].

وكان ابن جني قد خصص بابا كاملا في كتابه الخصائص تعرض فيه إلى عوارض التركيب وسماه: نقض المراتب إذا عرض هناك عارض[4]. مشيرًا إلى كل ما قد يطرأ على الجملة العربية، كما عرض بابا آخر حلل فيه ظاهرة العدول وهو باب شجاعة العربية، تعرض إلى امتيازات العربية وليونتها ومرونتها حيث وصف هذه المميّزات بصفة الشجاعة[5].

وننبه إلى أن قرينةَ الإعراب التي تلعبُ دورًا مهما في إتاحة الحرية لترتيب الكلمات داخل التركيب بما يتلاءم ومضمون الفكرة التي هي بمثابة الضامن الذي يكفل سلامة المعاني وملاءمة الأركان

[1] _شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل،دار التراث،القاهرة،ط2، 1980،ص227.215.213.

[2] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، نور نشر، ألمانيا، ط01، 2019 ، ص83.

[3] _ ينظر: الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، 1983 ط03، ج01،ص112

[4] _الخصائص،ابن جني،ج01 ص380.

[5] _ المصدر السابق، ج03، ص360.

الإسنادية مع بعضها بعضا داخل التركيب، لأن الألفاظ كما يقول عبد القاهر الجرجاني: "مغلقةٌ على معانيها حتى يكون الإعراب هو المستخرج لها وأنَّه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه"[1]. وذلك بمراعاة البعد العاملي كذلك الذي يضمن سلامة معاني التراكيب إضافة إلى تحديد التقدير الذي قد يطرأ على التركيب.

انطلاقًا مما سبق يتَّضح لنا جليًا أنَّ اللغة تتفرع إلى مستوىً مثالي وهو الكلام الذي يراعى فيه الأصلُ الوضعي القواعدي، ومستوى منحرف يخرج عن القاعدة ويعْدِل به عن مستواه الأول عندما يقف الأصل عاجزًا عن تأدية المطلوب،"فتحريك الكلمة أفقيًا إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي"[2]حيث تتدخل آليات العدول بطريقتها المقننة لتنتج هذا المستوى الإبداعي، ويكون المستوى الأول حينئذ حجر الأساس الذي ينطلق منه المتكلم عن طريق خيارات أسلوبية للتعبير عن أفكار دقيقة يؤطرها العدول.

إنَّ خرقا لقاعدة للوصول إلى المستوى الثاني الذي أشرنا إليه لا يعني أن يوسم هذا المستوى بعدم الفصاحة، بل يلجأ إليه للوصول إلى لغة الإبداع وما تحمله من طاقات تعبيرية قوية،وهو عدول عما هو فصيح إلى ماهو أكثر فصاحة [3] كما أن وسم المستوى الثاني بصفة الجمال لا يعني خلو المستوى الأول منه كذلك، فالعربية كما هو معلومٌ بمستوييها الأول والثاني ترقى بنفسها دائما إلى تحقيق الإصابة في المطلوب، إلَّا أنَّ المستوى الثاني نسبة الجمال فيه أكثر، لأنَّه يمنح المتكلم قدرًا من الحرية في اغتنام ليونة اللغة مما يخلق الجمال فيه، وهو ما يحويه علم المعاني الذي يخص آليات هذا المستوى بالبحث والدراسة فما "خرج عن سلطة المعيار الذي وضعه النحاة لا ينبغي أنْ يُفهم على أنه يفتقر إلى السلامة النحوية أو أنَّه أدنى منزلةً مما اتسعت له دائرة المعيار."[4] لأن الفكر الإنساني الواسع والقائم على الانفتاح وعدم الثبات لا تستطيع أن تقيده القواعد المعيارية "والذي يجب اعتقاده هو أنّ التّقعيد النحوي مهما بلغ درجة عالية من الشمول والسعي إلى مقاربة التعميم في أحكامه

---

[1] _دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي ، تح: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،مصر، ط03، 1992،ص23.

[2] _ جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، دط، 1984، ص 143.

[3] _ ينظر: البلاغة والأسلوبية ،محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط01، 1994، ص65.

[4] _العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص5.4.

فإنّه سيظلّ قاصرا عن احتواء مظاهر اللغة في شتّى تجلياتها، ومختلف رواياتها التي تعكس حقيقة الفكر الإنساني الذي يأبى الانغلاق ، ويتوق دوما إلى التحرّر والانعتاق . ولا نعدم صوابا إذا قلنا : إن هذا القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين يتجاوز معيارية النحاة التي لم يكن في مقدورها أن تسن لنا قواعد نحو متين يحاصر عباب ذلك اللسان العربي المبين الذي حوى مختلف القراءات وأصناف المرويات من أحاديث وأشعار ولم يضق عن أوابد اللهجات."[1]

أدرك النّحاة أنّ مجال الاستثناء واسع مثلما تشهد به الشواهد الشعرية والنثرية الأمر الذي دفعهم إلى العمل على ضبط "مجوّزات التوسّع وموانعه فيما يمكن أن نسمّيه نحو الخروج عن النّحو. ومقياسهم في ذلك المعنى بالدرجة الأولى، وإن أشاروا في سياق ذلك إلى بعض المؤثّرات الأخرى في البنية كالاستعمال وهو قانون كمّي زمني يبنى في اللّغة على علاقة تناسب عكسي ... أو الاستخفاف، وهو ارتسام لغوي يؤكّد على نزعة المجهود الأدنى في علاقة المتكلّم باللّغة ... ويتصدّر قائمة المجوّزات علم المخاطب، ودلالة السياق، ولغة النص وهيئتها." [2] وهي معطيات تأخذ بها البلاغة الناظرة في خصائص التراكيب، والسمات الأسلوبية الفارقة بين الأصل والفرع. وما يترتب عنها من دلالات هي محصّلة العدول عن الأصل المفترض وهو ما نسعى إلى الوقوف عليه من خلال هذه الدّراسة التي تتّخذ من النّص القرآني المورد الأساس لتجليات هذه الظاهرة في مختلف صوّرها. وما تتضمّنه من دلالات لا سبيل إليها من دون ذلك المسلك.

[1] ـ المرجع السابق، ص 5.

[2] ـ التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط03، 2010، ص96.

القسم النظري: العدول التركيبي ماهيته ومظاهره في الدّراسات اللّغوية.

المبحث الأول: مفهوم العدول التركيبي وماهيته.

المبحث الثاني: العدول في التراث العربي.

المبحث الثالث: ظاهرة العدول التركيبي بين التحليل والتفسير.

المبحث الرابع: العدول في الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة.

القسم النظري: العدول التركيبي ماهيته ومظاهره في الدّراسات اللّغوية.

تعدّ ظاهرة العدول من أبرز الظواهر اللغوية التي استقطبت أنظار العلماء قديما وحديثا، بفعل ما تنطوي عليه من خصائص أسلوبية ذات صلة وطيدة بالذات المنتجة للخطاب.هذه النفس التي تعتريها أحوالٌ شتّى يقتضي التعبير عنها وفق ما يتطلبه المقام في إطار ما تسمح به قواعد الاستعمال اللغوي التي تكشف عن عبقرية اللغة المتجلية في أشكال مختلفة باختلاف الفكر والفكرة ونوازع النفس الإنسانية، حيث تستجيب اللغة لمتطلبات الفكر في قوالب تركيبية شتى يؤطّرها نظام نحوي يجمع بين الأصل المفترض الذي يمثل القاعدة الأساس، والعدول عن ذلك النمط المألوف، أين تتفاعل العبقرية اللغوية مع القدرات الذهنية فتتعدد طرق الإخراج وأساليب التعبير التي يجمعها مصطلح العدول بفعل ما يحمله من شحنة دلالية خاصة بأوجه التعدد والتجدد المتمظهرة في قوالب تركيبية شتى، تتسامى في بيانها لدرجة الإعجاز الذي خصّ به القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم العدول التركيبي وماهيته.

توصيف ظاهرة العدول التركيبي والكشف عن مظاهرها في الدراسات اللغوية أمرٌ يتطلب تحديد المفهوم لغةً واصطلاحاً، وتوضيح معالمه بغية الوقوف على أبعاده النحوية ومقاصده البلاغيةالتي تؤطرها آليات تركيبية متعلقة بفحوى الخطاب.

المطلب الأول: مفهوما العدول والتركيب.

1 ـ العدول لغة واصطلاحا:

أ ـ لغة:تأخذ مادة "عدل" في اللسان العربي جملة من الدلالات التي تختلف باختلاف ضروب الاستعمال، فقد جاء في القاموس المحيط "العدل ضد الجور وما قام في النفوس أنَّه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدِلة ... وكل ما أقمته فقد عَدَلْتَه وعدَّلتَه وعَدَل عنه يعدل عدلا وعدولا حاد، وإليه عدولا رجع. والطريق مال ... وماله مَعْدِل ولا مَعْدول مصرف، وانْعَدَلَ عنه وعَادَلَ اعوج " [1]فالفعل عَدَلَ يعدّى بحرفي الجر: "عن" و "إلى" وله مع كل منهما دلالة خاصة فإذا تعدى بـ "عن" دل على الحيْد والانحراف وإذا تعدى بـ "إلى" دل على الرجوع والميل.مثلما هو وارد في لسان العرب : "عدل

[1] ـ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت،دط، دت، ج04، ص 14ـ13.

عن الشيء يعدل عدلا وعدولا: حاد، وعن الطريق : جار. وعدل إليه عدولا رجع، و ماله معدِل ولا معدول أي: مصرف ...وانعدل عنه و عادل : اعوج . قال ذو الرمة:

وإنِّي لأُنْحي الطَرْفَ مِنْ نَحْوِ غَيْرِهَا حَياءً وَلَوْ طَاوَعَتْهُ لَمْ يُعَادِلْ

قال معناه: لم ينعدل ..... وقال المرّار:

فلمَّا أَنْ صَرَمَتْ وكَانَ أَمْرِي قَويمًا لاَ يَمِيْلُ بهِ الْعُدُولُ

قال: عدل عنِّي عدولاً لا يميل به عن طريقه الميل"[1].

وقد نبَّه ابن فارس إلى هذا التقابل المعنوي الذي تتضمنه مادة عدل، حيث قال : "عدل: العين والدال واللام أصلان صحيحان لكنهما متقابلان كالمتضادين : أحدهما يدل على استواء،والآخر يدل على اعوجاج . فالأول العدل من الناس المرضي المستوي الطريقة يقال هذا عدْلٌ وهما عدْلٌ ، قال زهير :

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَواتُهُمْ هُمْ بَيْننا فَهُم رِضًا وَهُمُ عَدْلُ.

فأما الأصل الآخر فيقال في الاعوجاج : عدل وانعدل ، أي انعرج."[2]

وجملة القول فيما سبق ذكره "إن العدول في اللغة مصدر قياسي للفعل "عدل" ومن معانيه الميل والانحراف والانصراف عن الشيء، هذا المعنى وليد تقييد الفعل بضميمة حرف الجر "عن" والعدول بهذا المعنى يحمل معنى إيجابيا وليس سلبيا كما قد يتبادر إلى الأذهان، فقول العرب : "عدل فلانٌ عن الطريق مال عنه إلى غيره اختيارا وقصدا.وإذا أرادوا التعبير عن المعنى السلبي للخروج عن الطريق: قالوا: جار عن الطريق"[3].وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأنَّ العدول هو اختيار بين أمرين لتحقيق غاية لا يتأتى نيلها إلاَّ في ذلك الاختيار.

---

[1]_ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط03، 2004، ج10 ص 63.

[2]_ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تح: شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، دط، دت، ص775.

[3]_ العدول التركيبي، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص16.

ب ـ اصطلاحا: والعدول في جوهره هو فرع حيد به عن أصل مقرر ومعلوم، سواء أتعلق الأمر بالجانب التركيبي أم الإفرادي وهو كما يقول ابن جني : " العدل ضرب من التصرف وفيه إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع" [1]. وهو ضرب من شجاعة العربية عند ابن جني، ويمثل مختلف الأساليب التي تخرج عن أصل التركيب الذي أقره النحاة عبر آليات تعبيرية مختلفة، أشار إليها ابن جني بقوله: "واعلم أنَّ معظم ذلك إنما هو الحذف و الزيادة والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"[2].

والعدول في اصطلاح المحدثين: "يشمل كل تغيير في ترتيب الحروف داخل الكلمة، والكلمات داخل الجملة، واستعمال الألفاظ استعمالا مجازيا لغرض بلاغي"[3]. ولعل خير تعريف للعدول من منظور أسلوبي هو: "خروج التعبير عن المألوف في التركيب والصياغة والصورة واللغة، ولكنه خروج إبداعي جمالي. يهدم لكي يبني، بطريقة يصعب ضبطها طريقة هاربة دوما"[4].والعدول في الدراسات الغربية الحديثة هو: "فعل الكلام الذي يبتعد عن القاعدة"[5].

والعدول من هذا المنظور يمثل حيوية اللغة في أوجهها المتعددة بتعدد سياقات الأحوال التي يتوخى فيها معاني النحو تبعا لمقاصد الخطاب. والجدير بالذكر أنَّ العدولَ نوعان: عدول تركيبي وعدول دلالي. أمَّا الأول فمتعلق بالبنى التركيبية وما يعتريها من تغيرات نحوية تطرأ على أصل التركيب من تقديم و تأخير وحذف و إضمار وحمل والتفات ...إلخ. وأما الثاني وهو العدول الدلالي فيخص الجانب البياني الذي تعدل فيه الدوال عن أصل وضعها لتأخذ دلالة ثانية تؤطرها آلية المجاز وأنواع البيان من استعارة وكناية. والذي يهمنا في بحثنا هذا هو العدول التركيبي الذي يفارق فيه التعبير النمط المثالي الذي يمثل الكلام في أصله المتواضع عليه. وهو المقصود بالقاعدة في تعريف الغربيين له.

والجدير بالذكر في هذا المقام، أنَّ الابتعاد عن القاعدة لا ينبغي أن يفهم على أنَّه صفة سلبية بل هي صفة إيجابية تعكس حيوية اللغة وطاقاتها التعبيرية الخلاقة من جهة، والقدرة الذهنية والإبداعية

---

[1] _ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج 01،ص52.

[2] _ المصدر السابق، ج02، ص 360.

[3] _ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة مجدي، والمهندس كامل، مكتبة لبنان، بيروت،ط02، 1984، ص209.

[4] _ الانزياح الشعري عند المتنبي، أحمد مبارك الخطيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط01، 2009، ص:40.

[5] _*Dectionnaire encyclopédique la rousse Paris France 1979 p :464.*

التي يتمتع بها المتكلم من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس يكون العدول عن الأصل في الكلام تفجيراً للطاقات اللغوية وكشفاً عن القدرات العقلية التي ترسم معالمها أنماطٌ أسلوبية تعكس وبجلاء الخصوصية الفردية التي يتمتع بها المتكلمون، "فتحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي"[1] وبهذا يكون الخروج عن المألوف في التعبير هو خروج إبداعي جمالي يعكس لون الفكر والفكرة معا ولولا المرونة التي تتمتع بها أساليب اللغة ما كانت لتستجيب لمتطلبات الفكر الذي تذهب فيه الأفكار كل مذهب.فالخصائص الفنية المميزة للغة العربية "في أنظمتها الدلالية تعكس وبجلاء قوة هذه المنحة الإلهية . اللّغة . التي يجد فيها العقل البشري متنفسا لأفكاره وتصوّراته التي يجليها في قوالب متعددة يتأكد من خلالها التفاوت الحاصل بين المتكلمين في نسج عباراتهم الدالة على خصوصياتهم الأسلوبية"[2].

إنَّ النظام الافتراضي الذي استنه النحو "والذي أوجدته الضرورة الحضارية لإنشاء مجتمع لغوي."[3] قد يتم الخروج عنه بانتهاك قوانينه وأعرافه لتوليد معانٍ إبداعية جديدة حاملة في طياتها مزايا الحسن والجمال.يقول سامح الرواشدة: "إنَّ الانزياح التركيبي لا يكسر قوانين اللغة المعيارية ليبحث عن قوانين بديلة، ولكنه يخرق القانون باعتنائه بما يعد استثناءً أو نادراً فيه."[4] وبمقتضى ذلك يصبح الخارق لتلك السنن والقوانين مبدعا انصرف عن المستوى العادي من الكلام والذي لم يغب عنه لبرهة واحدة، فجعل منه بذلك مرآة تعكس المستوى الفني للكلام وجعل ذلك الأصل معياراً أساسياً لقياس ذلك العدول.

ينقسم الكلام بموجب هذا إلى قسمين الكلام (المألوف). والكلام (المعدول).أما المألوف من الكلام فهو الخاص بالنظام القواعدي الذي استنه النحو. وأما المعدول فهو ذلك الانتهاك الحاصل على حساب المألوف من الكلام.[5] وما نبتغيه من هذا الكلام هو أنَّ العدول في اللغة إنما ينصب على اللغة الفنية، ويكون بذلك للغة مظهران أساسيان يتمحوران حول رصد حقيقة وتأكيدها.[6]

---

[1] _ جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، ص 143.

[2] _ العدول التركيبي، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني،ص19.

[3] _دراسة في جماليات العدول، خيرة حمرة العين، شعرية الانزياح، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، دب، ط01، 2011،ص03.

[4] _ فضاءات الشعرية، "دراسة في ديوان أمل دنقل"، سامح الرواشدة، المركز القومي للنشر، إربد ،ط1، 1999، ص53.

[5] _ ينظر: شعرية الانزياح، دراسة في جماليات العدول، خيرة حمرة العين، ص03.

[6] _ ينظر: المرجع السابق، ص09.

بطريقة حسية تختلج أفانين المتلقين بإثارة عواطفهم فهذه اللغة الفنية الإبداعية تندرج تحت مصطلح العدول، إذ يعتبر هذا المصطلح من أقوى المصطلحات القديمة والحديثة الدالة على الخروج عن الأصل المتواضع عليه والمألوف من الكلام. وهو ذلك النظام الافتراضي الذي سنه النحو إذ يعد ذلك الخروج بمثابة الاستعمالات غير العادية المنزاحة على المستوى النمطي،وإذ أقام النحاة مباحثهم على أساس الأداء المثالي فإن البلاغيين قد أقاموا مباحثهم على أساس الخروج عن هذه المثالية. وهم لا يقصدون بالخروج عن الأصل المعهود إنكار النظام القواعدي وإنما هو بمثابة تأكيدهم لإدراكهم له بصياغة الكلام صياغة فنية للوصول إلى المبتغى المطلوب من العملية الإبلاغية[1] لأن هذا الانتهاك من شأنه أن يخلق الأريحية لأطراف الحدث الكلامي، فعدول المبدع للمستوى الأول الذي أقامه النحاة إنما يؤكد إدراكه لتحققه بجعله خلفية وهمية لصياغة فنية يقاس العدول من خلالها.[2]

تتعرض اللغة إلى تغييرات في أساليبها وأنماطها في مختلف مستوياتها، "وهذا يعني أنَّ اللغةَ نظامٌ ثابت تمثله القواعد المعيارية المحددة لتتعرض هذه الأخيرةإلى مجموعة من المتغيرات المتعددة"[3].لنجد أنفسنا أمام ثلاث مستويات استعمالية للغة تفرضها الأحوال المقامية على المتكلمين:"المستوى العادي" و"المستوى المثالي" و"المستوى غير المقبول". أمَّا المستوى الأول فأداؤه مقرون باحترام القواعد النحوية النمطية أثناء الأداء الكلامي حيث يراعي فيه المتكلم مقتضى ظاهر الحال أثناء تأليفه للكلام. "وهو أهدأ الأساليب وأخفها مؤونة وأبعدها عن التعمل وأدناها إلى الإحسان فهو أسلوب يعمد فيه إلى إيضاح الحقائق من أيسر السبل وأقربها ليس فيه خيال...وإنما ترصع فيه التشبيهات لمجرد قياس مجهول بمعلوم. "[4] أما المستوى الثاني فهو الذي لا يسعه المستوى الأول لتأدية المقاصد المرجوة من طرف المتكلم أو الظروف المصاحبة للحدث الكلامي أو ما يعرف بمقتضى الحال، فيصبح بذلك المستوى النمطي عاجزاً تماماً على حمل المعاني المثقلة التي تحتاج إلى شجاعةٍ تخرق السنن وتتخطاها،لتصل إلى المستوى الآخر وهو " من العربية في مستوياتها الإبداعية

[1] _ ينظر: البلاغة و والأسلوبية،محمد عبد المطلب، ص 269.

[2] _ ينظر: المرجع السابق، ص 269.

[3] _ العدول بين النحو والدراسات الأسلوبيةالآليات والغايات، تيقرشة فايزة، مجلة اللغة العربية، العدد19، 2007، ص17.

[4] _ أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، القاهرة، ط04، دت، ص 121.

وواقعها الاستعمالي ولا سبيل للنحاة على رده وإن خرج عن قواعدهم."[1] وهنا يظهر العدول الذي يجتاز به المبدع القوانين المنوط بها والتي يعرِفها كل المعرفة وهو ملمٌ بها في كل حال من الأحوال لإيصال المطلوب وهنا يتجلى العدول. أمَّا المستوى الثالث فهو ما خالف الفصاحة وقوانينها فلم يتوفر فيه احترام القوانين اللغوية ولا المعالم الإبداعية.

وبتمحيص النظر في المستوى الثاني الذي أشرنا إليه، يؤدي بنا حتما إلى فكرة مفادها أنَّ اللغة العربية لغة إبداعية "لما تنطوي عليه من أسرار خفية وأغراض دقيقة ذات عُلقة بقدرة الصانع ... وترتبط بوجود صانع مبدع يقف خلف هذا العالم الغامض الذي يواجهه المتأمل الحاذق "[2]. وعليه فإنَّرفع ستار أسرار هذه اللغة إثباتٌ لعظمة الخالق وحكمته في الوجود، والسعي إلى إظهار الخصائص الفنية لها إنمَّا يكمن في تأمل معاملة المبدع مع هذه اللغة التي تملك إمكانيات تعبيرية وجمالية خاصة، فيخرقها ليصل إلى درجة الإبداع والفصاحة، فيستمد منها ويمدها في الوقت نفسه،وأسلوب العدول وهو المستوى الاستعمالي الرفيع لها.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ تخصيصنا للمستوى الثاني من المستويات السابقة الذكر بسمة الإبداع لا ينفي خلو المستوى الأول منها من الجمال، لأنَّ اللغة العربية لديها مايميزها من أساليب لا تخلو من الجمال والدقة في الوصف والتعبير،إلاَّ أنَّ المستوى الثاني يرقى باللغة إلى الإبداع فيرد النفوس إلى الفطرة المفعمة بالأحاسيس في كنه المعاني. فالعدول عن الأصل لا يعني العدول عن الفصيح إلى ما هو أقل فصاحة.

02 ـ التركيب لغة واصطلاحا:

تنطلق الرؤية النحوية من باب المفردات حين تركيبها وصولًا إلى التراكيب، وتهتم بدراسة المفردة والتحولات الطارئة عليها داخل تراكيبها لتنتهي إلى دراسة التراكيب، ويرى ابن جني: " أنَّ التصريف إنَّما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو لمعرفة أحواله المتنقلة"[3].والحركة الإعرابية التي نهجها علم

[1] ـ الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام النحوي والبلاغي، حسن منديل حسن العكيلي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط01، 2010، ص63.

[2] ـ البلاغة والأصول(دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي)، محمد مشبال، إفريقيا الشرق، المغرب،دط، 2007، ص49.

[3] ـ المصنف، ابن جني، تح: إبراهيم مصطفى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، دت، ج01،ص04.

النحو جعلت من الكلمة مدخلا للبحث في التراكيب"لأنَّ الدرس بأكمله قائم على مبدأ تواصلي هو انتحاء سمت كلام العرب والذي لا يمكنه أنْ يتحقق خارج إطار الجملة"[1]. فالكلمة أو المفردة في النحو تدرس في فلك التركيب، فلا يمكن دراسة المفردات خارج تراكيبها التي تكسبها قالبا خاصا بسياق الكلام في التركيب التي تندرج ضمنه والذي يكمن في ترتيب أجزاء بعضها إلى بعض وترابط محتواياته خدمة للمعنى السياقي.

أ ـ التركيب لغة:

جاء في قاموس المحيط:"ركبَّه تركيبا: وضع بعضه على بعض فتركَّب وتَرَاكَبَ"[2]. وورد في لسان العرب: "ركّب الشيء وضع بعضه على بعض، وقد تركّب وتراكب... وتقول في تركيب الفص في الخاتموالنصل في السهم،ركَّبه فتركّب فهو مركّب وركيب"[3].

ب ـ اصطلاحا:

ورد ذكر التركيب وبيانه في كتب النحاة القدامي باب ائتلاف الكلمات، يقول أبو علي الفارسي (ت 377هـ.): "الاسم يأتلف مع الاسم فيكون كلاماً مفيداً كقولنا: عمرو أخوك، وبشر صاحبك.ويأتلف الفعل مع الاسم. فيكون ذلك كقولنا: كتب عبد الله، وسُرَّ بشر"[4]. فالتأليف من هذا المنظور هو التركيب الذي يسند فيه اسم إلى اسم وهو الجملة الاسمية، أو إسناد فعل إلى اسم يليه وهو الجملة الفعلية، فتضم الكلمة أو مايجري مجراها إلى الأخرى لتكون الواحدة مكملة للأخرى في المعنى والحكم لوجود عامل يعلق الواحدة بأختها لتكون بذلك علاقة الإسناد هي المكوّن الأساسي للجملة لتكون الوحدة الإسنادية "وجهاً يفيد بأنّ مفهوم إحداهما هو المحكوم به ثابت أو منفي عن مفهوم الأخرى، وهو المحكوم عليه ويسمى المحكوم عليه مسندا إليه والعلاقة بينهما

[1] _ الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي، فؤاد بو علي، علم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2011، ص487.

[2] _ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ج01، ص91.

[3] _ لسان العرب، ابن منظور، مادة (ركب)، ج06، ص212.

[4] _ الّإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي،تح: حسن الشاذلي، الرياض، السعودية،ط01، 1969، ج02،ص09.

إسناداً"[1]. وقد يطول التركيب لما يتصل به ما لابد منه كي تتم الفائدة كشبه الجملة بنوعيها أو المفاعيل أو غير ذلك من المكملات التي ينعقد بها المعنى ويكتمل حتى ولو كانت فضلة صناعة.

والتركيب نوعان تركيب إفراد وتركيب إسناد، وهو الذي نعوّل عليه في بحثنا هذا وقد أطلق علماء النحو على التركيب اسم الجملة والكلام وعرّفه ابن جني بأنه:" كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحاة الجملة"[2]. ولعل في تسمية الجملة بهذا المصطلح ما يشير إلى مجموعة من الكلمات التي تكون لها دلالة عند التأليف بينها. وهي كما يقول ابن هشام: "عبارة عن فعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهمانحو: ضرب اللِّص، وأقام الزيدان،وكان زيد قائم"[3].

وقد تداخل مصطلح الجملة أو التركيب عند علماء النحو واللغة بين مصطلحين هما الكلام والكلم حيث لم يتعرض سيبويه واللغويون لمصطلح الجملة كمصطلح نحوي وتعرضوا إليه بمصطلح الكلام، فعبَّروا عنه بالإسناد تارةً والتأليف والتركيب تارةً أخرى.

ولعل أول من استخدم مصطلح الجملة بمفهومها النحوي الخاص هو المبرد في كتابه "المقتضب"

الذي يكافئ مصطلح الكلام في دلالته فقال: "وإنمَّا كان الفاعل رفعا، لأنَّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب. فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت: (قام زيد) فهو بمنزلة قولك: القائم زيد"[4]. وقد عرَّف عبد القاهر الجرجاني الكلام فقال:"فاعلم أنَّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة فإذا ائتلف منهما اثنان فأفادا نحو " خرج زيد " سمي كلاما "[5]. جعل عبد القاهر من الائتلاف شرطاً من شروط تشكيل التركيب عن طريق تآلف كل من المسند والمسند إليه وبالتالي يحصل الكلام.

---

[1] _ معاني التراكيب ، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط01، 2014، ص61.

[2] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص17.

[3] _ مغني اللبيب عن كتب الآعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،بيروت، دط،1991،ج02،ص419.

[4] _ المقتضب، المبرد محمد بن زيد، تح:محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، دط،دت، ج01 ص08.

[5] _ الجمل، عبد القاهر الجرجاني، تح: علي حيدر، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط،1972، ص40.

أما الزمخشري فلم يذهب بعيداً عن ذلك فجعل من الكلام "هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك "زيد أخوك" و"بشر صاحبك" أو في فعل واسم نحو قولك "ضرب زيد" و "انطلق بكر" وتسمى جملة "[1]. وورد في شرح الرضى على الكافية "الكلام ما تضمَّن كلمتين بالاسناد ولا يتأتى ذلك إلاَّ في اسمين أو في فعل واسم"[2].

يقوم التركيب الإسنادي على ثلاث حلقات متداخلة فيما بينها تكمل بعضها بعضا وهي:

1 ـ المسند إليه/ أو المتحدث عنه أو المبني عليه.

2 ـ المسند/ الذي يبنى عليه المسند إليه وهو ما يتحدث عنه.

3 ـ الإسناد/ وهو الرابط بين المسند والمسند إليه.

المطلب الثاني: ماهية العدول التركيبي:

انطلق العرب في وضع قواعدهم النحوية وتوجيه تحليلاتهم للتراكيب اللغوية مما سمعوه وجمعوه من أفواه العرب. ومن هذه المدونة استنطقوا النظام الذي بنيت عليه اللغة العربية "وهو في الحقيقة الانسجام الانتظامي المطرِّد أو الغالب الذي لاحظوه في استعمال العرب للغتهم. وهذا يسميه سيبويه أصلاً. ولا يمكن أنْ يعتبر أصلاً مسبقاً لأنَّه لم يتخيله النحاة من لا شيء هيهات أنْ يكون الأمر هكذا. فهو في الحقيقة نتيجة لعملية إحصائية حملية"[3]. وبهذا يكون العرب قد أدركوا أنَّ الكلام لا ينعقد إلا بالمركب من القول الذي يوضع للإبانة وتناط به الفائدة وذكروا أنَّ أقل ما يمكن أن ينعقد منه الكلام اسمان، أو فعل واسم تجمع بينهما رابطة الإسناد الذي هو "ضم الشيء إلى الشيء و إضافته له"[4].

[1] _ شرح المفصل، ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي النحوي)، علم الكتب، بيروت، دط، دت، ص6.

[2] _ شرح الكافية، الرضي محمد بن الحسن الاستربادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1985، ج01 ص 07،08.

[3] _ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمان الحاج صالح،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،وحدة الرغاية، الجزائر،ط01، 2012، ص73.

[4] _ التعريفات، الشريف الجرجاني، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1971، ص23.

فالإضافة هنا بمعنى التعليق والتأليف الذي تحكمه الضوابط النحوية والأعراف اللغوية التي تتجلى فيها التراكيب في هيئات متعددة توجهها سياقات عدة تفرض عليها الذكر أو الحذف ...إلخ "وأجزاء الكلام يكونان ملفوظين كزيد قائم، أو قام زيد؟ ومقدَّرين بنعم في جواب من قال: أزيد قائم؟ أو أقام زيد؟ أحدهما مقدراً دون الآخر وهو إما فعل كما في "إنَّ زيدا قائم" أو فاعل كما في "زيد قائم" أو المبتدأ أو الخبر كما في قوله:" فصبر جميل""[1]. وقال أيضا: "فالاسمان يكونان كلاما لكون أحدهما مسندًا والآخر مسندًا إليه وكذا الاسم مع الفعل لكون الفعل مسندًا والاسم مسندا إليه. والاسم مع الحرف لا يكون كلامًا إذ لو جعلت الاسم مسندا فلا مسند إليه ولو جعلته مسندا إليه فلا مسند، وأما نحو "يا زيد" فلسد يا مسد دعوت ، والفعل مع الفعل أو الحرف لا يكون كلاما لعدم المسند إليه. وأما الحرف مع الحرف فلا مسند فيهما، ولا مسند إليه."[2]

نستشف من هذا أنَّ الكلام هو تركيب مكوّن من فعل واسم أو اسم واسم أسند أحدهما إلى الآخر وما دون ذلك لا يجوز الإسناد فيه، فلا يجوز إسناد الحرف إلى الحرف كما لا يمكن أن يكون في الكلام جزء إسنادي بمعزل عن الجزء الثاني، حيث يكون الواحد منهما مكمّلاً للآخر ومتعلقا به بالصورة التي يحسن موقع الخبر بها وفائدة يحسن السكوت عليها.وقال عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد:"ومختصر الأمر: أنَّه لا يكون كلام من جزء واحد و أنَّه لابد من مسند ومسند إليه ... وجملة الأمر أنَّه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا، ولا من حرف واسم إلاَّ في النداء نحو ياعبد الله وذلك أيضا إذا حقق الأمر كان كلاماً بتقدير الفعل المضمر الذي هو أعني وأريد شيئا دليل عليه وعلى قيام معناه في النفس"[3].

وتناول النحاة قضية المسند و المسند إليه في بدايات بحثهم النحوي حيث عقد سيبويه بابا بعنوان " هذا باب المسند والمسند إليه "[4] حيث عرَّفهما بالقول هو: "ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم والمبتدأ والمني عليه وهو قولك "عبد الله أخوك" و "هذا أخوك " ومثل ذلك "يذهب عبد الله" فلا بد للفعل من اسم كما لم يكن للاسم الأول بد من

[1] _ شرح الكافية، الرضي محمد بن الحسن الاستربادي، ج01، ص 07،08.
[2] _ شرح الكافية، الرضي محمد بن الحسن الاستربادي، ج01، ص 09.
[3] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني النحوي ، ص05.
[4] _ الكتاب، سيبويه، ج01،ص272.

الآخر في الابتداء ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: "كان عبد الله منطلقا " " ليت زيدا منطلق" لأنَّ هذا لا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده "[1].

فكل من المسند والمسند إليه يعتبر وحدة إسنادية تبنى عليها الجملة عن طريق علاقة الإسناد. ونسبة المسند إلى المسند إليه كنسبة الخبر إلى المبتدأ ونسبة الفعل إلى فاعله والمعمول إلى عامله في الجملة، تربط بينهما علاقة ذهنية غير تصريحية تُوصل الموضوع بالمحمول وذلك أنَّ الإسناد هو إسناد أو نسبة إحدى الكلمتين حقيقة أو حكمًا إلى أخرى سواءً أكان مقصودا لذاته أو لا، فالرابطة الإسنادية هي قرينة معنوية نلتمسها في السياق. وهذا ما يسميه عبد القاهر الجرجاني بالتعليق الذي أراد به تركيب الكلام بعضه ببعض إذ يقول: "والكلام ثلاث : اسم وفعل وحرف وللتعليق بينهما طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما "[2].

فما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بمصطلح "التعليق" إنما يقصد به تعليق وحدة لغوية بأخرى وإسنادها إليها للوصول إلى التركيب بأبسط صوره فلا ينظر إلى الألفاظ بمعزل عن سياقها اللغوي التركيبي فمزية اللفظ عنده لا تكمن في نفسه بل في سلسلة تركيبية ، فضروري تعلق كل مفردة بأخرى مع إمكانية تعلق حرف بهما إن استدعى المعنى ذلك لتشكيل تركيب تام مستوفٍ لمعناه وفقًا للعلاقات السياقية فالألفاظ تتميز في التركيب الذي يحويها كي يكون الكلام مفيدا.

وهو ما أشار إليه ابن مالك (ت 672 هـ) في قوله: "كلامنا لفظ مفيد كاستقم "[3]. فلفظ استقم إنَّما هو تركيب إسنادي تعلق فيه الفعل بصيغة "افعل" التي تدل على فعل الأمر وفاعله المستتر المتعلق به المقدر بأنت أدى معنى يحسن السكوت عليه وهذا ما يسمى بالكلام. إذ أن الوصف النحوي " ليس جامدا أصما خاليا من الدلالة إذ الوصف النحوي وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها بالبعض الآخر"[4].

[1] _المصدر السابق،ج01، ص23، 25.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 06.

[3] _ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01 1955،ص15.

[4] _ النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط01، 2000، ص40.

أدرك علماء اللغة قديما أنَّ الدراسة التركيبية إنَّما هي أساس الدراسة اللغوية، وما دراستهم للألفاظ داخل الجمل من فاعل ومفعول وصيغ المبالغة واسم الفاعل والحروف إلاَّ سعياً منهم للوصول إلى المعاني التي تؤديها داخل التركيب. فاللَّفظة الواحدة لا تفيد إلاَّ إذا اندرجت ضمن تركيب معين باعتبار أن اللغة مجموعة من الأنظمة الدالة تحيا تراكيبها وسط سياق لغوي تتواءم فيه البنية التركيبية والدلالة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإعراب يعد بمثابة الضامن فهو يضمن سلامة المعاني و ملاءمتها مع بعضها بعضا في التركيب حسب ما يقتضيه علم النحو وقوانينه، والكشف عما يسميه عبد القاهر الجرجاني بالتعليق بين الوحدات الإسنادية. حيث يقوم الإعراب على تحديد الوظائف الدلالية للألفاظ داخل التركيب لأنَّ الألفاظ"مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو المستخرج لها وأنَّه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه. والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه "[1].

يتأتى المعنى إذن بالعلامات الإعرابية التي تعدُّإحدى القرائن اللفظية التي تحدد المعنى و توضِّح الأركان الإسنادية ضمن التركيب،إضافة إلى تحديد التقدير الحاصل في الكلام من حذف وتكرار وإضمار وتقديم وتأخير وتعريف وتنكير، فيُعدل عن الأصل وفقًا لشروط يضعها النحو نفسه. وبناء على ذلك لا يقع التصرف إلاَّ أن يؤمن اللبس فتحصل الفائدة، ووجود دليل على الحذف ومفسر على الإضمار. ووضوح المعنى في التقديم والتأخير في الرتب غير المحفوظة كما "لا بد لكل عنصر لغوي من علامة إعرابية يعرف بها ضمن المجموعات الجزئية المتفقة لفظاً والمختلفة أداءً ومعنىً لذلك كان لابد لكل عنصر لغوي من ظاهرتين متلازمتين لتحديد نوعه في سياق الكلام .وهما ظاهرة معنوية وأخرى لفظية "[2]. وعليه فإنَّ الألفاظ تكتسب أشكالًا نحوية داخل النظام النحوي وفقا لمقتضيات القوانين النحوية إضافةً إلى ما يترتب عن التبدل في التركيب من معانٍ ودلالات جديدة مولّدة.

[1] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص23.

[2] _ النحو العربي والمنطق الرياضي، مها خير بك ناصر، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط02، 2014، ص373.

يقوم البعد العاملي بتحديد سلامة الإعراب داخل التركيب. وتكمن مهمة العامل في تحديد الكلمات حسب حالتها الإعرابية. "وهو ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو ساكناً نحو: جاء زيدٌ، ورأيت زيداً و مررت بزيدٍ."[1] وذلك حسب الدور الذي تؤديه العوامل اللفظية والمعنوية فقد جعل النحاة من العامل ومعموله النحوي قيدًا لأشكال التركيب المختلفة على هديه وهو ما يساعد على ضمان تأدية الجمل لمعانيها الدالة عليها.[2]فبالرغم من وسم النحوبالعاملية إلاَّ أننا لا نستطيع أنْ نتحاشى أو ننكر خاصية الإعراب التي تعد شرطًا ضروريًا لضبط المفردات داخل تراكيبها. والعامل فهو على حد قول عبد القاهر الجرجاني:"ما به يتقوم المعنى المقتضي للإعراب."[3] فصنف التركيب على ضوء نظرية العامل واعتبر أساس ضبط التغير الإعرابي الذي يلحق بالمفردة الكامنة في التركيب ويعمل العامل على جملة من الأصول نوجزها فيما يلي :

1_ كل حركة إعرابية هي تحصيل حاصل لعمل عامل يؤثر فيها ويتسبب في ورود علامة إعرابية معينة وعلى ذلك الأساس يمكننا التقدير والحذف والتقديم والتأخير في الكلام.

2_ لا يعمل العامل في معمولين :

3_ لا يعمل عاملان في معمول واحد . وقد نتج عن هذا ما يعرف بباب التنازع في النحو. وذلك نحو : قام وقعد زيد. وقد ذهب جمهور مدرسة البصرة إلى إعمال الفعل الثاني أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى إعمال الفعل الأول.[4]

4_عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال : العمل للأسماء في الأصل. [5]

5/ رتبة العامل قبل رتبة المعمول.

6/ عوامل الأفعال لاتعمل في الأسماء وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال .

---

[1] _ العوامل المائة النحوية، عبد القاهر الجرجاني، دار الطلائع، القاهرة، دط،2016، ص22.

[2] _ ينظر: الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي، فؤاد أبو علي، ص 490.

[3] _ العوامل النحوية المائة، عبد القاهر الجرجاني، ص 22.

[4] _ الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار السعادة، القاهرة، ط4، 1961 ص83.

[5] _ ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، ج01ص 84. وينظر:تمام حسان، الأصول، ص 134.

وكما سبقت الإشارة لا تقوم الكلمة أو اللفظة الواحدة من تأدية المعاني المطلوبة دون إسناد الواحدة إلى الأخرى فكل ركن من أركان الإسناد عمدة في الجملة لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال في التركيب وما دون ذلك فهو فضلة يمكن الاستغناء عنها.[1]

والفضلة في التركيب هي التي لاترد مسندًا أو مسندًا إليه كالمفاعيل والتمييز والتوابع والمضاف إليه والمضاف إذا أضيف إلى فضلة. ويرى السامرائي أنَّ الفضلة لا تعني أنَّه يمكن الاستغناء عنها في كل الأحوال فقد تكون واجبة الذكر لأنَّ المعنى يتوقف عليها في كثير من الأحيان كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴿١٤٢﴾﴾ النساء 142. حيث لا يمكن الاستغناء عن كسالى التي تعد فضلة في التركيب وكذلك في الآية: "ولا تقولوا على الله إلا الحق "وأنَّه قد تكون العمدة واجبة الحذف والفضلة واجبة الذكر كما في التحذير والإغراء نحو "إياكم والكذب" و "الله الله في الدماء"،وفي حذف عامل المفعول المطلق نحو "صبرا آل ياسر".ليصل بالمراد من مصطلح الفضلة في أنَّه لا يمكن للكلام أن يتألف من دون عمدة في حين أنَّه هناك معاني لا تستدعي ورود العمدة في الكلام.والاستغناء عن العمدة لا يخرجه عن كونه عمدة وعدم الاستغناء عن الفضلة في بعض المواضع لا يخرجها عن كونها فضلة كذلك[2]. وتكون العمد مرفوعة في الأصل إلاَّ إذا دخلت عليها النواسخ فكل مرفوع عمدة كالفاعل والمبتدأ والخبر أما المنصوبات والمجرورات أو الفضلة فهي محمولة عليها[3].

وقد وضع النحاة مجموعة من الضوابط التي تحكم أصل التركيب وقيدوا العدول عن ذلك الأصل بمجموعة من المحترزات نحو قولهم:

"ــ الأصل الذكر فإذا عدل عنه إلى الحذف وجب تقدير المحذوف من ركني الجملة.

ــ الأصل الإظهار، فإذا أضمر أحد الطرفين وجب تفسيره.

ــ الأصل الرتبة بين عناصر الجملة وقد يعدل عنها إلى التقديم والتأخير.

[1] ــ ينظر: الأصول، تمام حسان، ص 130.

[2] ــ ينظر: الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، دار بن حزم، بيروت، ط01، 2000 ص 14.

[3] ــ ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، مصر، ط05، 1975، ص 661.

ـ الأصل الإفادة، فإذا لم تتحقق الفائدة فلا جملة، وتتحقق الإفادة بالقرائن حين يؤمن اللبس".[1]

ويخالف التركيب النحوي الأصل في العديد من المواضع فلا يُنظر إلى التركيب من ناحية الصحة النحوية فحسب حيث نلتمس ذلك في بعض المواضع عندما تتغلغل المعاني البلاغية في وجدان المتكلم العربي حيث تدب حركة أخرى في التراكيب مع مراعاة واحترام المعاني النحوية أثناء نظم الكلام. وحول هذا يدور مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني الذي جعله قائما على أربعة أسس لابد للفصاحة منها وهي: النظم والبناء والترتيب والتعليق والذي يعد"أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن"[2]. ويتجلى ذلك في تأكيد عبد القاهر على توخي المعاني النحوية أثناء تركيب الكلام وهذا ما تبنّاه علم المعاني الذي يحرص على مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وكان سيبويه قد نبّه إلى أن ترتيب الوحدات في الكلام تؤطّره جملة من العوامل منها ما يتعلق بالمقاصد والأغراض نحو قوله:" كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كان جميعا يعنيانهم"[3].وإنما أراد سيبويه من هذا الكلام التنبيه إلى أنَّ التركيب الإسنادي لا ينظر إليه من ناحية الأصل الوضعي فحسب، بل قد يكون للمقام دور في توجيه الكلام وذلك حسب ما يقتضيه الحال. فالكلام البليغ تستخلص قيّمه البلاغية من كلام لغوي سابق أو ما يعرف بالأصل الوضعي. فاكتشاف الإبداع في الكلام الأدبي يتم بعد التشبث بحبال أصولها الوضعية وينتج عن ذلك العدول المحوّل عن تركيب نحوي سابق في حدوده المسموح بها."وهذا الكسر للنظام القواعدي المعتاد إنمَّا الغرض منه توليد دلالات و معان بلاغية ما كان لها أن تكتسب الطابع الجمالي لولا ذلك الانتهاك المحكم الذي من شأنه تصوير ملامح الذات المنفعلة بأدقّ تفاصيلها عن طريق التصرّف بخصائص التركيب اللغوي لينشأ بناء لغوي ذو نسق جمالي بتركيبة لغوية فريدة"[4].

بناءً على ما سبق نخلص إلى أنَّ التركيب أو الجملة أو الكلام أو التعليق، كل هذه المصطلحات إنمَّا أراد بها المتقدمون ضم الكلمات بعضها لبعض مع مدلولها التركيبي بحيث يكون للوحدات في

[1] _ الأصول، تمام حسان، ص 130.

[2] _ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط04، 2004، ص186.

[3] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص24.

[4] _ التراكيب النحوية العربية، رابح بو معزة، دار أرسلان، دمشق، دط، 2015، ص12.

الجملة معنى معجمي خاص،ولهيئتها التركيبية بعد الضمّ والإسناد القائم بالكلمات الدالة معنى خاصّ يخدم السياق الذي من أجله ينتج الكلام، ويتحقق المعنى، وبالتالي الفائدة من العملية الكلامية. فالتركيب بمثابة الخلية الحية لجسم اللغة،مكون من ركنين لا ثالث لهما أساسهما المسند والمسند إليه. وذلك بإسناد الفعل لفاعله وإسناد الخبر لاسمه مع تحقيق الفائدة المتوخاة من الكلام للمخاطب إضافة إلى القرينة المعنوية الرابطة بينهما في الجملة بنوعيها الاسمية والفعلية.

المبحث الثاني: العدول في التراث العربي.

عرفت عملية البحث في أسرار اللسان العربي وطبيعة تراكيبه جملة من المصطلحات التي أطّرت مسار البحث اللغوي عند سعي علماء اللغة من نحويين وبلاغيين، لوضع تصوّر عام للمنظومة اللغوية التي أقيم صرحها على أصول مطّردة وفروع ناجمة عن العدول عن تلك الأصول. وللإعراب عن هذه الظواهر كان لزاما عليهم التعبير عنها بمصطلحات مناسبة لذلك الفعل اللغوي. وقد خصت عملية التحول هذه وخروج الأسلوب على غير مخرج العادة بمصطلحات دارت في فلك التوسع والعدول وهو ما نسعى إلى تتبع أثره في هذا المبحث.

المطلب الأول:تأصيل مصطلح العدول.

تكشف كتب التراث اللّغوي عن وعي اللغويين بظاهرة التحوّل الأسلوبي الذي يلحق أصول التركيب التي عبَّروا عنها بأصل الوضع وما خرج عنها. وسمّوه بالعدول أو ما يدل على معناه كالتوسع،والمجاز...إلخ

وكان للدراسات اللغوية الناظرة في الأسلوب القرآني الأثر البارز في الوقوف على حقيقة هذه الظاهرة الأسلوبية التي استرعت انتباه علماء اللغة والمفسرين. فقد ورد مصطلح العدول لدى سيبويه (ت180 هـ) حيث قال:"واعلم أن ياءي الإضافة إذا ألحقت الأسماء ... فمنه ما يجيء على غير قياس، ومنه ما يعدل وهو القياس الجاري في كلامهم ... قال الخليل: كل شيء في ذلك عدلته العرب تركته على ما عدلته وجاء تماما ما لم تحدث العرب فيه شيئا فهو على القياس، فمن المعدول الذي هو على غير القياس قولهم في هذيل هُذَلي"[1].

كما عبّر عن هذا المفهوم بما يدل على معناه وهو"التوسع" على أنَّه ضرب من ضروب المجاز،مع تلك الطرائق التي يستعملها المتكلم في اللغة من حذف، وتقديم وتأخير. فقد ذكره في العديد من المواطن نذكر منها حديثه عن حذف المضاف حيث قال: "ومنه اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار"[2]. وفي باب وقوع الأسماء ظروفاً وذلك في قوله: "وقد تقول سيمر عليه

[1] _ الكتاب،سيبويه، ج01، ص272.

[2] _ المصدر السابق، ج01، ص272.

اليوم، وأنت تعني بعضه كما تقول في سعة الكلام " ليلة الهلال" وإنما الهلال في بعض الليلة. وإنما أراد الليلة ليلة الهلال ولكنّه اتسع وأوجز."[1]

كما تعرّض أبو عبيدة(ت210هـ) في كتابه "مجاز القرآن" إلى مفهوم العدول الذي عبَّر عنه بمصطلح المجاز الذي يشمل عنده كل أصناف العدول من تقديم و تأخير وحذف والتفات، وغير ذلك من سبل الكلام التي تضمّنها الذكر الحكيم وفي هذا يقول: "ومن المحتمل من مجاز ما اختصروا فيه مضمرًا قال:﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا﴾فهذا مختصر فيه ضمير مجازه وانطلق الملأ منهم "[2].وقال في موضع آخر: "ومن مجاز ما كف عن خبره استغناءً عنه وفيه ضمير قال:﴿حتى إذا جاؤوها وفتّحت أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾"[3] أراد أبو عبيدة بالمجاز في هذا القول العدول عن الأصل بالحذف، والملاحظ أنَّ دلالة مصطلح المجاز عند أبي عبيدة أرحب من غيره وذلك أنَّه أراد به العدول بكل أنواعه.

وقد خصّ ابن قتيبة (ت 276هـ)مختلف الإجراءات الأسلوبية التي يعدل فيها عن الأصل بمصطلح المجاز. حيث نبَّه إلى أنَّ ظاهرةالعدول التي تمتاز بها اللغة العربية وما جاء من بليغ القول منها في القرآن الكريم يحول دون ترجمته إلى لغات أخرى،"لأَّن العجم لم تتّسع في المجاز اتساع العرب."[4]لقد عزا ابن قتيبة استحالة ترجمة القرآن إلى الثراء البلاغي الذي تتمتّع به اللغة العربية؛ وما تزخر به من أساليب تفضل بها اللغات الأخرى.

كما وظَّف مصطلح المجاز ليعبر عن العدول بنوعيه التركيبي والدلالي في قوله: " وللعرب مجازات في الكلام ... ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير،والإخفاء والإظهار،والتعريض،والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والميع خطاب الواحد. "[5] نستشف من هذا القول أنَّ مصطلح المجاز عند ابن قتيبة يكافئ في دلالته مصطلح

[1] _ الكتاب، سيبويه، ص 176.

[2] _ مجاز القرآن، أبو عبيدة، تح: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، مصر، دط، دت، ص 08.

[3] _ المصدر السابق،ص09.

[4] _ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح : السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص 21.

[5] _ المصدر السابق، ص20.

العدول عن الأصل الذي يلجأ إليه المتكلم للإبانة عما يختلج في صدره، عبر تراكيب يكيِّفها تبعا لمقاصده الفكرية.

وقد ورد ذكرهذا المصطلح بصيغة اسم المفعول عند الرماني (ت 382هـ) عند حديثه عن أوجه المبالغة حيث يقول:"منها المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة وذلك على أبنية كثيرة منها "فعلان" ومنها "فعّال" و"فعول" "مفعل" و"مفعال".... ومن ذلك فعّال كقوله تعالى:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ سورة طه،الآية:82. معدول عن غافر للمبالغة وكذلك توّاب وعلاّم."[1]

واستعمل ابن جني (392هـ) في كتابه الخصائص لفظ العدول أثناء تفريقه بين الحقيقة والمجاز بصيغة ما لم يسم فاعله حيث قال: "إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة "[2] كما ذكره في موضع آخر في: "باب في قوة اللفظ لقوّة المعنى "[3] حين رأى أنَّ العدول من وسائل تكثير اللفظ لتكثير المعنى.

وأشار هذا الأخير إلى العدول أثناء حديثه عن المعايير الجمالية للكلام التي يؤطِّرها العدول تحت عنوان شجاعة العربية التي انحصر مفهومها في الخروج عن الأصل اللغوي حيث يقول: "اعلم أنَّ معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة ،والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف. "[4]

وجاء المصطلح بلفظه عندابن سيده (ت458 هـ)، في باب ما جاء من صفات المؤنّث على فاعل فقال: "هذا الباب يستوِي فيه المذكّر والمؤنّث ومذهب الخليل وسيبويه في ذلك وما كان نحوه أن ذلك إنما سقطت الهاء منه لأنه لم يجْرِ على الفعل وإنَّما يلزم الفرق بين المذكّر والمؤنّث فيما كان جاريا على الفعل لأنَّ الفعل لا بدّ من تأنيثه إذا كان فيه ضمِير المؤنّث كقولك هِنْدٌ ذهبَتْ وموعِظةٌ جاءتْكَ

[1] _النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام،دار المعارف بمصر، ط03، د ت، ص 104.

[2] _ الخصائص،ابن جني، ج02،ص242

[3] _ ينظر: المصدر السابق،ج03، ص267.

[4] _ ينظر: المصدر السابق،ج02،ص360.

ولُزُومُ التأنيثِ في المستقبل آكد وأوجب كقولك هند تذهب وموعظة تجيئك. وإنما صار في المستقبل ألزم لأن ترك التأنيث لا يوجب تخفيفا في اللفظ لأنه عدول من تاء إلى ياء والتاء أيضا أخفُّ."[1]

كما ورد المصطلح بلفظه عند عبد القاهر الجرجاني(471هـ) أثناء تقسيمه للكلام حيث يقول: "اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسمٍ تُعْزى المزية والحسن فيه إلى اللفظِ . وقسمٍ يُعزى ذلك فيه إلى النَّظم . فالقسم الأول: الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حدِّ الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر."[2] للإشارة فإنَّ الجرجاني يرى في إخراج الكلام على خلاف الأصل، والعدول به عنه مزية تكسبه شرفا وحسنا. واستعمله بصيغة الفعل الماضي عند حديثه عن الإظهار والإضمار حين أورد قول الشاعر:

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ[3]

وقال وهو يحلل الظاهرة:" كأنّه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا وسبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرِّح بذكره ليقررَّه في نفس السَّامع ويؤنسه به"[4].

واستعمل فخر الدين الرازي (ت 606هـ) مصطلح العدول أثناء حديثه عن الالتفات الذي يعدُّ من أهم مباحث العدول فقال:"العدول من الغيبة إلى الخطاب وبالعكس."[5]

وأورد السكاكي (622هـ) في كتابه مفتاح العلوم مصطلح العدول في حديثه عن التقديم والتأخيرفقال: "العناية التامة بتقديم ما يقدّم والاهتمام بشأنه نوعان: أحدهما أن يكون أصل الكلام

---

[1] _ المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تح:لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة،بيروت،دط،دت، ج05، ص120.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 329.

[3] _ ينظر: الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت،ط01، 1998،ج01،ص 251. وينظر:ديوان المعاني، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، مكتبة القدسي، القاهرة، دط، 1352هـ،ج02،ص175.

[4] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ص126-127.

[5] _ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: سعد سلمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، مصر،ط01، 2003 ص151.

في ذلك هو التقديم، ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو إلى العدول عنه كالمبتدأ المعرف فإن أصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف"[1].

ويقول ابن الأثير(637هـ) مبينا علة العدول عن الحقيقة إلى المجاز:"وأما القسم الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه فذلك لا يكون إلاَّ لطلب التوسع في الكلام، وهو سبب صالح؛ إذ التوسع في الكلام مطلوب."[2]

أما جلال الدين السيوطي (911هـ) فقال في باب خصائص اللغة:"والذي دعاهم إلى التكنية الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ونظيرهُ العدولُ عن فعلٍ إلى فعل في نحو قوله:﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾سورة هود الآية 44."[3]

واستعمل ابن هشام (761هـ) مصطلح التحويل الذي يكافئه في الدلالة في معرض حديثه عن أقسام التمييز فقال:" أحدها أن يكون محوّلا عن الفاعل كقول الله عز وجلّ: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾سورة مريم الآية: 04. أصله واشتعل شيب الرأس. وقوله تعالى:﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ سورة النساء الآية:04 أصله: فإن طابت أنفسهنّ لكم عن شيء منه. فحوّل الإسناد فيها عن المضاف.. ثم جيء بذلك المضاف الذي حوّل عن الإسناد فضلة تمييزا. الثاني أن يكون محوّلا عن المفعول...الثالث أن يكون محوّلا عن غيرهما...الرّابع أن يكون غير محوّل."[4]

---

[1] _ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط02، 1987، ص102

[2] _المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد عبد الرحيم، دار الفكر،بيروت،ط01، 2005م، ص266 .

[3] _المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد عبد الرحيم، دار الفكر،بيروت،ط01، 2005م، ص266 .

[4] _ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، ص174.177.

انطلاقا مما سبق يتضح لنا جليا حضور مصطلح العدول بلفظه بقوة في التراث العربي. كما ورد بمرادفه للدلالة على الظاهرة كالتوسّع، وشجاعة العربية، والتّحويل ...إلخ.وتبقى الريادة لمصطلح العدول الذي وجد فيه علماء اللغة قديما خير مصطلح دال على كل أنواع التصرف في الكلام.

المطلب الثاني: تأصيل ظاهرة العدول:

نالت ظاهرة العدول في التراث العربي القديم حظها الأوفر من الدراسة ،إلا أنَّه لم يتم تناولها بشكل مستقلّ. ولم تفرد لها مؤلفات ومصنفات خاصة لدراستها بل جاءت في ثنايا الكتب،مستقطبة أفهام علماء اللغة باعتبارها ظاهرة لغوية لافتة للانتباه،رغبة منهم في إيضاح أسباب الإعجاز القرآني الذي أفحم الألسن وبهر العقول. ومن هذا هرع العلماء إلى تقصي الإعجاز الكامن وراء الأساليب القرآنية. فجاءت مبثوثةً في ثنايا كتبهم الناظرة في إعجاز القرآن الكريم "فجعلوا يلفتون الأنظار إلى ظواهر أسلوبية فيه يتخذونها مراقي إلى إثبات إعجازه"[1].ولعل عناوين مؤلفاتهم خير شاهدٍ على وعيهم التام بهذه الظاهرة الأسلوبية التي شحنت بها مؤلفاتهم مثل: معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة،ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت311 هـ)، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي (ت404هـ)، وإعجاز القرآن للقاضي عبد الجبار(ت 415هـ) ...إلخ.

ولعل السمة الجامعة بين دروب البحث في الأسلوب القرآني كامنة في وعيهم التام بظاهرة العدول عن الأصل التي تحليها لغة فنية راقية، لأن كل " المبررات التي ساقوها والتسميات التي أطلقوها على حاصل الفرق بين ظاهر العبارة وباطنها، ما لبثت أن تكون منها هيكل أو نظام المصطلحات الرئيسية في مجموعة الأساليب التي يقوم عليها البحث الفني، وتتحدد في إطارها خصائص اللغة الأدبية البليغة."[2]

تكلّم سيبويه عن الظاهرة فقال:"امتلأت ماءً" و"تفقأت شحمًا" محوّلة عن "امتلأت من الماء" و"تفقأت من الشحم" فحذف لهذا استخفافا. "[3]فجعل سيبويه من تحويل الكلام من صيغة إلى

[1] _ الأصول، تمام حسان، الأصول، ص306.

[2] _ نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2013، ص413.

[3] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص 204.

أخرى عدولاً عن الأصل تتحقق من خلاله الخفة في الأداء الكلامي وفي هذا الصدد يقول الصميري: " أحدهما منقولٌ عن أصله والآخر غير منقولٍ كما في الجملة "تصبّب عرقًا " و"حسن وجهًا "كان الأصل" تصبب عرقه وحسن وجهه ثم نقل الفعل عن فاعله وجعل لما هو من سببه للتصرف في الكلام والاتساع فيه."[1]فنقل التركيب من صيغة إلى أخرى من شأنه أن يضفي على الكلام رونقًا وطابعًا لا يتحقق بالصيغة الأصلية له وقال في سياق آخر:" ...ومثل ما أجرى مجرى هذا في سعة الكلام والاستخفاف قوله عز وجل:"بل مكر الليلِ والنهارِ" فالليل والنهار لا يمكران بل المكر فيهما" ويقول كذلك: "ومثله في الاتساع قوله عز وجل:" ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء "فلم يشبهوا بما ينعق وإنما شبهوا بالمنعوق به."[2]

فالتوسع والتحول عند سيبويه تعلّق بكل التراكيب التي تخرج عن نمطها الاعتيادي للإيجاز والاختصار والتخفيف تارةً، والاهتمام والتخصيص تارةً أخرى.

وتناول الفراء (ت207هـ) الظاهرة المتجلية في الأساليب القرآنية في كتابه "معاني القرآن" فقال في قوله تعالى:﴿ ۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ ﴾ سورة الحج، الآية:19.لم يقل اختصما لأنهما جمعان ليسا برجلين،ولو قيل اختصموا كان صوابا ومثله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ سورةالحجرات 09. يذهب إلى الجمع ولو قيل اقتتلنا لجاز يذهب إلى طائفتين."[3]

فالعدول عن صيغةٍ إلى صيغةٍ أخرى أراد بها الفراء أنَّ المغايرة إنما هي من مسالك العربية، منبهًا إلى مستوى الصحةِ النحوية في أساليب العدول.

وتناول الظاهرة أبو عبيدة(ت 210هـ) في كتابيه "مجاز القرآن" و" إعجاز القرآن"، حيث تتضح قضية العدول اللغوي جلية من خلال عناوين مؤلفاته التي تدرس في مباحثها الأساليب القرآنية المتمثلة في أسلوب "المجاز" الخارج عن الأصل.

[1]_ التبصرة والتذكرة، الصميري، تح: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، إحياء التراث الإسلامي، ط01، 1983ج1، ص316.
[2]_ الكتاب، سيبويه، ج01، ص212.
[3]_معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1983م. ج2، ص 221.

إنَّ استخدام أبي عبيدة لكلمة المجاز في كتابه "مجاز القرآن"، يكشف عن إدراكه العميق لكُنه ظاهرة العدول التي برزت في قوالب شتَّى "للإشارة فإن لفظة مجاز عنده ليست مقابلة للحقيقة مثلما هو متعارف عليه عند المتأخرين،وإنما تنصرف إلى مختلف وجوه الصياغة التعبيرية التي اعتراها العدول،ومدلول الكلمات في النص. وبذلك فهي أرحب دلالة مما آل إليه مصطاح المجاز واستقرت عليه الدراسات البلاغية لاشتمالها على مختلف الظواهر اللغوية والأسلوبية التي روردت على خلاف النمط الأصلي الذي تصوره النحاة"[1]. فهو في بداية كلامه يقول: "ومن مجاز ما جاء لفظه الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع ﴿يخرجكم طفلا﴾ في موضع أطفالًا... ومن مجاز ما جاء من لفظ خير الجميع على لفظ الواحد قال: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ في موضع ظهراء ...ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قال الله تعالى:﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم.﴾ أي بكم. ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد قال: "ثم ذهب إلى أهله يتمطى فأولى لك فأولى."[2] ومدلول هذه المجازات بتعبير أبي عبيدة هو السعي إلى تفسير جملة من تراكيب القرآن الكريم العادلة عن الأصل بما يتوافق وسنن العرب في كلامهم، معتمدًا في طرحه هذا على"موازنة ظاهر العبارة الفعلي بباطنها النمطي المثالي المقدر،ليتضح بذلك ما في العبارة الفعلية من تقديم، أو تأخير، أو إيجاز، أو إطناب، أو حذف."[3] وهو في تفسيره لهذه الظواهر يدعمها بنظائر ذلك من مأثور كلام العرب الذين نزل بلسانهم، مثال ذلك حديثه عن العدول عن الجمع إلى الإفراد في قول الله عز وجل:﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾سورة يس، الآية: 35.34.يقول:"مجاز هذا مجاز قول العرب يذكرون الاثنين ثم يقتصرون على خبر أحدهما، وقد أشركوا ذلك فيه وفي القرآن﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾سورة التوبة، الآية: 34.وقال الأزرق بن طرفة:

رَمَاني بأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًاومِنْ دُونِ الطَّوِي رَمَاني.

اقتصر على خبر واحد وقد أدخل الآخر معه، وقال حسان بن ثابت:

---

[1] _ العدول التركيبي،مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص37.38.

[2] _ مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج01، ص10.09.

[3] _ نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، ص 460.

إنَّ شَرْحَ الشَبابِ والشَعْرِ الأَسْوَدِ مَا لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنُونًا.

ولم يقل يُعاصيا وكانَا."[1]

وكذلك كتاب " البيان والتبيين" للجاحظ (ت 255 هـ) "الذي استوحي عنوانه من آيات القرآن." فالله سبحانه "خلق الإنسان علَّمه البيان" وهو يقول: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم "فالبيان والتبيين من الغايات التي يسعى إليها النص القرآني."[2] فعنوان كتاب الجاحظ يترجم فحواه الذي يسبح في فلك الأساليب الإعجازية في الخطاب القرآني الذي يحمل في طياته كمًا هائلًا من أصناف العدول.

ووقف الجاحظ على المجاز الذي يعد من العدول الدلالي في كتابه "الحيوان " كذلك وعده من مفاخر العرب في لغتهم فوقف عند الآية:﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة النحل، الآية:69. فقال: "فالعسل ليس بشراب وإنما هو شيء يحول بالماء شرابًا، أو بالماء نبيذًا فسمّاه كما ترى شرابًا، إذ كان يجيء منه الشراب، وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا: جاءت السماء اليومَ بأمر عظيم وقد قال الشاعر :

إذَا سَقَطَ السَمَاءُ بأرضِ قَوْمٍ رَعَيْناهُ وإنْ كَانُوا غِضَابًا.

فزعموا أنهم يرعون السماء، وأنَّ السماء تَسْقُط، ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها."[3] كما وقف في البيان والتبيين على قول الشاعر.

وَسَمَـــــاعُ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنَا حَتى نَـــنَامَ تَنَاوُمَ العَجَمِ

فَصَحوْتُ والنَّمْري يَحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخَالَة النَّجْمِ.

[1] _ مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج02، ص161.

[2] _ الأصول، تمام حسان، ص 306.

[3] _ الحيوان، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح: غسان شديد، دار نويليس، بيروت، ط01، 2005، ج05، ص425.

فقال: "هذا ما يدل على توسُّعهم في الكلام، وحمل بعضهِ على بعض واشتقاق بعضه من بعض."[1]فالمجاز عند الجاحظ من العدول وهو علاقة جدلية قائمة بين الدوال والمدلولات. لم تكن قائمة بينها في الأصل الوضعي، مما يخلق قوالب كلامية مستجدة يُلهمها المبدع. ويفهمها المتلقي بطريقة فنية مغايرة تمامًا للنمط المألوف. متخذًا من المجاز وسيلة لمطابقة مقتضى الحال وذلك بالخروج عن ظاهر اللفظ. وقال في كتابه الحيوان كذلك:"الطائر هوائي، والسمك مائي مجاز كلام."[2]

أما ابن قتيبة (ت 276هـ) فأشار إلى مختلف أصناف العدول في كتابه "تأويل مشكل القرآن"،سالكًا نهج أبي عبيدة في اتخاذه مصطلح المجاز للدلالة على أساليب العدول،حيث أفرد بابًا لذكر العرب وما خصّهم الله به من العارضة والبيان واتّساع المجاز."[3] حيث قال: "وللعرب مجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب،والتقديم والتأخير،و الحذفوالإخفاء والإظهار ... مع أشياء كثيرة سنراها في أبواب المجاز وبكل هذه المذاهب نزل القرآن."[4] حيث يرى أنَّ أسلوب العدول المتجلي في المجاز عنده أسلوبٌ نابعٌ من خصائص اللغة العربية. ولا يعد خروجًا عنها وإنما هو منها. وهو إحدى الميزات التي خص الله بها العرب"فإنّه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ... ما أوتيته العرب."[5]

وقرّر المبرد (ت 282هـ) أن الكلامَ قد يَعدِل عن أصله الذي يكون عليه. فالكلام عنده أسلوبان:أسلوب حقيقة لغوية وأسلوب يتسع عن دائرة اللغة الأصلية، حيث نال هذا الأخير حظه الأوفر من الدراسة في كتابيه "الكامل" و"المقتضب"، فتناول العديد من قضايا العدول منها التقديم والتأخير في التراكيب الذي يشكل صلة وثيقة بضبط المحتوى الدلالي للكلام الذي يتطلبه المقام ويحتاجه لتوجيه فحوى الكلام صوب الهدف المنشود.وكذلك الحذف نحو حذف المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو الفعل ...إلخ[6].

---

[1] _البيان والتبيين، أو عثمان بن بحر الجاحظ، تح: موفق شهاب الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2 2003، ج1، ص230

[2] _ الحيوان، الجاحظ، ج02، ص 405.

[3] _ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط02، 1973، ص10.

[4] _ المصدر السابق، ص 15،16.

[5] _ المصدر السابق، ص10.

[6] _ ينظر: المقتضب المبرد، ج01، ص42، وج03،ص105، و ينظر:ج03، ص95.

وربط ابن المعتز (ت 296هـ) الإبداع الكامن في العدول بالبليغ من القول. وأشار إلى مواطنه في القرآن الكريم الذي استخدمت فيه اللغة استخدامًا خاصًا، وكذلك ما هو موجود في لغة الشعر من كلام مختار.والبديعُ عند ابن المعتز مصطلح جامع لكل أصناف البيان التي تتيح إمكانية التصرف في اللغة بالتجاوز والخروج خدمة للمعنى الذي يرمي إليه العدول.

وربط قدامة بن جعفر(ت337 هـ) العدول بالمجاز وخروج الكلام على ما وضع له في أصل اللّغة بغرض التوسع في التعبير فقال: " لكنّه في توسع اللغة وتسمح العرب في اللفظ الجائز على طريق المجاز"[1] ويشير في العديد من المواضع أنَّ المجاز إنما هو خروج على القواعد و الأعرافِ اللغويةِالمتفقِعليها.

وقد أشار الفارابي (ت339هـ)إلى ظاهرة التحوّل الدّلالي التي تلحق المفردات اللغوية فتعدل بها عن أصلها بالقول: "فإذا استقرت الألفاظُ على المعاني التي جُعِلت علامات لها فصار واحد واحد لواحد، وكثير لواحد أو واحد لكثير، وصارت راتبة على التي جعلت دالة على ذواتها صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوّز في العبارة بالألفاظ، فعبر بالمعنى تعبيرًا اسمه الذي جعل له أولا وجعل الاسم الذي كان لمعنى ما راتب له دالًا على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلق ولو كان يسيرًا إما لشبهٍ بعيدٍ وإما لغير ذلك من غير أن يجعل له ذاك راتبا للثاني دالًا على ذاته فيحدث حينئذ الاستعارات والمجازات"[2].أحال الفارابي اللغة إلى مستويين المستوى العادي، والمستوى الفني المعدول عن الأصل الوضعي. فمتى تطابقت الدوالُمع المدلولاتِ تحقق المستوى الأول، وعند خرق هذا التطابق يحدث العدول فيتحقق حينئذ كلام نابع من إحساس جياش بالغ في الوصف مبلغ الدقةِ والصدقِ، وارد بدلالات إيحائية تمثل نقطةَ قوةِ التراكيب المشتقة.[3]

وقد ذهب ابن جني (ت 392هـ) إلى ما هو أبعد من ذلك أثناء حديثه عن الحقيقة و المجاز الذي يعد من أحد تجليات العدول كما أسلفنا سابقا، مشيرًا إلى أنَّ المجاز لا يتمظهر إلاَّ من خلال حقيقة تثبته أو تنفيه وهذا ما أقرته البلاغة العربية إذ يقول: "الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل

[1]_ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، دت، ص199.

[2]_ كتاب الحروف، أبو نصر الفارابي، تح: محسن مهدي، دار المشرق، الأردن، ط03، 2004، ص 126.

[3]_ ينظر: العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، مصطفى السعدني، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص17.

وضعه في اللغة. والمجاز وما كان بضد ذلك. وإنما يقع المجاز ويعدل إليه لمعان ثلاث وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه فإن عدم هذه الصفات كانت الحقيقة البتة. "[1]

وتوقّف أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عند ظاهرة العدول في معرض حديثه عن البلاغة. وجعله تحوّلًا من أسلوب إلى آخر، وكلضّ ماهو خارج عن نطاق الحقيقة في الكلام التي تجعله لا يخرج عن حدود الإقرار. فالبلاغة عنده إنَّما تنسب للكلام أو اللغة في حدّ ذاتها لما تتيحه لمستخدمها من ليونة وإمكانات تمكنهم من الإفصاح عما تمليه الذات المبدعة فتكتسب بذلك سمة الفصاحة التي تسعى إلى الابتعاد عن الحقيقة قدر المستطاع والولوج في عالم المجاز، أو العدول الذي من شأنه إضفاء عنصر القيمة الجمالية والتأثيرية على الكلام.[2]

وتطرّق الشريف الرضي (ت 404 ه) إلى ظاهرة العدول التي جعل من الاستعمال المجازي أحد وسائلها، مثلما علّق على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾سورة النساء، الآية: 15. قائلا: "وهذه استعارة لأنّ المتوفي ملك الموت فنقل الفعل إلى الموت على طريق المجاز ... لأن حقيقة التوفي هي قبض الأرواح من الأجسام."[3] ويتجلى المجاز في إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي وهو نوع من الخروج عن الأصل في التعبير .

وقد ركّز الجرجاني على هذه الظاهرة وجعلها أساسًا لنظم الكلام. وعدها مظهرًا من مظاهر الإبداع و التحول من لغة عادية إلى أسلوب حسن من شأنه أن يعزّز من غزارة المعاني وهي: " أنْ تقول المعنى،و معنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أنْ تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر."[4] يعكس النص نباهة الجرجاني عند حديثه عن الكلام العادي الذي يحمل دلالات معيّنة وتوظيف ذلك الكلام الدال على خلق معان جديدة مجازية. فالكلام الأول الدال هو ما يعرف بالحقيقة، أما المعاني المنبثقة عنه هي

[1] _ الخصائص،ابن جني، ج02، ص360.

[2] _ ينظر: الصناعتين في الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: مفيد قمحة،دار الكتب،بيروت،ط02، 1989، ص 10،15.

[3] _ تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي،تح: علي محمود مقلد، دار كتب الحياة، لبنان، دط، دت، ص51.

[4] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر، الجرجاني، ص 203.

ماعدلت عن الحقيقة إلى المجاز "فكما أنَّ للألفاظ دلالة فإنَّ هذه الدلالة نفسها قد تفضي في نوع آخر من الكلام إلى دلالة ثانية وهي بالنسبة إلى المتكلم الدالة المقصود إليها "[1]. فاستخدمت الألفاظ الدالة على معان محددة للدلالة على معان جديدة مغايرة تماما لمعناها الحقيقي فيتولد بذلك "معنى المعنى". كما أنَّه تعرض لقضية في معرض حديثه عن الإظهار والإضمار حين رأى أنَّ الإظهار يكون أبلغ من الإضمار في العديد من الأحيان ويستشهد بقول الشاعر الذي أظهر مفعول المشيئة:

ولو شِئْتُ أنْ أَبْكيهِ دمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ ولَكِنْ سَاحَةُ الصَبرِ أَوْسَعُ.

فقال: "ولكنه كأنه ترك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن ... وسبب حسنه أنَّه كان بدعًا عجيبًا أن يشاء الإنسان أنْ يبكي دمًا فلما كان كذلك كان أولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به ....متى كان أمر المشيئة أمرًا عظيمًا أو بديعًا غريبًا كان الأحسن أن يذكر ولا يضم."[2]

وقد تعرّض الزمخشري (ت 538هـ) إلى كل أصناف العدول في كتابه الكشاف أثناء تفسيره لأساليب القرآن الكريم، إذ نلمس ذلك في العديد من المواضع مثال ذلكتعليقه على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾سورة الفاتحة،آية:5 ، الالتفات في علم البيان فيكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ سورة يونس، الآية:22، لأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ كان ذلك أحسن تطريةٍ لنشاط السامع."[3] جعل الزمخشري من الالتفات الذي يعد عنصرًا من عناصر العدول من أهم الأساليب التي تجعل الخطابَ أدل على مقتضى حاله وما يقدمه من إيحاءات معنوية ونفسية كامنة وراء الألفاظ المعدولة.

[1] _ قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، عز الدين إسماعيل، مجلة فصول، مصر، مج 07، العدد:04.03، 1988 ص39.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 171.

[3] _ الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،تح: يوسف حمادي، مكتبة مصر، القاهرة، ط01، 2010 ج01، ص08..09.

وابن الأثير (ت 637هـ) من الأقدمين الذين تعرضوا لقضية العدول في كتابه "المثل السائر" فعبر عن العدول عن الأصل فقال : "الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن فعل الماضي إلى فعل الأمر والإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي."[1]كما تناول القضية في كتابه " الجامع الكبير" فتحدث عن العدول في مجال العدد والضمائر أو ما يعرف بالالتفات من ضمير إلى آخر في الكلام وأشار إلى قضية العدول كذلك أثناء تحليله للآية الكريمة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ سورة الفاتحة،الآية: 07. فأشار إلى الإسناد الحاصل في الآية حيث اسند فعل النعمة إلى الضمير العائد على الله عز وجل والعدل عنه في إسناد الآيةِ التي بعدها فقال : "إنَّ مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيما لخطابه،وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه."[2]

وتكلم الزركشي(ت 794هـ) في كتابه البرهان عن المخالفة في البناء النحوي فقال: "وجعل بعضهم من الالتفات في قوله تعالى:﴿والموفون بعهدهم﴾ ثم قال:﴿الصابرين في البأساء والضراء﴾"[3] والواضح من هذا القول أن الزركشي قد اعتمد على آراء علماء عصره في تحليل الآيات القرآنية المتعلقة بظاهرة العدول.

انطلاقًا مما سبق فإنَّ العلماءَ العرب القدامى تناولوا ظاهرةَ العدولِ عن الأصل في ثنايا مؤلفاتهم للبحث في معارج الإعجاز القرآني وتوضيح أسبابه وعلله، ليجمعواعلى أنَّ العدول في اللغة يؤدي إلى معان جديدة لا يمكن الوصول إليها مع الأصل اللغوي وجعله الجرجاني "معنى المعنى" للوصول إلى أعلى مراتب الفصاحة. وهذا ينم عن إدراك اللغويين والنحاة للظاهرة وذلك من خلال رصدها ووعيهم بالأساليب اللغوية الخارجة عن الأصل الوضعي.

[1] _ المثل السائر، ابن الأثير، ص 165.

[2] _ المصدر السابق،ص166.

[3] _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت،ط01، 1391هـ، ج03، ص325.

المبحث الثالث: ظاهرة العدول التركيبي بين التحليل والتفسير.

تمثل ظاهرة العدول التركيبي في اللغة معلماً أسلوبياً متميزاً في الكشف عن القدرات التعبيرية الكامنة في الأنماط التركيبية المختلفة باختلاف المعاني المقصودة من الحدث الكلامي. والنحو بإمكاناته الواسعة وطاقاته الخلاَّقة يوفر للمتكلم أو المبدع على وجه الخصوص جملة من الخيارات المتعلقة بنظم التراكيب ونسج الجمل والعبارات وفق مجموعة من الآليات النحوية التي تعكس خصوصية الأسلوب الكاشف عن أنماط التفكير الإنساني الذي تؤطره جملة من العوامل النفسية والقواعد اللغوية التي تتقاطع فيما بينها مشكّلة مختلف البنى التركيبية التي تتجلى فيه أصناف العدول التي تحمل معاني مختلفة. هذه الآلية التركيبية التي نسعى إلى الوقوف على كنهها واستجلاء معالمها تحليلاً وتفسيرًا.

المطلب الأول:تحليل ظاهرة العدول التركيبي.

لكل لغة من اللغات خصائص تميزها، وآليات تركيبية تبنى عليها، وفق نظام دقيق يجمع في مجاري الكلام بين الأصول المطَّردة والفروع المبتَكرة. وهو ما وقف عليه علماء العربية قديماً وهم يتأمّلون هذه الأنساق اللغوية. ويستقرئون أساليبها المختلفة باختلاف الأحوال والمقامات. وقد قادهم البحث في هذا المجال إلى القول بفكرة الأصل والفرع. وهو ما استقر عليه فكر الخليل بن أحمد وأتباعه، وذلك "أنَّ مختلف ظواهر اللغة تنتظمها خطوط خفية.وهذه الخطوط الكبرى التي تتشعب عنها الخطوط التي دونها هي التي جعلها أصولا وجعل الباقي فروعاهو وسائر النحويين عندما يقولون في شيء إنَّه هو الأصل أو هو الأول، لا يريدون بذلك _كما تقدّم _ أنَّه الأسبق في الاستعمال وإنمَّا يريدون به ما كان أوقر في النفس ومقدّماً في الإحساس على غيره"[1].

لقد أدركوا بفكرهم العميق، وحدسهم البعيد أنَّ النِّظام اللغوي تتداخل فيه الأصول والفروع في شكل عجيب يدفع العقل إلى تدبر اللغة في أوضاعها المختلفة. ومن ثم تأتَّى لهم الوقوف على فكرة الأصل والفرع في الجملة العربية هذه الفكرة التي نودّ استجلاء معالمها والوقوف على أبعادها في المطلب الموالي.

[1] _ القياس في النحو، منى إلياس، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط01، 1985، ص35.

01 ـ الأصل والفرع في الجملة العربية.

تعد ثنائية الأصل والفرع في التراكيب العربية من أبرز الظواهر العلمية التي يُعتمد عليها في ضبط المتصورات النحوية وتصنيف الأنماط التركيبية تصنيفاً علمياً دقيقاً. وقد حملت كلمة الأصل في اللغة معاني عدة فالأصل هو: " أساس الشيء"[1] و"أصل الشيء قاعدته"[2]. أما الفرع " فالفاء والراء والعين أصل صحيح يدلُّ على علوّ ارتفاع وسموّ وشيوع. من ذلك الفرع وهو أعلى الشيء والفرع مصدر فرعت الشيء فرعاً إذا علوته"[3]. والفرع "خلاف الأصل وهو اسم لكل شيء يبنى على غيره"[4].

وهو في الاصطلاح:"حمل المفهوم الكلي على الموضوع على وجه كلّي بحيث تندرج فيه أحكام جزئياته، يسمى أصلاً وقاعدةً وحمل ذلك المفهوم على جزء معين من جزئيات موضوعه يسمى فرعاً ومثالا"[5]. أما العلاقة التي تجمع بين الأصل والفرع فهي "علاقة الاحتياج أو الافتقار، فالفرع مفتقر إلى الأصل افتقار غصن الشجرة إلى جذورها. كما نلمح في الأصل دلالة على الثبوت والرسوخ في حين يتجدّد الفرع ويتعدّد ويتغير"[6]. حيث يندرج الفرع في الاصطلاح تحت الأصل إذ لا بد لكل فرع أصل يرتكز عليه، ويرى البصريون أنَّ المصدر أصل المشتقات والفعل فرع عن المصدر بينما ذهب الكوفيون عكس ذلك[7]. و تتشعب الفروع عن الأصول النحوية الوضعية وتخرج عنها وهي كل ما قيس على كلام العرب بإلحاق الصيغ والمفردات غير المنقولة بالتي هي منقولة عن طريق حمل غير المسموع من كلام العرب على المسموع من كلامهم عن طريق ما يعرف بالقياس الذي أدى بدوره إلى تنمية الحصيلة اللغوية. وذلك بقياس الفروع على الأصول المنقولة عن طريق السماع كما صرَّح ابن جني أنَّ: "كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[8]. حيث تقاس الكلمات والتراكيب

---

[1] _ معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس،ج01، ص 109.

[2] _ التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01، 2001، ص69.

[3] _ مقاييس اللغة، ابن فارس، ج04،ص491.

[4] _ معجم التعريفات،علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ص95.

[5] _ الكليات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط02، 1981،ج01، ص 189.

[6] _ نظرية الأصل والفرع، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط01، 2001، ص75.

[7] _ ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، ج01،ص238.

[8] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص448.

اللغوية على الأصل الوضعي فـ "أصل الاشتقاق وأصل الصيغة وقواعد التصريف من إعلالٍ و إبدالٍ وزيادةٍ وحذفٍ ونقلٍ وقلبٍ ... ويقاس على أصل وضع الجملة من ذكر أو حذف وإظهار وإضمار ووصل أو فصل ورتبة أو تقديم وتأخير"[1]. فالقواعد النحوية في مجملها قواعد أصلية وأخرى فرعية محمولة عليها من كلمات وتراكيب ومسائل نحوية يختلف فيها النحاة.

وكل أصل خاضع للعدول إلى الفرع عدولاً مطَّرِدا فحين رأى النحاة أنَّ " الكلمة الواحدة تتغير صوّرها بحسب تصريفها وإسنادها إلى الضمائر وتثنيتها وجمعها وتصغيرها افترضوا لها أصلاً يخضع للتغيير و التأثير بحسب قواعد معينة،وحين رأوا أنَّ الجملة لا تبدوا على نمطٍ تركيبي واحد افترضوا لها أصلاً ونمطاً تخرج عنه بالزيادة واحذف والإضمار والاستتار، وسموا أصل الحرف والكلمة وأصل الجملة ... وهو أصل الوضع"[2]. والمراد بالأصل والفرع في عرف النحاة مجموعة المثل العليا التي افترضها النحاة لكل من الكلمة والجملة، فما كان مطَّردا على تلك الأصول اعتبروه قاعدة وما خرج عنها اعتبروه شاذاً يحفظ به ولا يقاس عليه.

وترد كلمة الأصول في كتب النحاة بمعنى القواعد والمناهج والأعلام . فهي "من حيث إنها مبنى وأساس لفروعها سميت قواعد، ومن حيث إنها مسالك واضحة إليها سميت مناهج، ومن حيث إنها علامات لها سميت أعلاما"[3]. وقد تفسر الأصول بالأحوال التي يستقرّ عليها الشيء فيعرف بها قبل أن تعتريه العوارض وتلحقه التغيرات[4].

وجملة القول فيما سبق هو أنّ الأصل مستخلص ممّا توصّل إليه النّحاة من تجريد بعد استقرائهم للمسموع من كلام العرب أين تمَّ استخلاص المعقول من المنقول. وقد اعتمدوا في بناء النظرية النحوية على ثنائية الأصل والفرعجاعلين منها أدلة تؤطّر عملية التجريد واستنباط أحكامالنظام النحوي للحصول على صناعة نحوية محكمة. كانت بداياتها الأولى بجمع المادة اللغوية من مصادر أولية لجأوا إليها لجمع مفردات اللغة وتحديد معانيها وهي : القرآن الكريم الذي جعل أول نص يرجع إليه لجمع

[1] _ الأصول، تمام حسان، ص 174.

[2] _ المرجع السابق، ص115.

[3] _ الكليات،أبو البقاء الكفوي، ج01، ص189.

[4] _ كشّاف اصطلاحات الفنون، التهتاوي محمد علي الفاروقي، تح: علي دحدوح، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط01، 1996،ج01،ص 213.

اللغة ومفرداتها باعتباره نصّا مقدّسا متميّزا بأعلى دراجات الفصاحة والشعر الموثوق بصحته، حيث اعتبر مصدراً ثانياً يعتمد عليه في عملية الجمع لاحتوائه غريب كلام العرب وفصيحه بالإضافة إلى الخروج إلى أهل البوادي الذين لم تلحقهم العجمة والاختلاط "ببناء النحو على المسموع من كلام العرب... بفكرة مجردة تعتبر ثابتاً من ثوابت التحليل اللغوي ترد إليه أنواع الكلمات المختلفة وتستأنس بشواردها و أوابدها حتى ما إذا خضعت هذه الأوابد لذلك الأصل المطرد سهل على النحاة أنْ يبنوا قواعدهم على هذه الأصول"[1].

أما فيما يخص الجمل والتراكيب فهي تتشكل في قالب معياري كان قد تصوّره النحاة وجرّدوه بالاستقراء الذي أجروه على كلام العرب الذي حوته النصوص النثرية والشعرية وما نزل به القرآن الكريم الذي يمثل أعلى مراتب البلاغة ومعين الفصاحة. وعلى هدي هذه المدونة التي حوت مختلف الحالات والأنماط التعبيرية إفراداً وتركيباً، وقف النُّحاة على النِّظام النَّحوي الذي بُنيت عليه هذه اللغة،ووضعوا لذلك قواعد تتماشى ونظرية الأصل والفرع التي قادهم النظر في أوضاع اللغة إلى بناء تصورهم عليها وإخضاع أحكامهم إليها.[2]

وبذلك أصبح هذا التصور ماثلاًفي الأذهان وعلى أساسه يُفسَّر كلّ بيان. وعلى ضوئه بوِّب النحو وصُنِّفت مسائله وغدت"فكرة الأصل في النحو العربي تجري جريان الدّم من الإنسان إذْ نظر النحاة فبنوا القواعد على الأكثر، ثم جرّدوا أصولاً نظرية شدُّوا فيها من أزر القواعد فجعلوا لكل باب نحوي أصلاً عاماً ينتظم ظواهره كافة. وإذا وجدوا للباب عدة أدوات متشابهة العمل جعلوا واحدة منها أصلا تتفرع عليه سائر أدوات الباب وكانوا ربما أتوا بملامح تارخية يكون السابق فيها أصلاً للاحق أو غير المعلم أصلاً للمعلم"[3]. ومن هذا المنطلق تبلورت فكرة الأصل والفرع في النحو العربي.

عمد النُّحاة إلى ترتيب أصل الجملة اسمية كانت أم فعلية بواسطة أصل الاستصحاب الذي يعدّ أصلا من أصول النحو العربي الناتجة عن الملاحظة والاستقراء لظواهر اللغة في أنحائها المختلفة. ومن

[1] _الأصول، تمام حسان، ص60 وينظر: المرجع نفسه، ص129. وينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد مختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط02، 2008،ص63. وينظر: أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب،القاهرة، ط01، 2006، ص31.

[2] _ ينظر: العدول التركيبي، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 79.

[3] _ نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، حسين خميس الملخ، ص25.

ثمَّ جعلوا لها ترتيباً نمطياً اتخذوه معياراً وأصلاً يبنى عليه الكلام فإنَّ خولِف هذا المعيار في الاستعمال سمي عدولاً عن الأصل واتّساعا في الكلام[1].

ومن الأصول المعتمدة لدى النحاة أنَّ نظام الجملة في اللغة العربية يقوم على ترتيب معيَّن بين الوحدات المكوّنة للجملة عمداً كانت أم فضلات. وميَّزوا فيها بين الرتب المحفوظة وغير المحفوظة،ولكنها لا تتميز بحتمية في ورود أجزائها حيث تتنوع أصناف الجمل التي تعدل عن ذلك الأصل المفترض أو "القالب المعياري المفترض أو المتصوّر في ذهن النّحاة"[2].

هذا النمط المعياري الذي اعتبروه قاعدة مرجعية أو علامة إشارية تُقاس إليها سائر التراكيب المعدولة عن ذلك الأصل "لأنَّ الترتيب المثالي لعناصر الجملة اسمية كانت أم فعلية يقابله كم هائل من التراكيب المعدولة عن ذلك الأصل الذي تواتر استعماله في لسان العرب. لذلك أوجدوا قواعد فرعية ضمن المنظومة النحوية توجِّه التراكيب المعدولة كالتقديم والتأخير، والحذف ،والإضمار والإظهار، وما إلى ذلك من الأساليب التي تمثل عدولا عن الأصول التي تقنّن للتصور المثالي للتراكيب اللغوية في المنظومة النحوية"[3] وهو التجريد الذي اعتبره النحاة أصلا وضعيا ومعيارا يقاس عليع العدول.

إذا تأملنا حقيقة الجملة العربية ألفيناها محكومة بعلاقة الإسناد بين طرفيها – المسند و المسند إليه_ وهما "ما لا يغني واحد منهما على الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا" [4]. فإذا حذف أحدهما في الكلام قدِّر الآخر ليستقيم الكلام ويتم المعنى وكذا الأمر إذا حذفا معا نحو: الاكتفاء بحرف جواب في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴿١٧٢﴾﴾سورة الأعراف، الآية:172.

للجملة الاسمية صورة نمطية في أصل وضعها، حيث يرد المبتدأ أولاً ثم يعقبه الخبر. وتأتي أسبقية المبتدإ في الرتبة عن الخبر من كونه مخبراً عنه أو محكوماً عليه كما يقول رضي الدين الأستربادي:"إنما كان أصل المبتدأ التقديم لأنَّه محكوم عليه، ولابد من وجوده قبل الحكم عليه"[5]. وقد يعدل ترتيب

[1]_ ينظر: العدول التركيبي، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 78. وينظر: الأصول اللغوية المرفوضة، علي عبد الله حسن العنبكي، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2014، ص173.

[2]_ الكتاب بين المعيارية والوصفية، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط01، 1989، ص64.

[3]_ العدول التركيبي ، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 80.

[4]_ الكتاب، سيبويه، ج 01، ص 14.

[5]_شرح الرضي على الكافية، محمد بن حسن الأستربادي، ج01، ص229.

الجملة الاسمية عن هذا الأصل بفعل ما يلحق الجملة من عوارض فيحذف أو يتأخر عن الخبر لإقرار معنى اقتضاه المراد وتطلبه المقام.

وفي الجملة الفعلية يكون الفعل محور العملية التركيبية وبِه تتحقق علاقة الإسناد مع الفاعل والمفعول، حيث يكون "الغرض من علاقة الإسناد حين يسند الفعل إلى فاعل في " ضرب زيد" هو إثبات الضرب فعلاً لزيد وليس وجوب الضرب في نفسه على الإطلاق. أما الغرض من علاقة التعدي حين يتعدى الفعل إلى المفعول كما في "ضرب زيد" عمراً فهو إعادة التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه"[1].

وفي هذا النسق التركيبي _ الجملة الفعلية _ تتجلى العلاقة الإسنادية عبر مظهرين اثنين،أولهما أصل القاعدة التركيبية التي يكون فيها الفعل مع الفاعل عقدة إسنادية إذا كان لازماً. ويليهما المفعول إذا كان الفعل متعديا.وثانيهما وهي التي يعدل فيها عن هذا الأصل حيث يتقدم المفعول به عن الفاعل فيتوسط تلك العقدة الإسنادية ولا يحدث ذلك إلاَّ إذا كانت العناية منوطة بالمفعول به والاهتمام منصباً عليه. و كان عبد القاهر الجرجاني قد وضَّح هذه الفكرة في باب التقديم والتأخير حيث قال: "قد يكون من أغراض الناس في فعل ما. أنْ يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه. كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعبث ويسفه، ويكثر به الأذى، إنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شيء فإذا قُتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول: قتل الخارجيَّ زيدٌ، ولا يقول قتل زيدٌ الخارجيَّ، لأنَّه يعلم أنَّ ليس للناس في أنْ يعلموا أنَّ القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعينهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم، ويعلم من حالهم أنَّ الذي هم متوقعون له، ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد. وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه"[2].

إنَّ العناية التي أولاها النحاة والبلاغيون للرتب المحفوظة وغير المحفوظة لأكبر دليل على إدراكهم العميق لدلالة الكلمة بالنَّظر إلى موقعها في التراكيب. وإنَّ الإخلال بمواطن الرتب بالنظر إلى الفكرة

[1] _ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسين بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2005، ص 252.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد لقاهر الجرجاني، ص 84.

المعبَّر عنها من شأنه أنْ يطال المعنى فيلتبس، أو يفسد. وما ذاك إلا لأنَّ "العبارة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص، فإنْ بُدل ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة "[1].

وكان ابن جني قد عقد بابا في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض، مبيناً ما يعتري الجملة العربية من أحوال طارئة تتنوع بتنوع المقاصد والغايات. كما عقد باباً آخر وسمه بشجاعة العربية يبين فيه ما تمتاز به هذه اللغة من حرية في بناء تراكيبها. وإبراز معانيها في قوالب نحوية شتَّى، تتسم بالليونة والمرونة في احتواء الفكرة خاصة وأنَّ قرينة الإعراب توفّر حرية أوسع في ترتيب الوحدات والتصرّف فيها. "فإذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيداً أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر والفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه"[2].

والجدير بالذكر أنَّ قرينة الإعراب التي سمحت بالتوسع في العدول عن أصل الكلام كانت في طليعة القرائن اللفظية والمعنوية التي شغلت بال النحاة وألهمتهم وضع الأبواب النحوية بالنظر إلى الحركة الإعرابية حيث صنفوا المرفوعات فالمنصوبات فالمجرورات. وفي ذلك أكبر دليل على ميزة هذه القرينة التي نالت الحظ الأوفر من العناية " فقد آثروا أنْ ينظروا للقرائن جميعاً من خلال منظار العلامة الإعرابية. ولكن هذا يعد تركيزاً على قرينة واحدة لا تنهض بالعبء كله"[3].

و اتخذ البلاغيون من تقسيم النحاة للبنى التركيبية إلى ما يعرف فيها بالرتب المحفوظة وغير المحفوظة قاعدة لدراساتهم "النَّاظرة في خصائص التراكيب ودلالتها والبحث في ركازها الذي تضمره وحداتها التركيبية، ممّا هو مستودع فيها من ذخائر العقول التي لا تدرك إلاَّ بالتروي والفهم الجيد. وهي دقائق مستقاها العقل والروية"[4].

وكانت عنايتهم بالرتب غير المحفوظة أكبر لما تنطوي من نكت بلاغية ولطائف معنوية تكون ناجمة عن العدول عن الأصل في التعبير، حيث ينتقي المتكلم من أنحاء التراكيب المعدولة ما يتفق وطبيعة الفكرة المراد إبرازها في معرض خاص. ولا يخفى ما للرتبة من دور في تحقيق الاتساق

[1] _ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تح: جعفر الكتاني، دار الرشيد، بغداد،ط01، 1989، ص179.

[2] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص 35.

[3] _ العلاقة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد عبد اللطيف حماسة، دار الفكر العربي، بيروت، دط، دت، ص314.

[4] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 83.

والانسجام بين عناصر التركيب لأنَّ " الرتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق يدل موقع كلّ منهما من الآخر على معناه"[1]. ذلك أنَّ الأصول التركيبية المطردة في اللغة توجب الترتيب بين أجزاء الكلام وهو ما يمكن أن نستشفه في مختلف الأبواب النحوية عند التعرض لحدودها بغية ضبطها كالمبتدإ والخبر والفاعل والمفعول...إلخ حيث تخص الرتبة بالذكر وتكون قرينة لفظية دالة على وجود" تفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية فكما يمدّ العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده يمد العنصر الدلالي النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري مستمرّ "[2].

إن ترتيب الوحدات اللغوية في عقد التركيب بالنظر إلى وظيفتها الدلالية هو حتمية لغوية يفرضها النظام النحوي لإنتاج المعنى إذ " لا يستطيع أيّ تركيب لغوي أداء ما يقصد به من التعبير عن الأفكار الذهنية، أو العلاقات الاجتماعية بدون التزام دقيق لترتيب معين يشمل صيغ التركيب ومفرداته كلها"[3].

وعليه فإنَّ إقرار النحاة بوجود ظاهرة العدول عن الأصل في تراكيب اللسان العربي يأتي كنتيجة حتمية لما أفرزته مرحلة التحرّي والاستقراء للّغة في مختلف أوضاعها الاستعمالية وضبط قواعدها التي ميّزت بين ماهو مطَّرد وشائع في الاستعمال وما هو خارج عن ذلك الصنف. وهو ما يمثل عدولاً عن ذلك الأصل وفرعاً عنه "وليست فكرة الأصل عملاً عقلياً مجرداً ابتدعه الدارسون ابتداعاً وأقحموه في دراسة اللغة، فقد لاحظنا أنهم اتجهوا هذا الاتجاه لما وجدوه في اللغة من قدرة على التبدل والتغيير في الصيغة والدلالة بالاشتقاق والنقل وغير ذلك من مظاهر حيويتها."[4] وبهذا الاعتبار صارت فكرة الأصل وما يتولد عنها من فروع مقياسا علميا وضابطاً نحويا تفسر في ضوئه سائر التحولات التي تعتري الظواهر النحوية في بعديها التركيبي والدلالي.

[1]_ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص209.

[2]_ النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي، محمد حماسة عبد اللطيف،دار الشروق، ص 22.

[3]_ الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط01، 2006، ج01، ص210.

[4]_ حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، سمير أحمد معلوف، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،1996، ص283.

هذا التصور العلمي الجامع والدقيق الذي اهتدى إليه النحاة يشفّ عن عبقرية الأسلاف الذين حققوا إنجازاً علمياً رائداً سمح لهم بوضع أسس النَّظرية النحوية وضبط معالمها ضبطاً محكماً تفسّر من خلاله سائر التحوّلات الأسلوبية التي حواها اللسان العربي.

02 ـ عملية الاختيار والتركيب في بناء الجملة العربية:

يقوم نَظم الكلام على آليتي الاختيار والتركيب، باختيار الوحدات اللغوية والتأليف بينها وفق طرق شتَّى يحددها المعنى المراد من التركيب.و يتم ذلك في إطار المقاييس النَّحوية المستنبطة من استقراء كلام العرب،"حيث يعمد المتكلم إلى اللغة بوصفها مستودعاً للمفردات لينتقي منها ما يحتاجه للتعبير عن أفكاره ضمن نسيج من المتواليات اللغوية المشكلة للجمل والتراكيب التي تتوزع بين المستوى العادي والمثالي وبين المستوى الفني، أين تتنامى فيه ظاهرة العدول بشكل لافت للانتباه وهي في أصلها تقوم على محوري الاختيار والتركيب اللذين يمثلان نقطة تقاطع محورين اثنين هما حجر الزاوية في كل عدول."[1]وطالما اعتبرت نظرية الاختيار والتركيب من أهم النظريات التي تبناها الدرس الأسلوبي، لأنها تتحرى خيارات المؤلف "فالمحلل يتتبع هذه الاختيارات ويفسرها ثم يحللها ويصنفها مفردات وتراكيب بما يكشف جماليتها، والعلة في اختيار سمة على سمة، وتركيب على تركيب"[2]. فالأسلوب يتشكل وفق خيارات المتكلم (المعجمية) المتوفرة لديه.

تتدخل في عمليتي الاختيار والتركيب مجموعة من العوامل الذاتية واللغوية التي توجه مسار التعبير بما يمليه التفكير، ذلك أنَّ الكفاية اللغوية تتواءم والقدرة التي يتمتع بها المتكلم فعلى قدر ثراء الرصيد اللغوي الذي يمتلكه الفرد تتوسع حرية الاختيار. وعلى قدر نباهة المتكلم وفطنته في اقتناص المعاني تكون طبيعة التركيب بين الوحدات اللغوية. وهذا ما يفسر اختلاف الأساليب التعبيرية بين الناس. وتسمو ذروة التباين بينهم وتشتد لما يتعلق الأمر بمجال الإبداع الذي تتفاوت فيه القدرات الإبلاغية. وقد وضّح ابن الأثير المراحل التي تمرّ بها عملية الاختيار والتركيب جاعلاً إيَّاها أشبه ما تكون بصناعة القلادة الذهبية حيث قال: " وحكم ذلك حكم اللآلئ المبدَّدة،فإنها تتخيّر وتنتقى قبل النظم.الثّاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقاً نافراً عن مواضعه. وحكم ذلك حكم

[1] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 99.

[2] _ الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، أيوب جرجيس العطية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص 81.

العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها. الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه. وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس. وتارة يجعل قلادة في العنق. وتارة يجعل شنفا في الأذن. ولكلّ موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه. فهذه ثلاثة أشياء لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها. وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر. فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالبلاغة"[1].

واللاَّفت للانتباه في هذا الباب أنَّه قد يتّحد الغرض المراد أو الفكرة المعبر عنها إلا أنَّ طريقة التعبير تختلف من شخص إلى آخر وتتباين تباينا كبيراً. وبخاصة إذا تعلق الأمر بالإعراب عن المجردات، وما هو منسلك في مجال الإبداع على وجه التحديد. وعلّة ذلك" أنَّ اللغة تحمل في طياتها جانبين هامين من حياة الإنسان. أما الجانب الأوّل فله اتِّصال بالفكر.وأمّا الجانب الثاني فله علاقة بالوجدان. وبين هذا وذاك علاقة أخذ وعطاء، وإثارة وإذكاء. وهنا تتدخل الأسلوبية للكشف عن ملامح الشحن العاطفي الموجه للنمط التركيبي الذي يعدل فيه عن الخطاب العادي فيخرج عن الأصل المعتاد."[2]

والاختيار كحدث لساني عند رومان جاكبسون يكون نتيجة "تركيب عمليتين متتاليتين من الزمن متطابقتين في الوظيفة يجسدهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد اللغوي ثم تركيبه تبعاً لما تقتضيه قوانين النحو، وما تبيحه من تصرف في الاستعمال، عندها يتحدّد الأسلوب الذي يتطابق فيه جدول الاختيار مع جدول التركيب لينجم عن ذلك تحقّق بين العلاقات الاستبدالية وبين العلاقات الركنية"[3]. مدلول هذا الكلام أنَّ العدول يتم على مستويين اثنين أحدهما المستوى الخطي حيث يكون الترتيب بين الوحدات اللغوية في السلسلة الكلامية هو قوام تلك العملية التي تعتريها عوارض شتى تخرجها عن الأصل المفترض لما يصيبها من تقديم وتأخير وحذف ...إلخ. وثانيهما يكون على المستوى الدلالي أين تخرج الألفاظ اللغوية عن أصل وضعها بفعل آلية المجاز التي تكسبها دلالة ثانية غير التي كانت عليها. وعبر هاتين الآليتين ـ التركيب والاستبدال ـ يتأتى للمبدع إقامة علاقة

[1]_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، ص 164.163.

[2]_ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 98.

[3]_ Essais de linguistique generale. R jakipson p222

نحوية بين الوحدات كثيراً ما تتجلى على إثرها أصناف العدول عن الأصل التي توجهّها ضروب المعاني وتؤطّرها الخصوصية الأسلوبية لمنشئ الكلام. لهذا السبب كانت عملية الاختيار والتركيب من أهمّ القواعد التي تبنّاها الدرس الأسلوبي الحديث الذي يولي هذه الخيارات عناية كبيرة في تحليل النص حيث يقوم المحلل"بتتبع هذه الخيارات ويصنفها مفردات وتراكيب بما يكشف جماليتها والعلة في اختيار سمة على سمة وتركيب على تركيب"[1].

وتنبّه عبد القاهر الجرجاني إلى حقيقة هذه الظاهرة الأسلوبية التي خصها بقدر من العناية والاهتمام، حيث بيّن أنّ عملية اختيار الدوال اللغوية تخضع في ترتيبها ونسجها لأحكام النحو وتوخي معانيه. "وأمر النظم في أنَّه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم. وأنَّك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك"[2].والكلام كما يقول ابن جني: "إنما وضع للفائدة والفائدة التي لا تجنى من الكلمة الواحدة وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول"[3]. فإنشاء الكلام لا يتم إلا بالنظر إلى ماهو مضمر في النفس من أفكار. وما يتطلبه ذلك الأمر من إخراج وفق أحكام النحو وقوانينه. لأنَّه:"ليس الغرض من نظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل وأن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[4]. والتناسق بهذا المفهوم هو عملية بناء لغوي خاص قوامه التعليق الذي هو روح النظم إذ "لا نظم في الكلم ولا ترتيب يعلق بعضها ببعض. ويبنى على بعض. وتجعل هذه بسبب من تلك"[5]. فعملية التأليف هذه هي نتيجة لذلك التصور التجريدي الذي يحدث في عمليتين متلازمتين، أولهما: نفسية تعكس قصد المتكلم وغرضه من الكلام الذي يملي عليه اختيار الألفاظ العاكسة لتلك الصورة وفق طريقة مخصوصة. وثانيهما: لغوية تحدث عند النطق أين يكون التآلف بين الدوال تأليفاً نحويا تتفاعل فيه الدلالات المعجمية بالدلالات السياقية. وإذا كان قصد المتكلم إنتاج نصّلغوي، فإنَّ ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال وجود فصل بينهما. وهذا ما ألح عليه الجرجاني وهو يقول:" لا يتصور أنْ تعرف للفظ موضعاً من غير أنْ تعرف معناه ، ولا أنْ تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنَّك

[1] _ الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، أبو جر حسين العطية، ص81.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 102.

[3] _ الخصائص، ابن جني، ج02، ص333.

[4] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص41.

[5] _ المصدر السابق، ص 44.

تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك. فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها،وأنَّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أنْ تستأنف فكراًفي ترتيب الألفاظ،بل تجدها تترتب لك بحكم أنهَّا خدم للمعاني وتابعة لها، ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

وفحوى هذا الكلام أنَّ نظم الألفاظ ليس إلاَّ تجسيداً لنظم المعاني، وبتعبير آخر هو أنَّ ما يظهر في النطق ماهو إلا تجسيداً لنظم المعاني، وبتعبير آخر هو أنَّ ما يظهر في النطق ماهو إلا صدى لما يجري في النفس. وعليه فإنَّ عملية الاختيار والتركيب متداخلتان ولا يكون الفصل بينهما إلاَّ صناعة. وحالهما حال الظاهر والباطن لا غير.

الارتباط بين الشكل والوظيفة هو مناط كل حدث كلامي حيث يتم انتقاء الألفاظ الدالة ونظمها تبعا لما يوجبه المعنى وتتيحه القوانين النحوية التي تمنح المتكلم حرية الاختيار والتركيب في كنفها وما تسمح به قواعدها لتحقيق الإفادة.

فكلام العرب وإن كثرت فيه وسائل العدول عن الأصل التي توَّفر للمتكلم مجالاً واسعاً من الحرية في بناء تراكيبه، وتلك سمة بارزة في اللغة العربية ودالة على حيويتها إلا أنَّ ذلك سيظل مقيداً بشروط الفهم والإفهام وما يترتب عن ذلك من أمن اللبس بناءً على أنَّ" أصل القاعدة أصل معياري عامّ يتخذه النُّحاة مقياساً للصواب النحويإلاَّ أنَّه أصل مرِن يتلاءم مع الظاهرة النحوية،إذ قد يجوز الخروج عليه بقيود خاصة ترد حال الخروج إليه."[2]

ولما كان أصل القاعدة معياراً فقد اتخذه النحاة مقياسا للصواب النحوي. ويكون العدول عنه بما يمليه المعنى وتسمح به قواعد النحو، فلا حذف ولا تقديم أو تأخير إلا عند أمن اللبس ووجود دليل على المحذوف."ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر ولا يكون الفصل إلا بغير الأجنبي، ولا التقديم ولا التأخير إلا مع وضوح المعنى. وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ"[3].

[1]_ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ، ص 102.

[2]_ نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملخ، ص92.

[3]_ الأصول، تمام حسان، ص 130.

هذه الضوابط الصَّارمة التي قيَّد بها النحاة أصول الكلام من شأنها أنْ تكون ناظمة لأصناف التراكيب والجمل التي تحكمها علاقة الإسناد الرَّابطة بين طرفيها اسمية كانت هذه الجمل أم فعلية. "ومن الأصول المجمع عليها ترتيب عناصر الجملة ترتيباً نمطياً يكون المبتدأ فيه أولا والخبر ثانياً، وفي الجملة الفعلية إيراد الفعل فالفاعل فالمفعول به. والأصل في ترتيب التوابع ذكر النعت، فعطف البيان،فالتوكيد، فالبدل، فعطف النسق، وأن يذكر العامل فالمعمول وصاحب الحال فالحال. وأن يذكر المفعول المتعدي إليه بغير واسطة، فالمتعدي إليه بواسطة. وفي النعوت يذكر المفرد فالجملة"[1].

هذه هي جملة الأصول التي تقاس إليها نظيراتها بالنَّظر إلى مقاصد المتكلمين، حيث ترتبط مواقع العناصر في التركيب بما هو مرتَّب في النفس وماثل في الذهن. وعلى أساس هذه الخاصية يكون بناء التراكيب. وتبعاً لمواقعها تتحقق الفروق الدلالية في الجمل والعبارات، وهو ما أصَّله عبد القاهر الجرجاني وهو يبني دعائم نظريته في النظم فلو أخذنا على سبيل المثال التقديم والتأخير مع الاستفهام اتضح لنا ذلك الفرق الجلي بين جملتي أفعلت؟ وأأنت فعلت؟ "فإذا قلت: أفعلت؟فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردّد فيه"[2]. معنى هذا أنَّصيغة أفعلت؟ هي سؤال عن فعل لم يثبت أنَّه مفعول. بخلاف صيغة أأنت فعلت؟ التي تدل على حتمية وقوع الفعل لكونها سؤالا عن فاعل لفعل ثبت أنَّه مفعول. والنتيجة المستفادة من هذا أنَّ كل تغيير في ترتيب أجزاء الجملة ووحداتها ينجم عنه تغيّر في المعنى حتى ولو كانت الوحدات المكونة للجملتين متشابهة في ألفاظها، لكنها مختلفة في مواقعها لأن طبيعة التركيب لها دلالة معنوية لا يمكن تجاهلها.

إذا كان اللغويون قد قالوا باعتباطية العلاقة اللغوية على المستوى الإفرادي، فإنَّ ذلك غير ممكن على المستوى التركيبي الذي يخضع لمقتضيات المعاني التي تصرفه إلى الوجهة التركيبية التي تحقق الغرض المبتغى. "وما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان حسب تقدمه معناه في النفس، والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء:إما بالزمان، وإما بالطبع وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال. فإذا سبق

[1] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 109.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص87.

معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك"[1].

وتسهم الحاسة الفنية بقسط وافر في إقامة العلاقات بين الصورة الذهنية من جهة والتركيب الذي تنطبع فيه من جهة أخرى.فالإمعان في انتقاء الدوال اللغوية وجودة التأليف بينها تثير الفكر وتبعث على الاهتمام " لأنَّ الشيء من غير معدنه أغرب. وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم. وكلما كان أغرب كان أطرف. وكلما كان أطرف كان أعجب. وكلما كان أعجب كان أبدع"[2]. لأن العدول في صورته البلاغية هو تجاف عن مألوف الكلام. وإبراز لأفكار في قوالب تعبيرية تستوقف المتلقي وتثير اهتمامه. "وكثيرا ما تسهم الحاسة الفنية في براعة الإبداع الأسلوبي الناجم عن إقامة العلاقات بين الصّورة الذّهنية من جهة، وبين التركيب الذي تنطبع فيه من جهة أخرى،حيث يكون لجودة اختيار الألفاظ وجودة تركيبها أثر واضح في استمالة القلوب، بفعل ما يحوييه ذلك التعبير من منبّهات أسلوبية جالبة للاهتمام مصدرها حسن الاختيار وجودة التركيب اللذان يتخطّى فيهما المبدع حدود السلامة اللّغوية والصحة النّحوية إلى مجال الفضل والمزية."[3] وفي هذا اللّون من الكلام تتذسع دائرة العدول الذي يثمر إبداعا وإمتاعا.

المطلب الثاني:تفسير ظاهرة العدول.

توفِّر اللغة لمستعمليها مجموعة من الخيارات الممكنة للتعبير عن أفكارهم والإبانة عن مقاصدهم. وستظلُّ أساليب التعبير هذه محكومة بجملة من العوامل اللغوية والذَّاتية التي تتشكل بموجبها مختلف التراكيب اللغوية سواءً الواردة عن الأصل أو العادلة عنه لأغراض بلاغية.

1ـ موجبات العدول عن الأصل.

تختلف أساليب التعبير باختلاف المقامات والأحوال. واللغة العربية بثراء رصيدها اللغوي وطبيعة نظام بنائها التركيبي تسمح بنسج جمل وعبارات تتماشى ومضمون الفكرة المعبر عنها. "وهي في كل

[1] _ نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تح:عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01 1992، ص268.

[2] _ البيان والبيين، الجاحظ، ج01، ص65.

[3] _ العدول التركيبي ، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص: 90.

ذلك تنبئ عن نباهة أصحابها الذين جُبلوا على ذكاء القرائح، وفطنة الأفهام لأنَّهم أهل فصاحة وبيان. يوردون كلامهم على أضرب عدة ويصرفونه عن وجهته المعهودة. فيعبرون بالماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي. ويضعون المضمر مكان الظاهر. والمثنى مكان المفرد وما إلى ذلك مما له صلة ببلاغة الخطاب وأساليب التعبير التي تتصل بفنون البلاغة وأفنانها ... ومن شأن بلغاء العرب أنَّهم لا يعدلون عن الأصل إلا لغرض قصدوه، ومعنى تصوّروه"[1]. وهذا ما كان يعنيه صاحب الكتاب بقوله: "وليس شيء يضطرون إليه، إلاّ وهم يحاولون به وجها من الوجوه التي تستفاد من طبيعة هذا التركيب أو ذاك. فعلى هذا الأساس تكون درجة الوعي بمواضع الألفاظ في السلسلة الكلامية أمرا مأخوذا في الحسبان، ومرسوما بدقّة في الأذهان."[2]

فالمتكلم البليغ لا يصرف الكلام عن أصله إلاَّ وهو يحاول به وجهاً يقتضي بناء الجملة على نسق ذلك القصد. فعلى هذا الأساس يكون بناء الجمل والتراكيب منوطاً بطبيعة الفكرة المعبَّر عنها "وجملة الأمر أنَّه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة إنْ لم يقدم فيه ماقدم، ولم يؤخر ما أخر، وبدئ بالذي ثنى به، أو ثني بالذي ثلِّث به لم تحصل تلك الصورة وتلك الصنعة"[3].حيث يترتب عن التركيب النحوي علاقة نحوية يتكوّن من خلالها الحدث اللغوي الذي لا يتأتى إلا بترتيب الأركان الإسنادية ترتيباً في مواقع محددة وفق علاقات متبادلة، حيث لا يستقيم التركيب اللغوي إلا إذا وافق القواعد النحوية التي تضبط مكوناته في اللغة العربية لتتجسد صورة اللغة في تراكيب وعبارات منسقة في بنيتها وروح دلالتها تراعى فيها أحوال المخاطبين وينتج الكلام وفقا لذلك. فيجد المتكلم الفصيح نفسه مضطراً لمراعاة كل الملابسات المصاحبة للكلام ويكون ذلك حسب استعداد المخاطب.

وسيظل الوعي بترتيب أجزاء الجملة ملازماً للمتكلم الذي يختار من أنحاء اللغة ما يحقق به هدفه التبليغي، ففي تقديم الخبر عن المبتدإ ما يكون وليد العناية والاهتمام.. وهو هدف عام تتفرع عنه جملة من البواعث الخاصة التي تكشف عن طبيعة الهدف المنشود. "وإخراج الكلام على غير مخرج العادة. منه ما يكون غرضه لفظياً يهدف إلى سبك العبارة وتحسينها من الناحية الشكلية.وهو ما

[1] _المرجع السابق، ص 93.

[2] _ المرجع السابق، ص 97.

[3] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 278.

يضفي عليها سمة الجمالية الصوتية والانسياب في الأداء كمراعاة الفاصلة لتحقيق التناغم الصوتي الذي لا يجب أنْ نبخسه حقه في عملية التأثير في المتلقي بادعاء أنَّه جانب شكلي لا يخدم المعنى مطلقاً،علماً بأنَّ عمليتي التصوير والتعبير تهدفان إلى التواصل المفضي إلى التأثير. وهو ما يمكن أنْ يكون للّفظ والتنغيم جانب فيه."[1] ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾سورة البقرة الآية: 04 ما يجمع بين غايتي المعنى ونغم المبنى ألا وهو الحصر ورعاية الفاصلة "والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى صار عندهم كالمدحوض فهو حصر مجازي وهو دون قولنا: يوقنون بالآخرة لا بغيرها"[2].

وذهب صاحب البحر المحيط إلى الجمع بين الغايتين غاية العناية بالمعنى لإفادة الحصر، وغاية تطابق الأواخر لتحقيق الانسجام الصوتي[3] "والأنسب في هذا أنْ نجمع بين إفادة الدلالة على تأكيد إيمانهم بالآخرة وتفردهم بالاتصاف بقوة اليقين في مثل تلك المغيّبات، وبين فواصل الآي إذْ لا مشاحّة في الجمع بين الغرضين أعني دلالة الاختصاص ومراعاة نظم الكلام وموسيقاه وبذلك يتأتى الجمع بين فضيلتي المعنى والمبنى"[4]. فالمزاوجة بين رعاية المعنى وطبيعة المبنى هي سمة فاشية في الكلام البليغ الذي يستهدف التأثير في المتلقي بكل مكوناته الصوتية والمعنوية، لأنَّ الإيقاع في نظم الكلام له خصوصية تعبير وجمال تأثير. ذلك أنَّ جمال التنغيم يسهم في تحريك المشاعر وبعث الأحاسيس واستمالة القلوب.

فالهدف من الكلام البليغ لا يقف عند حدود الفهم والإفهام فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى غاية التأثير التي يتوسل إليها بكل آليات التعبير التي تتولد عن جماليات العدول التي نجد فيها الأساليب التعبيرية المحملة بمختلف المعاني في شتى أصناف المباني التي عبّروا عنها بالتزيين مثلما يُفهم من قول ابن سينا الذي نبّه إلى أحد موجبات العدول قائلا: "إنَّ العدول عن المبتذل إلى الكلام

[1] _العدول التركيبي، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص98.

[2] _ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، سوريا،ط01 2008،ج03، ص117.

[3] _ ينظر: البحر المحيط (في التفسير)، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، عناية :صدقي محمد جميل، دار الفكر،لبنان،دط،دت.ج01، ص168.

[4] _ العدول التركيبي ، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 144.

العالي الطبقة والتي تقع فيها أجزاء هي نُكَت نادرة. هو في الأكثر بسبب التزيين لا بسبب التبيين. ولا شك أنَّ الناس تعبوا تعبا شديدا حتى بلغوا غايات التزيين في واحد من أنواع الكلام".[1] حيث يتجاوز العدول حدود التبليغ ليصل إلى عنصر الإمتاع الذي يثير المتلقي الذي لا يمكن تحققه إلاَّ بأسلوب العدول عن الأصل " لأنَّ التأثير الأسلوبي هو محصلة حقيقية ناتجة عن مفاجأة المتلقي باستعمال وسائل أسلوبية لا يتوقّعها و تخرج على ما عهده في سياق معين"[2].

ومن دواعي العدول عن الأصل كذلك ما يكون لغويا تمليه طبيعة الفكرة المعبر عنها. فقد تضيق الحقيقة عن احتواء المعاني فيلجأ المتكلم إلى ركوب المجاز الذي يمدُّ صاحبه بطاقة لغوية تعجز الحقيقة عن سد مكانه في اختصار الطريق لاحتواء الفكرة. وكان ابن جنِّي قد حصر علة العدول عن الحقيقة إلى المجاز في ثلاثة أسباب، وعلى رأسها الاتساع في الكلام حيث قال: "وإنَّما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[3].

للإشارة فإنَّ ابن جني في فكرته هذه يقصد العدول الدلالي المتمثل في الاستعارة والكناية والمجاز. هذه الظواهر اللغوية التي تمنح المتكلم حرية واسعة في بناء الجمل والتراكيب بالخروج عن مألوف الوضع "فاللغات في بداية النشأة تحرص على أنْ يكون لكل دال مدلول واحد. ولكل مدلول دال واحد غير أنَّ جدلية الاستعمال ترضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية فضلاً عما تدخله القنوات البلاغية في مجازات ليست هي في منظور لغوي إلا انحرافات عن المعاني الوضعية الأولى. وجملة ما ينتج عن ذلك أي أنَّ أي دال في لغة ما، لابد أنْ تتعدد مدلولاته من سياق إلى آخر"[4].

ويرى أمبيرتو إكو أنَّ مستعمل الاستعارة يُظهر التركيب الذي لا يعنيه والذي يعدُّ معنى مجازيا له لأنَّ صِدقه ومبتغاه الدقيق تناقضه اللغة، فتحصل هذه الطاقات التخيلية أمام ما يحمله هذا العالم من أنظمة معقدة، فيلاقح بين ما يراه بقلبه وما هو كائن في فكره وبين ما تحمله اللغة من تراكيب، ليتولد

[1] _ الخطابة، ابن سينا، تح: محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية، القاهرة، دط، 1954، ص199..

[2] _ الأسلوبية اللسانية، أولريش بيوشل، تر: خالد محمود جمعة، مجلة نوافذ، العدد:13، 2000، ص124.

[3] _ الخصائص، ابن جني، ج02، ص 442.

[4] _ الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، دار هومة، الجزائر، دط، .دت، ج01، ص 180.

حينها الكلام المستعار الذي يتطابق ومقصدية الخطاب[1]. وهو ما رآه سيرل *jean searl* الذي أشار إلى مقصدية المتكلم في توظيفه للعدول الدلالي (الاستعارة) حيث ينعزل عن معنى الكلام أو كيف نقول شيئا ونعني شيئا آخر تماما[2].

وفي هذا الضرب من العدول يتم التفاعل بين الوحدات داخل التركيب أين تكتسب اللغة حيوية وثراء في التعبير عن المجردات بصفة خاصة. وفيه تسمو ذروة الإبداع وترسم معالم الخصوصية الأسلوبية بشكل سافر " إنَّ إعادة هيكلة التراكيب للخروج بها على غير مخرج العادة من شأنه أنْ يحقّق مستوى إبداعياً نابضا بالإحياء ووفرة الدلالة. وفيه تنقض المراتب الجاهزة المألوفة ويشحن الخطاب بطاقات أسلوبية ذات إيحاء مُبطَّن وجمال مؤثّر في المتلقي، حامل لقيّم لا يؤديها الترتيب الأصلي. كما أنَّ المستوى الثاني من اللغة يجد فيه المتكلم أريحية حين يتجاوز قاعدة لكل دال مدلول، حيث يتجاوز الدال مرجعيته الضيقة فتتعدد المدلولات للدال الواحد بمجرد إدخاله في سياق لغوي مجازي وهنا يتجسد فعل المبدع فيما يمكن أن نسميه أثر الأثر"[3].

هذه المنبهات الأسلوبية القائمة على العدول عن الأصل تركيباً أو دلالةً من شأنها أنْ تشدّ انتباه المتلقي وتدفعه إلى التأمل فيما يورد عليه. وقديماً تنبه علماؤنا إلى مزية التجديد في مذاهب التعبير وما يترتب على ذلك من جذب للنفوس واسترعاء للانتباه لأنَّ "النفوس تحب الافتتان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدد نشاطها بتجدد الكلام عليها"[4].

ولأنَّ اللغة العربية لغة مرنة ورحبة بامتياز فإنَّ كل طريقة من طرائق تركيب الجمل والعبارات تختلف عن التراكيب الأخرى في الدلالة وإنْ اتحدت الأدوات أو الألفاظ بين التركيبين، حيث يكون لكل واحد منهما قصد محوري أساسي يوجه البناء التركيبي في الهندسة التي تتلاءم معه فصحّة الكلام تتطلب بالضرورة حضور بلاغ يبلغ إلى المخاطب مصيباً هدفه في نفس متلقيه متوفر على درجة من التأثير حسب ما يبتغيه المقام.

---

[1] _ ينظر: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبيرتو إكو، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط01، 2000، ص238.237.

[2] _ ينظر: sens et expression de nuit, jean searle ; paris,1979, p 129.

[3] _ العدول التركيبي ، مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 101.

[4] _منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص361.

وعليه فالكلمة البليغة هي فقط التي تكون مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته، متماشية مع كل خصائص صياغة الكلام وأوضاع تراكيبه، ليكون المقام بذلك مؤشراً يوجه لغة الكلام البليغ يراعي فيه المتكلم أحوال المخاطبين على وجه الخصوص " فذكاء المخاطب أو غباؤه، وتردده أو إنكاره وطبقته الاجتماعية وطبيعة ثقافته وميوله وآراؤه المذهبية وعلاقته بالمتكلم أو بموضوع الكلام وما إلى ذلك،كلها أحوال ومقامات يتنوع الكلام بتنوعها بل إنَّ بلاغة الكلام لا تتمثل إلاَّ في مطابقته لها ومشاكلته إياها" [1]. فأحوال المخاطبين تسيِّر الخطاب فالخبر الذي يلقى إلى مخاطب خالي الذهن ليس نفسه الذي يلقى إلى المخاطب المتردد ولا نفسه الملقى على المنكر له،حيث لا يحتاج الأول إلى أي إثبات فيرد الخطاب خالٍ من المؤكدات.

وهذا ما صرح به السكاكي حين قال: "ومقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك غير مقتضى آخر"[2] ولا ينظر في الكلام البليغ إلى أحوال المخاطب فحسب فللمتكلم كذلك أحوال يجب أنْ تراعى فحاله يقول حسن طبل " أنها المراد الأول والجوهري للمطابقة ...وذلك الواقع الذي لا يكون العمل الفني رصداً آلياً مباشراً له .بل تصويراً فنيا لرؤية مبدع له وانفعاله الخاص به"[3]. فللمتكلم أحوال تدعوه إلى إنتاج التراكيب بطريقة محددة توجهها حالته النفسية والانفعالية ما يعطي لكل شخص خصوصية في التعبير وتفرد في الأسلوب فيقدم المبدع ويؤخر،ويعرف وينكر حسب أحواله النفسية وما يريد هو أنْ يوصله عن ما يختلج نفسه من أحاسيس لا تضبط إلا بالتركيب الذي يراه مناسب لها،وذلك كإنزال المنكر منزلة خالي الذهن مثلا.أضف إلى ذلك حسن اختيار التراكيب والقوالب اللفظية التي تتلاءم و الأغراض الكلامية وتخصيص اللفظ الذي يتناسب مع المعنى مع حسن نظمها مع جاراتها، ويقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد: "هل يتصور أنْ يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدلُّ على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به؟ وهل يقع في وهم وإنْ جهد أنْ تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أنْ ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم "[4].

---

[1]- علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن الطبل،مكتبة الإيمان، مصر، ط02، 2004، ص 13.

[2]- مفتاح العلوم، السكاكي ، ص 73.

[3]- علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص 14.

[4]- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص21 .

وتراعى الظروف والاعتبارات الخارجية الداعية للكلام والمصاحبة له ومن ذلك "مثلا المناسبة التي قيلت فيها القصيدة وسبب نزول الآية الكريمة والبيئة الزمانية والمكانية للنص أو ما إلى ذلك من اعتبارات لا يمكن إغفال أثرها في الكلام أو ضرورة الوقوف عليها عند فهمه و تذوقه "[1]. والمقام بمثابة التربة التي يستنبت منها المقال، والمعيار الأساسي الذي يرجع إليه عند دخول أي عمل إبداعي لقياس مدى نجاح الإبداع فيه، فلا يمكن بأي حال من الأحوال النَّظر إلى الكلام بعيداًعن زاوية الحال التي أنتج فيها "فحذق الأديب والشاعر يظهر في كل خاطرة من خواطر نفسه، وتفصح عن كل فكرة تومض في كيانه أو شعور يختلج مطاويه"[2].

ومن يتأمل أساليب العرب في كلامها يقف على نتيجة مفادها أنَّهم كانوا يراعون أحوال المتلقي بما في ذلك جوانبه النفسية فيراوحون بين أسلوب وآخر تنشيطا للسامع ولفتا للانتباه،مثلما هو الحال بالنسبة لأسلوب الالتفات الذي يعد نوعا من العدول عن الأصل الذي يحقق وظيفة بلاغية خاصة. وكان أبو يوسف السكاكي قد أشار إلى ذلك قائلا: "والعرب يستكثرون منه ويرون أنَّ الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان أدخل في القبول عند السامع،وأحسن تطرية لنشاطه، وأملا باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك...أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون بين لون ولون، وطعم وطعم، ولا يحسنون قرى الأرواح فيخالفون بين أسلوب وأسلوب."[3]هذا التلوين في إلقاء الخطاب سيظل مقرونا بالغاية القصوى من إيراد الكلام الذي تضبطه الدلالات وتوجهه المقاصد "لأن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهولا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها وفتّش عن دقائقها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنّه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهما، وأغمضها طريقا."[4]

ومن مسوّغات العدول عن الأصل كثرة الاستعمال التي تدفع المتكلم إلى الحذف سعياً منه إلى طي ما هو معلوم في سياق الحديث. وهو ما يدعو إلى التصرف في الكلام بالإيجاز أو الإضمار أو

[1] _ علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن الطبل، ص 14.

[2] _ خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط07، 1427هـ -2006م، ص 77.

[3] _ مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، ص86.

[4] _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ج02، ص180.

الحذف وغير ذلك خاصة وأنَّ العرب "إلى تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج"[1]. ويتجلى هذا الأمر بشكل سافر في أسماء الأعلام التي ترخَّم لكثرة دورانها في الاستعمال عادةً.

ومن الإجراءات الأسلوبية القائمة على العدول بغية احتواء فكر المتلقي " تكثيف المعنى في الكلام وجعل المتلقي يتفاعل مع ما يلقى عليه بدرجة أكبر من خلال توظيف الصياغات الفنية القائمة على التصوير الذي يلبس الفكرة حللا بهية.ويشحنها بطاقات معنوية جمة، يحقق لها الشعرية التي هي تكثيفية اللغة التي تثير فضول المتلقي وتدفعه إلى التأمل والتحليل."[2]

والبحث في ظاهرة الحذف مثلا يؤدي بنا إلى الوصول إلى بعض أسرار النظم، ولعل ما يهمُّنا خلال دراسة هذه الظاهرة _الحذف_ تحديد الأسباب التي تؤدي إلى العدول عن الذكر إلى الحذف، وكذلك الوقوف على الهدف من استخدام أبنية الحذف دون غيرها.

وفي أسباب العدول عن الذكر إلى الحذف ما يفسر موجب هذه العملية التي يتناسب فيها التركيب مع طبيعة الموقف الذي يعكس حالة المتكلم ويستدعيه حال المخاطب، حيث يختار المتكلم الحذف لصياغة تركيب أكثر تلاؤماً مع ما يكمن في نفسه من دلالات وأحاسيس يقدمها للمتلقي في صورة مسموعة أو مكتوبة، وهنا تبدأ مهمة المتلقي الذي يطيل التركيز في هذا التركيب النحوي الجاري على غير العادة، ثم يحلل العلاقات النحوية في بنية التركيب فالأصل أنْ يرد الكلام بغير حذف فيصبح التقدير المحذوف السبيل الوحيد لتحديد قيمتها بعد ذلك.

والمزية في الحذف إنَّما تُرَّد إلى ما يقع في نفس المخاطب الذي يحس بموضع الحذف في التركيب وما يترتب عليه من لطف وحسن يجلب أحاسيسه تلقائيا إلى ما يصبو المتكلم إلى إبرازه من خلال الحذف، كما أنَّ تقدير المحذوف فيه ردٌّ إلى الأصل وهو الذكر فيرى المتلقي أنَّ المعنى يفقد قيمته وأثره النفسي ويفقد معه اللطف والملاحة وهو ما أسماه عبد القاهر الجرجاني بالتكلف حين قال: "ثم تكلف أنْ ترد ما حذف الشاعر وأنْ تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك"[3]. فبإرجاع المحذوف إلى موضعه فقط يتحدد للقارئ سبب عدول المتكلم عن الأصل فيتفطن بدوره إلى حدوث ذلك.

---

[1] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص343.

[2] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 104.

[3] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 151.

والباحث في أسلوب الحذف يجد فيه دعوة إلى التحليل الذوقي لقوانين النحو وأحكامه لأنَّه يدعو المتلقي إلى أنْ ينظر بقلبه ويستعين بفكره في كنه دقائق الحذف الذي تؤطره الأحكام النحوية بأبعادها الجمالية، "فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في حال ينبغي أنْ يحذف فيها، إلاَّ وأنت تجد حذفه هناك أحنُّ من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به."[1]فالحذف لا يخرج عن ما تنصُّ عليه القاعدة النحوية التي تحقق شرط استقامة التركيب بالإضافة إلى خضوعه للأثر النفسي الذي يعد داعيا رئيسا للخروج عن نظام الجملة القواعدي إلى الحذف.

وما قيل عن موجبات الحذف يقال عن بقية عوارض التركيب التي تعتري الكلام، كأسلوب التقديم والتأخير الذي يقترن هو الآخر بأدوار دلالية تتحكم بشكل مباشر في عملية إنتاج الكلام.

والجمل السطحية المتمخضة عن التحويل من البنية العميقة يختارها المتكلم لأنَّها تواءم غرضه من بين الخيارات المتوفرة في بنيته العميقة، والتي تحتمل أكثر من وجه إعرابي أو جوزات نحوية يعدل بها عن النمط الأصلي. "والحق أنَّه ليس وجه أرجح من وجه ولا مساويا له ذلك أنَّ معنى كل تعبير مختلف عن الآخر"[2]. فالمتكلم يعلم التركيب الموافق للسياق فيحدده، فالنحاة لم يجوزوا الرتب غير المحفوظة إلا لأنَّ التقديم في التركيب يخدم معنى معينا قابعا في نفس مستعمل اللغة، وأنَّه إنْ استعمل التركيب الأصلي فلأنه أراد معنى غير المعنى الأول.

2 ـ أثر آليات العدول في صياغة التراكيب:

تتطلب عملية التعبير عن المعاني المختلجة في النفس والماثلة في الذهن العناية اللازمة باختيار القوالب التركيبية الكفيلة بنقل تلك الأفكار المجردة نقلاً أمينا يقوم أساسا على الاستغلال الأمثل لكافة الخيارات النحوية التي توفرها اللغة لمستعمليها، إما بالتزام الأصول النمطية في التعبير، أو بالعدول عنها إذا اقتضى الأمر ذلك. وستظل العناية بإخراج المعنى في أدَّق صوره مطلب كل بليغ. لذلك كانت العرب تعنى بتجويد كلامها وإخراجه على الهيئة الدالَّة على نوعية المعنى عبر خصوصية التركيب الحامل لمطالب المعاني.

---

[1] _ المصدر السابق، ص103.102.

[2] _ الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السمرائي، ص 268.

وتعرض ابن جني إلى هذه الفكرة مبينا بأنَّ العناية بالمعاني مدعاة إلى التصرف في المباني حيث يقول: "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذَّبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترين أنَّ العناية إذ ذاك إنَّما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف منها. ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه، وإنَّما للمبغي بذلك منه الاحتياط للموعى عليه، وجواره بما يعطر بِشره ولا يعر جوهره، كما قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كِدرة لفظه وسوء العبارة عنه"[1]. ولو تأملنا أحوال اللسان العربي وما يزخر به من طاقات أسلوبية وخيارات نحوية، لأمكننا القول بأن هذا التراث من شانه أنْ يمنح المتكلم حرية واسعة تمكِّنه من التصرف في إخراج أفكاره عبر قوالب تعبيرية فيها من لمسات الإبداع ما يشغل الفكر و يلفت الانتباه، حيث نلحظ ذلك من خلال عوارض التركيب التي تؤطرها مقاصد الكلام.

وذلك أنَّ تعبير الإنسان في حياته اليومية يتميز بنوع من الخصوصية فيصوغ أفكاره ليؤثر في أخيه الإنسان ويعبر عن أحاسيسه وكل ما في نفسه فاللغة كما يقول ابن جنِّي: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2]. والأغراض هنا تحمل كل ملابسات الكلام النفسية والانفعالية كما سمَّاها فندريس.لأنَّ دراسة اللغة لا ينبغي أنْ تقف على كيفية صياغة الأفكار فحسب بل يتوجب ربطها وفق علاقات تربط بين الأفكار ونفسية المتكلم "فيجب أن نميز في كل لغة بين ما يمدنا به تحليل التصورات وبين ما يضيف إليه المتكلم من عنده: بين العنصر المنطقي والعنصر الانفعالي"[3].

ولعله ما نلمسه في آثار الكتاب و الشعراء الذين اعتنوا بتجميل فن القول متوسلين لذلك بما هو أنسب وأقدر على إبراز الفكرة في أرقى تجلياتها، بغرض التأثير وهو ما رآه ابن جني إذ قال: "إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإنَّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها"[4] هذه الشهادة من ابن جني تؤكد عناية العرب بتجويد أساليبها وإبراز أفكارها في معرض حسن.

---

[1] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص217.

[2] _ المصدر السابق، ج01، ص33.

[3] _ اللغة، فندريس، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، دت، دط، ص183.

[4] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص215.

فالأفكار واللغة إذاً "يلتقيان عند الإنسان وفيه، فلا يكون أحدهما فيه إلاَّ بالآخر ولا يكون هو بغيرهما فبهما ينتقل ويتحول وبه يخرجان إلى حيِّز الوجود فيستمران ويتجددان وفقا للنظام اللغوي الفكري أو الفكري اللغوي"[1]. فيختار المتكلم كلمات لتختار هي الأخرى بدورها مكانها في الترتيب اللغوي وتنظم نفسها في الجملة حسب درجة قوتها بحيث يكون هذا الترتيب على عاتق المتكلم تجيزه اللغة.

واللغة العربية لغة تتيح كل الفرص لمستعملها مع حرية من نوع خاص تسمح للمتكلم بالخروج عن ثوابت النحو التي قد لا توصله إلى المطلوب، لأنَّ أحاسيس وأفكار الإنسان وذكاءه يصل إلى درجة من التعقيد الذي لا تستوعبه الأنظمة اللغوية والنحوية الصارمة، ولأن الإنسان مجبول على الكلام وعن إخراج أفكاره وخاصة أحاسيسه فلابد له من لغة تقدم له خدمات تعبيرية وحرية الابتكار اللغوي ليصل إلى المطلوب ويوصله ويتبادل أفكاره مع غيره، فتجد اللغة حينئذٍ نفسها أمام أمر واقع التنازل عن ثوابتها وقواعدها الأصلية خدمة للمعنى بالدرجة الأولى في حدود المسموح به.لأنَّ موضوع اللغة هو موضوع حسي يعبر عن انفعالات شخصية ليحدث التواصل وهي بذلك أكبر وأوسع من أي مذهب نحوي، فيحتاج المتكلم مثلاً لصوغ عباراته إلى ترتيب مبتذل حسب درجته التأثيرية والحسية يرى أنَّه هو الترتيب المناسب من الوهلة الأولى وعلى هذا الأساس فإنَّ " هذا الترتيب يمكن مخالفته ولكن مجرد المخالفة ينبئ عن غرض ما هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها وتلك مسألة أسلوبية يمكن تتبعها إلى أقصى وقائعها "[2] لنصل أن الأصوات التي أرادها ابن جني في تعريفه للغة هي وسيلة للتعبير عن الأفكار القابعة في عقولهم وأذهانهم لتكون تلك اللغة المكونة من أصوات ونظام ذهني مفترض وعاء يتدفق فيه الفكر.

والحاسة الفنية تبدي عن سرعة إدراك العلاقات القائمة بين الصورة الذهنية الحسية والتركيب الجديد الذي تفطن إليه المبدع، والذي يعد بمثابة آلة تصنع وتجسد التذوق، إذ أنَّ الإحساس في صورة التركيب يكون مؤشراً واضحاً عن القدرة الإبداعية والانفعالية والوجدانية، إضافة إلى القدرة العقلية غير المسبوقة التي تختلف باختلاف المزاجية والزجات المهارية، ليُستخلص الفن في الكلام من تراكيب ودلالات جديدة تستحضر في الذهن بإخراج فني ينحرف بدلالتها الوضعية إلى دلالات تثير الفكر

[1] _ المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، خليل أحمد عمايرة، دار وائل، عمان،ط01، 2004،ص 319.

[2] _ اللغة، فندريس، ص 188.

والإحساس وتبعث على الدهشة والاستغراب. فيستجيب المتلقي لتلك المؤثرات الفنية التي جذبت ملكاته الفكرية والعاطفية حيث تبدأ خبرته الجمالية لأنَّه انفعل للعبارات الحلوة والموقعة والنظم المنسجم والإخراج الفني الذي ينحرف بدلالته الوضعية فيجعل له سلطانا من الإبهام ينفذ به من أقطار قواعده النحوية والمعجمية المحدودة [1]. فحسن صنعة الخطاب وحسن نظمه ودقة اختيار ألفاظه تشدُّ المخاطب تلقائياً ويَصنع في قلبه "صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها صدور الجبابرة وقد قال عامر بن قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان"[2] .

وكل ما سبقت الإشارة إليه من البواعث "التي تنوعت وتباينت في إصابة كبد المعنى بتفجير كوامن الإبداع وتسامي ذروة الإمتاع عبر آلية العدول وما ينتاب التراكيب من عوارض يجعلها تتلون بتلون طيف الفكرة وحادي القصد ... فإذا كانت اللغة وسيلة تبليغ لغرض الإفادة فهي لا تعدم أن تكون مطية إبداع لتحقيق اللذَّة العقلية والمتعة النفسية عبر محصلة التفاعل الدلالي بين الألفاظ ومعاني النحو التي يتوخاها الناظم في كلامه"[3]. التصوير الذهني للفكرة قد يتماثل لدى بعض الأفراد لكن طريقة التعبير عنها تختلف باختلاف الأشخاص ومستوياتهم الثقافية وما تتيحه اللغة من حرية في التعبير عن المعنى عبر آلية العدول التي تعمق الخصوصية التعبيرية بين الأفراد "فإنْ كان مستعملوا اللغة يكرعون من معين واحد لنظام لغوي معين، إلا أنَّ الفوارق ستظل ماثلة بين أسلوب وآخر مادام لكل متكلم حرية الاختيار في بناء الجمل والتراكيب "[4].

لا شك أنَّ الفوارق الأسلوبية هي وليدة العدول عن الأصل في مجملها "ذلك أن منتج الرسالة القاصد لمعنى ما يجد نفسه أم مجموعة من الخيارات الأسلوبية المتقاربة فيما بينها المتفاوتة الدلالة ليختار منها ما هو أدق تعبيرا وأقوى تأثيراً وكلما كانت الأفكار أعمق في مضمونها، وأبعد في غورها

[1] _ ينظر: مفهوم الإبداع، محمد طه عصر، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 2000، ص113.

[2] _ البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص 83،84.

[3] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص113.

[4] _ المرجع السابق، ص116.

احتاجتّ إلى لغة أدق في تركيبها وأشف في بيانها"[1] .ولما كان الأمر كذلك فإنَّ الاجتهاد في طلب التركيب الأنسب يتضاعف مفعوله، وتكون ثمرة ذلك إنتاج تراكيب إبداعية متجاوبة ودقة الفكرة التي يؤطرها العدول عن الأصل في كثير من الأحيان.

والوقوف على سر الإعجاز اللغوي يستند على طرق ومعايير دقيقة والمتمثلة في الأبنية النحوية التي ترصد حركة الكلام وانتقاله من مستوى إلى آخر لتحقيق دلالة معينة .فاتخاذ القوانين النحوية معيارا إلى جانب الحس اللغوي، والدربة، والتذوق تتجاوز في كثير من الأحيان المستوى الاطِّرادي للنحو وتتخطاه لتقع في مستوى أعمق بكثير لا يقع على استقرار، يؤطره العدول عن المستوى الأول حيث تكمن فيه المزية و الحسن والذي يميز كل بنية عن أخرى.

توظف هذه المعايير لتعكس قدرة المبدع وكفاءته التي لا يتوصل إليها إلامن خلال الأبنية التركيبية المستخدمة من طرفه في حدود ما يتيحه علم النحو وأحكامه وذلك " بمقابلة البنية الفعلية بالأبنية الأخرى المحتملة التي يمكن أن تقع موقعها لتؤدي وظيفتها لتحديد سبب أو علة المفاضلة والتمييز بين الأبنية " [2] فيتحكم العنصر النحوي بمفهومه الواسع في عملية التأليف .

والأبنية اللغوية تتجلى في انتقاء مجموعة من المعايير الخارجية التي تَكفل لها التحليل العميق والوصف الدقيق إضافة إلى المعيار الداخلي النفسي (قصد المتكلم) فالمخاطب لا يستطيع الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يبتغيه المتكلم إلا من خلال فهمه التام لكيفية نظم ذلك الكلام ووعيه بالعلاقات الدلالية والنحوية المختلفة التي تربط بين أبنية التركيب.

[1] _ المرجع السابق، ص118 .

[2] _ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص 222.

المبحث الرابع:العدول في الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة.

المطلب الأول: العدول في الدراسات الغربية:

تبوَّأت ظاهرة العدول في الدراسات اللغوية الحديثة مكانة متميزة لما لها من ثقل أسلوبي لافت للانتباه، يكون ناشئا عن صرف الكلام عن نسقه المعتاد في التأليف وهو ما يسميه جون كوهن بالانتهاك الذي يلحق التراكيب فيعدل بها عن أصلها في الصياغة، ويشَّكل ميزة فارقة بين أسلوب وآخر" بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته، وما ذاك إلا لأن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين الأول مستواها المثالي في الأداء العادي والثاني مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها" [1]. وجعلوا من هذه الخصوصية التعبيرية التي تتيحها اللغة للمتكلم الذي يبني تراكيبه على مبدأ الاختيار الذي يتناسب ونوعية الفكرة المعبر عنها ويتجلى ذلك من خلال ظاهرتين أساسيتين هما:

"_ الاختيار بين الإمكانات التي تتيحها اللغة.

_ التحكم في هذه الإمكانات ودفعها في مسارها الطبيعي "وهذا ما يعرف في علم الأسلوب بالانزياح"[2].وتمثل هذه الظاهرة –العدول– أبرز سمة في الدراسة الأسلوبية، وعلى هذا الأساس فسر البحث الأسلوبي بأنَّه علم الانحرافات *(sciences des ecart)*[3]

للإشارة فإن الدراسات اللسانية الحديثة كالتي قال بها دي سوسير قد أمدت البحث الأسلوبي بكثير من الأدوات المساعدة على دراسة اللغة دراسة علمية محضة. وكان من أهم إنجازاته تلك الثنائيات التي اتخذ منها وسيلة لدراسة اللسان البشري، ومن هذه الثنائيات تمييزه بين اللغة والكلام (*langue parole*) معتبرا اللغة مجموعة من النظم والرموز المجردة المختزنة في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة،وأما الكلام فهو التحقق الفعلي لتلك النظم والرموز [4]. ومن خلاله تتجلى السمات الأسلوبية

---

[1] _ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص268.

[2] _ الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، دار هومة، الجزائر،دط، دت، ج01، ص67.

[3] _ ينظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط05، 2006م ص102.

[4] _ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص22.

الفارقة بين شخص وآخر. "وإذا كانت اللغة أكثر أنظمة التعبير تعقيدا وانتشارا فإنَّها من جهة أخرى أكثرها تميزاً بخصائصها ...ذلك أنَّ المكان الذي تحتله اللفظة وسط سلسلة التعبير هو الذي يزيل عنها عشوائياتها. ويضعها تحت الشكل النظامي داخل الكلام"[1]. فإذا كان الأسلوب يمثل مختلف الأنماط المتنوعة في اللغة فإنَّ الأسلوبية تركز على تحليل هذه الأنماط مبرزة خصائصها. حيث تركز الأسلوبية على الجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية، وبخاصة لما تحيد عن أصلها وهذا ما يسميه جون كوهن بالانتهاك[2] فانصب اهتمام الأسلوبية بدراسة أساليب اللغة الإبداعية المتجلية في اللغة "لتضحى بذلك علماً يعنى بدراسة الأسلوب أو التشكل الإبداعي للكلام والأعمال الإبداعية"[3].

ومن الثنائيات التي أفادت الدرس الأسلوبي ثنائية تشومسكي. التي عبر عنها بالكفاية والأداء(*compétence/performance*) فالكفاية تتمثل في الرصيد اللغوي الراسخ في أذهان المتكلمين أو ما يعرف الملكة اللغوية لدى الأشخاص، أمَّا الأداء فهو يتحدد بكيفية استخدام ذلك الرصيد المخزن الذي تتفاوت درجة وقوة الإبداع في رسمه من شخص لآخر، حيث تتجلى آليات العدول حسب ما يتطلبه المقام فيحترم المتكلم ما تنص عليه القوانين النحوية حينا ويخرج عن سلطانها حينا آخر فتتمظهر حينها القوة الإبداعية التي يتجلى فيها الفكر.

ولعل أهم ما أفاد به التوليديون ترسيخ مبدأ التمييز في التركيب بين الأفكار الباطنية والظاهرية"أو باصطلاح التحويليين بين البنية السطحية والبنية العميقة. وتمثّل البنية العميقة الصورة المثالية الكاملة للجملة كما تحدّدها شرائط الصحة النحوية، ولا تظهر هذه البنية ولا يلفظ بها، وإنّما هي تكوين تقديري يحمل معنى الجملة وصورتها المثالية من الناحية التركيبية والدلالية، أما البنية الظاهرة أو السطحية، فهي الصورة الفعلية المحسوسة للجملة، وهي محوّلة عن البنية العميقة"[4].حيث أنَّ البنية العميقة هي تلك الصورة الذهنية للتركيب المثالي التي تراعى فيها المعاني النحوية، أمَّا السطحية فهي التجسيد الفعلي المحول عن البنية العميقة لتجعل من ذلك المبدأ منطلقاً لتفسير اللغة الإبداعية. ولتجعل كذلك من الافتراضات الذهنية المجردة إحدى أهَّم مقومات علم الأسلوب وهو ما رآه ثورن

[1]_ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص174.

[2]_ ينظر: structure du language poetique cohen.j p100.

[3]_الأسلوبية الشعرية، عشتار داوود، دار مجدلاوي، الأردن ،ط01، 2007، ص 14.

[4]_نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي،490.

حيث قال:"النحو الذّهني هو وحده الذي يستطيع أنْ يقدّم قاعدة مناسبة لعلم الأسلوب، ويترجّح القول بأنَّ فشل علم اللغة فيما قبل تشومسكي في تقديم هذه القاعدة يرجع أساساً إلى إفراطها في الاتجاهات غير الذهنية"[1].

بدأت ظاهرة العدول تأخذ مكانتها في الدراسات الغربية الحديثة مع بداية القرن العشرين،حين انتقد مجموعة من اللغويين قواعد الكلاسكية ومن بين هؤلاء نذكر ديبوا الذي رأى أن الفن الذي يتقاطع والعبقرية التي تتنافى والمعايير المضبوطة وعليه فإن خرقها هو عين الفن والإبداع ذلك أنَّ: "العبقرية لا تكتسب بأي قدر من الدراسة والاجتهاد"[2]. يقول أوستين و ويليك "نحن نراقب الانحراف عن الاستعمال العادي، ونحاول أن نكشف غرضه الجمالي، ففي الحديث المتصل العادي لا ننتبه إلى صوت الكلمات ولا إلى ترتيبها ، ولا إلى بنية الجملة ...فالخطوة الأولى في التحليل الأسلوبي ستكون مراقبة مثل هذه الانحرافات كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات أو بناء تسلسلات متشابكة من الجمل وكل ذلك مما يخدم وظيفة جمالية "[3]. والحقيقة أنَّ الإبداع هو من وحي الإلهام ودقة التصوير فيه إنَّما تكمن في مراعاة أمور قد لا تستوعبها القواعد اللغوية نفسها فهي عاجزة في أغلب الأحيان أمام اللسان البشري وكيانه في إيصال المعنى المقصود بالدقة المطلوبة والذي يختلف من حالة إلى أخرى فيتطلب الأمرُ حينئذ ما هو أوسع وأرحب من القواعد المعيارية بكثير للوصول إلى الأداء الإبداعي.[4]

معلوم أنَّ لغة الشعر هي لغة إبداعية بلا شك لأنَّ شعرية الشعر لا تتحقق إلا بكسر القوانين اللغوية ."عن طريق اختيار تركيبة معينة من بين التراكيب المتاحة، حتى يتم الخروج فيه على القواعد النحوية فهو محدد بما وضعته البلاغة من ضوابط للحريات، ثم اختيار صياغة تصبح بإزائها التراكيب

---

[1] – *Generative grammar and stylistic analysis , Thorne ; new horizons in linguistics. p:184.*

[2] _ المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عياد شكري محمد، عالم المعرفة، الكويت،دط، 1993، ص 128

[3] _ نظرية الأدب، أوستين وارين و وليك ، تر : محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سوريا،دط،1997 ص 232.

[4] _ ينظر:الانزياح من منظور الدراسات الغربية، أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط0، 2005م. ص 85.

المتعددة متآلفة دلاليا"[1].توجهت الدراسات الغربية إلى دراسة اللغة الشعرية وكيفية حصولها في ضوء ما يسمى بالعدول كما هو وارد لدى هؤلاء، فالمبدع الذي يستغل ليونة اللغة و ثراءها يرمي إلى إحداث عنصر الغرابة والتعجب الذي لم يكن ينتظره المتلقي فهذه الغرابة ناتجة عن انحراف لغوي ألغى العقل في سبيل تحقيق ذلك الانفعال المرجو من الأداء الإبداعي.[2]

مثَّلت فكرة العدول أحد الظواهر الأسلوبية المعاصرة في دراسة الشعر، ولعل البداية كانت على يد فاليري الذي أشار إليه جان كوهن في كتابه "بنية اللغة الشعرية " فأفكار فاليري (1871 ـ 1946) تومئ إلى ظاهرة العدول في اللغة، ويتضح ذلك جلياً في تمييزه بين اللغة العادية واللغة الإبداعية، حيث شبه الأولى بالمشي والثانية بالرقص. "وتشبيه الشعر بالرقص تشبيه خصب جميل لايعرف تشبيها أصح ولا أشمل منه فإذا كان المشي وسيلة تقود إلى غاية فإنَّ الرقص هو الوسيلة والغاية معا و إذا كان الراقص يستعمل نفس الأرجل و الأعضاء التي يستخدمها صاحب المشي فإنَّ الخلاف بينهما هو في الطريقة التي يتم بها كل واحد منهما بها وكذلك الشأن في الشعر"[3]. فالشاعر يستخدم نفس الألفاظ و الأدوات التي يستعملها الناثر إلاَّ أن الشاعر يتناولها في تراكيب جديدة مخالفة تماما عن للنمط العادي.

أخذت ظاهرة العدول تشق لنفسها نهجا مميزا وتفرض نفسها بجلاء في الدراسات الأسلوبية منذ أن قال بول فاليري:"عندما ينحرف الكلام انحرافا معينا عن التعبير المباشر– أي على أقل طرق التعبير حساسية– وعندما يؤدي بنا هذا الانحراف إلى الانتباه بشكل ما إلى دنيا من العلاقات المتميزة عن الواقع العملي الخالص فإننا نرى إمكانية توسيع هذه الواقعة الفذة، ونشعر بأننا وضعنا يدنا على معدن كريم نابض بالحياة قد يكون قادرا على التطور والنُّمو."[4]لقد أذكت هذه الفكرة قرائح الأسلوبيين الذين ذهبوا بعيدا في تعميق نظراتهم إلى الأسلوب.

ويمثل العدول عند تودوروف المحور الذي يقوم عليه الأسلوب، فاللغة عنده تقوم على المستوى النحوي والمستوى اللانحوي، ومستوى آخر هو المستوى المرفوض.ويركز تودوروف على المستوى الثاني

[1] _ الأسلوبية الشعرية، عشتار داوود، ص 18.

[2] _ ينظر: الانزياح في الشعر العربي المعاصر، ندية حفيز، دار هومة، الجزائر،ط1، 2013، ص 26.25.

[3] _ الانزياح من منظور الدراسات الغربية، أحمد محمد ويس، ص87.

[4] _ الرؤيا الإبداعية ، هاسكل بلوك وهيرمان سالنجر، نترجمة: أسعد حليم، سلسلة الألف كتاب، القاهرة،ط01، 1966م. ص 20.

(اللانحوي) الذي يرقى بواسطته المتكلم إلى صفوة الإبداع والبعد عن المألوف وكل ماهو رتيب عن طريق انتهاك المستوى الأول الذي يكمن دوره في أنَّه معيار أو خلفية تقاس شدة العدول وشاعرية الكلام من خلاله، وبهذا تكون"اللغة القياسية هي الخلفية التي ينعكس عليها التحريف *distortion* المتعمّد للمكوّنات اللغوية للعمل من أجل تحقيق هدف جمالي... إنَّ انتهاك *violation* قواعد اللغة القياسية، الانتهاك المطّرد *systematic* هو ما يجعل الاستخدام الشعري للغة ممكنا، وبغير هذه الإمكانية لا يكون هناك شعر، وكلّما كانت قاعدة القياس في لغة ما أكثر رسوخا كان انتهاكها أكثر تنوّعا، وتعدّدت –بالتالي– إمكانات الشّعر في تلك اللغة، ومن ناحية فكلّما كان الوعي بهذا المعيار ضعيفا، قلّت إمكانات الانحراف، وقلّت بالتالي احتمالات الشّعر"[1].

وتناولت البنوية ظاهرة العدول حيث يرى ميشال ريفاتير(*Michael riffaterre*) أنَّ "لغة الشعر تختلف عن الاستخدام المألوف للغة وهذا أمر يدركه القارئ العادي وحتى الساذج وحقيقة أنَّ الشعر كثير ما يوظف كلمات لا ترد في الكلام العادي وغالبا ما يتميز بنحو خاص"[2]. والمراد من هذا أنَّ اللغة الشعرية إنمَّا تكسب خاصيتها الإبداعية بالتعبير غير المباشر فقد يقول الشاعر شيئا و هو يقصد شيئا آخر تماما.لأنَّ "اللغة الأدبية بإجراءاتها الأسلوبية، قادرة على خلق سياقات خاصة، أي معايير ظرفية وخرقها في نفس الوقت"[3].وذلك بنظم الكلام بتراكيب مستجدة مثيرة للانتباه عن طريق العدول الذي يعتبره ريفاتير: "نموذجا لسانيا مقطوعا بعنصر غير متوقع والتناقض الناتج عن هذا التداخل هو المنبه الأسلوبي"[4].

فالهدف من العدول عن الأعراف اللغوية عند ريفاتيرخلق منبهات أسلوبية مثيرة عن طريق نسج الأركان الإسنادية بطريقة تستهدف إثارة المتلقي الذي يقف على حل شفرات التركيب الجديد والبحث عن المقصود منه عن طريق إبراز "بعض عناصر سلسلة الكلام، ودفع القارئ إلى الانتباه

---

[1] _نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي ص485.. نقلا عن:

LanguageStandard Language and Poetic- , J Mukorovsky ; P. 40-41

[2] _سميوطيقا الشعر، ميشال ريفاتير، تر: حميد الحمداني، در النجاح الدار البيضاء،دط01، 1993، ص 52.

[3] _ المرجع السابق، ص 10.

[4] _ المرجع السابق،ص:56.

إليها بحيث إذا سها عنها شوّه النصّ وإذا ركّز عليها وحلّلها وجد لها دلالات تمييزية خاصّة.ممّا يسمح بالقول إنّ الكلام يعبّر والأسلوب يبرز."[1]

والأسلوب عند جون بوفون (1707ـ 1788) هو الرجل[2]، فتشبيه الأسلوب بالرجل يكسبه طابعا من الخصوصية وسمة شخصية متفردة لا يوجد لها نظير، وقد شبهه شكري محمد عياد ببصمات الأصابع التي يتفرد بها كل شخص عن الآخر حتى عند التوائم وكذلك الأسلوب فإنَّه كالإنسان الذي يتميز بصفات معينة لا يتشابه فيها مع أحد[3]. وقد نبَّه تمام حسان إلى خاصية الأسلوب حيث قال أنَّ:" لكل فرد لهجته الخاصة فلا يتفق متكلمان في كل شيء حتى ولو كانا شقيقين"[4].نستشف من هذا أنَّ درجة الإبلاغ عن المطلوب تتفاوت أساليبها من شخص إلى آخر، ومن خلال هذا التميز الحاصل بين البشر تتجلى فردية الإنسان حيث يمكن لشخص معين إحداث مالا يستطيعه الآخر فيمكن لمجموعة من الشعراء التعبير عن موضوع واحد بأساليب تختلف من شخص إلى آخر، وذلك حسب قدرة كل واحد منهم على توليد التراكيب والعبارات التي تتسم بالإثارة والجاذبية[5].

وحازت مقولة بوفون على اهتمام الأسلوبيين أمثال شوبنهاور وماكس جوب الذي قال: "إنَّ جوهر الإنسان كامن في لغته وحساسيته."[6]وذلك بناء على طريقةغزل الأركان الإسنادية فتتضح بعد ذلك مراسم صاحب الكلام لأنَّه استعمل اللغة "استعمالا خاصا يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة، والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى"[7].هذه الخصوصية هي وليدة العدول الذي يكسب اللغة نوعا من المرونة وخاصيات أسلوبية تشكِّل "نوعا

---

[1]- *Essais de stylistique structurale. Riffàterre Michaël.* p : 31.

[2]_ ينظر: الأسلوبية والأسلوب، المسدي عبد السلام، ص :30-63. وينظر: الأسلوب،أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية،ط12، 2003م.ص 134.

[3]_ ينظر : اللغة والإبداع مبادئ في علم الأسلوب العربي، عياد شكري محمد، ناشيونال بريس، مصر، ط01، 1988 ص24.

[4]_ المصطلح البلاغي القديم، تمام حسان، مجلة فصول، مج 7،ع 4.3، ص 22.

[5]_ ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، ص 119.

[6]_ الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي،ص63.

[7]_ الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 2002م. ص 49

من الخروج عن الاستعمال العادي للغة، بحيث ينأى الشاعر أو الكاتب عمّا تقتضيه المعايير المقرّرة في النظام اللغوي."[1]

لم يذهب ليو اسبيترز بعيداً عما قاله بوفون في بداية كتابه عن الأسلوب فتوجه إلى أنَّ الأسلوب يعكس صورة صاحبه فالإثارة العقلية الحاصلة في العمل الابداعي مؤداها الرئيس هو خرق القواعد اللغوية كما أنَّ مصطلح الانحراف الذي جاء به جعل من المستوى العادي في الاستعمال اللغوي قياسا للعدول في الكلام، ورأى أن أسلوب العدول عن الأصل دليل على العبقرية الفردية في العمل الإبداعي[2].

لقد شكلت فكرة العدول عند شال بالي مؤشرا على الخصوصيات الفردية والقدرات اللغوية بين الأفراد،حيث اعتنى هذا الأخير بالعبارات اللغوية المشحونة بالطاقات الوجدانية والأسلوب عنده هو "الاستعمال العاطفي المنحرف باللغة، فإذا كانت اللغة تعتمد العقل والمنطق في التعبير فإنَّ العبارة تعتمد العاطفة والوجدان في نقل الشعور البشري بثّا، وفي التأثير فيه تلقيا. وهكذا نشأت الأسلوبية على أساس العدول عن الاستعمال العقلي الذي توفّره اللغة إلى الاستعمال العاطفي الذي توفّره العبارة"[3].حيث تبنى شارل بالي المنهج الآني التقابلي الذي يتخذ من المعايير اللغوية المجردة في نظم العبارات –الدرجة الصفر– معياراًتقاس على أساسه درجة العدول في الإنتاج الأدبي "فالعدول عنده،قائم على المقابلة بين بنيتين: بنية اللغة المحايدة، ذات الدرجة الصّفر من التعبير، وبنية العبارة المشحونة، ويتمثّل دورها في توفير القيم التعبيرية التي من شأنها إدخال الاضطراب على نظام اللغة العادية."[4] وهذا التحوّل الحاصل على مستوى التركيب يقوم على مبدأ الاختيار عند شارل بالي،حيث بالي،حيث يتم اختيار تراكيب مستجدة مستوحاة من الشحنات العاطفية يولدها المقام واعتبارات أخرى يؤطرها العدول عن البنية الكلامية العقلية التي تشكل نقطة انطلاق الإبداع الأدبي.

---

[1] _ التركيب اللغوي للأدب، (بحث في فلسفة اللغة والاستيطيقا)، لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر، الرياض،ط01، 1409هـ – 1989م. ص 139.

[2] _ ينظر : النقد والأدب، ستاروبنسكي ، تر: بدر الدين قاسم الرافعية، وزارة الثقافة ، دمشق ،ط1، 1976، ص 42 .

[3] _ فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، عبد الله صولة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانيةالدار البيضاء، عدد01، 1987م ص74.

[4] _ المرجع السابق، ص74-75.

بناء على ما سبق نجد أنَّ الأسلوبية البنوية اهتمت بدراسة ظاهرة العدول الحاصلة في الإنتاج الأدبي، حيث ميَّز جون كوهن في مؤلفيه "بنية اللغة الشعرية" و"الكلام العادي" بين الأسلوب العلمي والأسلوب الإبداعي في اللغة،جاعلا من اللغة النثرية الأصلية التي تدنو فيها دجة العدول من الصفر معياراً تقاس عليه شاعرية اللغة المعدولة عن الأصل، وشبه جون كوهن الأسلوب "بخطّ مستقيم يمثّل طرفاه قطبين، القطب النثري الخالي من الانزياح، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة. ويتوزّع بينهما مختلف أنماط اللغة المستعملة فعليا، وتقع القصيدة قرب الطرف الأقصى، كما تقع لغة العلماء، بدون شكّ، قرب القطب الآخر، وليس الانزياح فيها منعدما ولكنه يدنو من الصفر."[1] وتوصل أثناء التمييز إلى أنَّ الأسلوب الإبداعي الحاصل المليء بالعواطف والأحاسيس أرحب من الأسلوب العلمي، لتكون بذلك لغة الإبداع لغة تحويها لغة ثانية ونظاما جديدا بني على أنقاض من قديم باتخاذه ثنائية (المعيار/العدول)أساسا لنظريته[2].

وهو يرى أنَّ "القواعد الثابتة لا تخدم لغة الشعر فيدوس الشاعر على ضوابطها بالتلاعب في أركانها الإسنادية عن طريق التقديم والتأخير والحذف ليخلق بذلك الأثر الجمالي في الكلام "[3].

وبما أنَّ العبارة الشعرية عند كوهن تقوم على طريقة خاصة مخالفة تماما لكل ماهو مألوف فإنَّه عالج تلك الانزياحات التركيبية من خلال تحليله لثلاثة قصائد في كتابه بنية اللغة الشعرية "البحيرة" للامرتين و "حزن أولامبيو" لهيجو و "الذكرى" لموسيه واستخلص أن الموضوع العام للقائد واحد إلاَّ أنَّ كل قصيدة تحكي بطريقة خاصة بتراكيب إسنادية جديدة ترسخ في الذهن إذ فيها يكمن الحسن والجمال[4].

ولعل مرد هذا الاختلاف إلى التكوين التركيبي في نسيج كل قصيدة من تلك القصائد، فكل واحدة منها تحمل معاني فرعية خاصة بها لا تحملها الأخرى. وإنْ كان وجه الشبه بينها يكمن في

---

[1]_ بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء،المغرب، ط01، 1986م، ص 23-24.

[2]_ ينظر: المرجع السابق، ص129.

[3]_ cohen jean structure du longuague poetique flammarion 1966 p

[4]_ ينظر: بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، ص130.

الموضوع العام إلاَّ أنَّ طريقة التركيب المولدة عن كل شاعر منهم من شأنها أنْ تخلق دلالات جديدة ما كان لها أنْ تحقق لولا التركيب الجديد.

فمن الواضح إذن أنَّ التراكيب الجديدة المولدة عن كل شاعر المخالفة للنسق النحوي في التركيب الواحد من شأنها أن تضفي دلالات ومعاني جديدة لا يمكن الوصول إليها إلاَّ عن طريق ذلك الخرق الحاصل للقوانين إذ أنَّه لا يمكن الوصول للمعنى المنشود وبالدقة المطلوبة إلاَّ من خلال توليد تراكيب جديدة والتي يختلف حسن نظمها من شاعر إلى آخر.

وعليه فإنَّ جون كوهن أولى العدول التركيبي أهمية بالغة حيث خصَّص له فصلا في كتابه بنية اللغة الشعرية بعنوان "ترتيب الكلمات" ورأى أنَّه يقوم على تقديم وتأخير الأركان الإسنادية في التركيب فأطلق عليه مصطلح "القلب" حيث تطرَّق إلى الجمال الذي يضفيه التقديم والتأخير وقد مثل لذلك ببيت شعري فيه عدول عن الأصل جاء فيه:

تحتَ جِسر الميرابو يتَدفَّقُ السِين.

ثم أعاد الكلام الوارد فيه إلى أصله النحوي الترتيبي فيكون على النحو التالي :

السِينُ يتدفقُ تحتَ جِسر الميرابو.[1]

ورأى جون كوهن أنَّ الصياغتين مختلفتان من حيث الترتيب، حيث يترتب عن هذا الاختلاف دلالات مختلفة فالترتيب الأول أكثر جمالا وتأثيرا من الثاني ومرد ذلك إلى التمرد عن الأصل الشائع في الكلام إذ أنَّ وراء المخالفة قيماً جمالية ليس السر من ورائها حب التميز فحسب وإنما الغالب أن تصحبها غاية فنية تعكس ما في نفس الشاعر[2]. الذي أولى العناية للمكان فقدم الظرف.

وتذهب السريالية إلى أنَّ الشعر غير اللغة لأنَّه عبارة عن انحراف عن اللسان البشري "وهو لا يتحقق إلا بقدر تأمل اللغة و إعادة خلقها مع كل خطوة ، وهذا يفترض تكسير الهياكل الثابتة للغة ولقواعد النحو وقوانين الخطاب "[3]. وقد ربط هذا الاتجاه عنصر المفاجأة والدهشة الذي يحدثه

[1] ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ص130.

[2] _ ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص 125.

[3] _ بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ص 176.

أسلوب العدول بالجمال فرأى أندريه بريتون أن هناك علاقة وصل بين الجمال والغرابة " وأن العجيب جميل دائما ، وكل ماهو عجيب جميل، بل إنَّه لا جميل في الدنيا إلا العجيب"[1].إلاَّ أنَّنا نجد كوهن قد وقف معارضا لأفكار السريالية الداعية إلى المغالاة في الإبهام وفي هذا يقول:"ولنؤكِّد بالقطع: أنَّ الشّعر شأنه شأن النثر خطاب يوجّهه المؤلف إلى القارئ. لا يمكن الحديث عن الخطاب إذا لم يكن هناك تواصل. ولكي يكون الشّعر شعرا ينبغي أن يكون مفهوما من طرف ذلك الذي يوجّه إليه.إنّ الشعرنة عملية ذات وجهين متعايشين متزامنين: الانزياح ونفيه. تكسير البنية وإعادة التبنين."[2] الواضح من قول كوهن أنه لابد من الحفاظ على الصلة بين الباث والمتلقي وذلك بترك أثار المراسم المشتركة بين العبارات الشعرية المعدولة وبين المعيار الذي يشكل أصل الكلام.

أما حركة براغ فقد اتحدت آراؤها مع الشكلانين في تناولهم للغة الإبداعية، فهي عند الشكلانيين انحراف عن اللغة العادية وتحول عن استعمال اللغة استعمالا قائما على المحاكاة والأيقونة *&iconic* ورأى موكاروفيسكي أنَّ اللغة الشعرية تخرج عن المعيارية وقوانينها[3].وعرفه جاكبسون *JAKOBSONR OMAN* على "أنَّه عنف منظم مقترف بحق الكلام العادي فقسم الانزياح إلى: انزياح تركيبي ينتهك قانون العرف اللغوي وآخر استبدالي "يخرج عن قواعد الاختيار للرموز اللغوية عندما تخرج عن قواعد الاختيار للرموز اللغوية مثل وضع المفرد مكان الجمع، أو الصفة مكان الموصوف أو اللفظ الغريب مكان المألوف وهو ما سماه كوهن بعدم الملاءمة أو المنافرة. ليتضح أنَّ جاكبسون لم يذهب بعيدا عمَّا قاله الأسلوبيون في قضية العدول. والخروج عن المألوف.فأقر به وجعله في لب الدراسات الإبداعية في اللغة.

بعد هذا العرض الوجيز لعيِّنات من الأفكار التي تناولت ظاهرة العدول في الدراسات الغربية يمكن القول بأنَّها قد أخذت حظها الأوفر من الدراسة من طرف الدارسين الغربيين،الذين رأوا أنَّها عصب البحث الأسلوبي، لما تحمله من طاقات لغوية وشحنات تعبيرية مفضية إلى الحسن

---

[1] _ الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، عدنان حسين قاسم، مؤسسة علوم القرآن، الإمارات العربية،ط1 1992،ص204.

[2] _ المرجع السابق: 173.

* مصطلح انجليزي تصوير يشبه شيء مصور و يعكسه.

[3] _ ينظر: أسلوبية الانزياح، عبد الله خضر محمد، عالم الكتب الحديث، الأدرن، ط01، 2013، ص46.

والجمال،الذي يشكل ميزة فردية تعكس أبعاد شخصية صاحبها الذي يلجأ إلى العدول كخيار أسلوبي يخرج بواسطته عن الأعراف اللغوية،والتي تبقى دائما بمثابة المعيار الذي تقاس عليه شدة العدول الذي يتطلبه المقام.

المطلب الثاني: العدول في الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة.

استقطبت ظاهرة العدول عن الأصل أنظار اللغويين المحدثين منهم والمعاصرين وقد تباينت طرائق تناولها عندهم فمنهم من ذكرها في ثنايا أبحاثه، ومنهم من تعرض لها بالدراسة والتحليل مبرزاً أهميتها الدلالية وثقلها الأسلوبي.

ففي الدراسات العربية الحديثة نجد حسين بن أحمد المرصفي الذي تعرض في كتابه "الوسيلة الأدبية" إلى خصائص الأسلوب رابطاً إياه بصاحبه. وكان يرى بأنَّ جودة الأسلوب والقدرة على التصرف في بناه التركيبية تكون تابعة لجودة المحفوظ والمقروء شعرا ونثرا [1].

وعلى الرغم من أنَّ الأسلوب ملكة تترسخ شيئا فشيئا حتى تصير وكأنَّها طبيعة ثانية، فإنَّ المرصفي يجعل اختيار الأسلوب وتنميته عملية واعية تقوم على الإدراك والاختيار الذي يتناسب وطبيعة الغرض المراد من الكلام [2].

كما يعد مصطفى صادق الرافعي من أبْرَز كُتَّاب عصره الناظرين في أسرار التراكيب،وما يعتريها من أصناف العدول ففي كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" يبدو تأثره واضحا بشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" حيث حاول الرافعي أنْ يقدم مفهوما للأسلوب في ضوء المتغيرات التركيبية التي تبنى بالنظر إلى مستوى المتكلم وحال المتلقي "وهو يقِّر أنَّ الأسلوب لدى كل أديب متمكن ليس إلاَّ مزيجا طبيعيا للكلام، وما الكلام إلا صورة فكرية معبرة عن صاحبها وراسمة لمعالم سلوكه التعبيري[3].

[1] _ ينظر: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، المرصفي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة،ط01، 1292هـ، ج02، ص472.

[2] _ ينظر: الوسيلة الأدبية، المرصفي، ج02، ص502.

[3] _ ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص203.

ومن الأحكام التي قررها الرافعي تقسيمه اللغة إلى قسمين: لغة عامة وهي اللغة المألوفة العادية، ولغة خاصة وهي اللغة الإبداعية الفنية التي تسمو فيها طاقة العدول وتتضح فيها معالم الإبداع، وقد شغله كثيراً هذا التفريق الحاسم بين ماهو شائع في الأداء المألوف وبين ماهو فردي وذلك هو الباب الذي ولج من خلاله إلى قضية الإعجاز التي أملت عليه النَّظر في خصائص التراكيب وفوارق الأساليب.

ويأتي كتاب "الأسلوب" لأحمد الشايب كخطوة جادة اعتنت بتشريح الأسلوب، حيث ذكر أنَّ الأسلوب نوعان: أسلوب معنوي وآخر لفظي وهي فكرة مستوحاة من كلام عبد القاهر الجرجاني الذي أكَّد على أنَّ التركيب اللفظي يتواءم مع الترتيب النفسي للأفكار. وقد حد الأستاذ الشايب الأسلوب بقوله: "طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[1]. وهو بهذا التعريف يحاول حصر مفهوم الأسلوب في التركيب اللغوي الذي يقوم أساسا على عنصر الاختيار والتأليف مقرونين بالغرض المبتغى فهو "يقوم بعملية تباين أسلوبي على أساس وجود خواص معينة للقسمين الرئيسيين للأسلوب وهذه الخواص ترتبط بقدرةالكاتب على اختيار صيغ معينة، أو تعبير محدد أو نمط من الأنماط المتاحة الخاصة بالتصوير الفني، وهو ما يمكن أنْ نعتبره بالمفهوم الأسلوبي الحديث خرقا للنظام المألوف في اللغة أو انحرافا عن المستوى العادي ذا شحنة عاطفية مع الأسلوب الأدبي وبغيرها في الأسلوب العلمي"[2].

كما تعرض أمين الخولي في كتابه "فن القول" إلى الحديث عن الأسلوب انطلاقا من مقولة بوفون: "الأسلوب هو الرجل" تأكيداً منه على ربط الكلام بمبدعه وهو يجعل للغة وظيفتين أساسيتين هما: التعبير، والتأثير حيث يختص الجانب الأول بالناحية النفعية، أمَّا الجانب الثاني فيختص بالوظيفة الجمالية الفنية [3]وفي هذا المجال يتسامى الإبداع القائم على آلية العدول.

أما عباس محمود العقاد فقد جمع في نظرته للأسلوب بين الموروث العربي،وبين الوافد الغربي حيث اتخذ من التفسير السيكولوجي مرجعا أساسا في التحليل أثناء تعامله مع الخطاب

[1]_ الأسلوب(دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب، ص37.

[2]_ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص111.

[3]_ فن القول، أمين خولي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، 1996، ص 46.

الإبداعي."ويرصد العقاد طرفين أساسين يتصلان بالأسلوب كما يرتبطان بكل تعامل لغوي وفاعليتهما في عملية الإبداع لا يمكن إغفالها كما أن تفاعلهما أمر حيوي هما المبدع والمتلقي"[1]. كما جعل العقاد من أسلوب العدول رمزاً دالا على الشعرية التي يشحن بها الأسلوب وبخاصة العدول الدلالي الذي يقوم على توظيف الصورة الفنية التي تشحن بها الأساليب البيانية "ويصل إدراكه لحقيقة العدول ودوره التعبيري إلى أن جعل العربية لغة المجاز التي عن طريقها يتاح للمبدع التحاور بين المجردات والمحسوسات على أساس أنَّ المحسوس لا يشغل ذهن المتلقي إلاَّ ريثما ينتقل إلى مدلوله فالقمر بهاء، والزهرة نظارة، والغصن اعتدال ورشاقة، والطود وقار وسكينة"[2].

ومن المعاصرين الذين تعرضوا لهذه الظاهرة بالدراسة والتحليل عبد الحكيم راضي في كتابه نظرية اللغة في النقد العربي حيث عقد فصلا كاملا عن "المثالي والمنحرف" بين فيه بذور فكرة العدول في التراث اللغوي ووقف على ما اختص به النحاة وأقاموا عليه صرح نظريتهم النحوية وما أضافه البلاغيون من تعميق لهذه الفكرة لما جعلوا من الأصل الخلفية الافتراضية لما تقوم عليه الصياغة الفنية من عدول عن ذلك الأصل وما تحققه من مكتسبات ولطائف معنوية "فإذا كان النحو يهتم بما يفيد أصل المعنى فإنَّ البلاغي تبدأ منطقة حركته فيما يلي هذه الإفادة من عناصر جمالية"[3].

وتوسل البلاغيون إلى هذه الفكرة بالاعتماد على التقدير بالحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير...إلخ. وكل ذلك من خلال تجاوز ظاهر العبارة للوصول إلى باطنها الذي يعتمد على تشكيل مثالي افتراضي يستمد معالمه من افتراضات النحاة وتقديراتهم القائمة على التأويل. كما بينوا أنَّ من مهام علم الأسلوب توصيف الخصائص التركيبية في الأعمال الأدبية لأنَّه "يحدد المدى والكيفية اللذين تكشف فيهما لغة الشاعر عن ملامح منحرفة وأن يلاحظ كيف يستخدم الأديب الملامح أو السمات المتعارف عليها بصفة عامة لإحداث تأثير خاص."[4]

---

[1]_ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 156.

[2]_ المرجع السابق،ص161. و ينظر: اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط 1995، ص 47.46.

[3]_ نظرية اللغة في النقد العربي،عبد الحكيم راضي، ص 207.206.

[4]_ المرجع السابق،ص 481.

كما تعرض للكشف عن بذور فكرة العدول في الموروث النحوي والبلاغي مبيناً قيمتها التعبيرية ثم رصدها في الدراسات المعاصرة مبيِّنا بأنَّ الأسلوبية قد أفادت كثيرا من منجزات الدراسات اللسانية الحديثة وبخاصة ما قامت عليه النظرية التوليدية التحويلية من تمييز بين ظاهر القول وباطنه. "أو باصطلاح النحويين بين البنية السطحية والبنية العميقة وتمثل البنية العميقة الصورة المثالية الكاملة للجملة كما تحددها شرائط الصحة النحوية، ولا تظهر هذه البنية ولا يتلفظ بها وإنَّما هي تكوين تقديري يحمل معنى الجملة وصورتها المثالية من الناحية التركيبية والدلالية أما البنية الظاهرية السطحية فهي الصورة الفعلية المحسوسة للجملة وهي محولة عن البنية العميقة"[1].

ومن المعاصرين الذين خصوا فكرة العدول بالدراسة والتحليل عبد السلام المسدي من خلال كتابه الأسلوبية والأسلوب، وهو من أوائل الكتاب الذين وظَّفوا مصطلح الانزياح كما أورد جملة من المصطلحات العربية التي تدور في فلكه مع ذكر أصحابها.

ولعل وفرة المصطلحات الدالة على الظاهرة تنم عن تنوع ثقافات واضعيها الذين استقوها من مشارب مختلفة فمنهم من عبَّر عنه بالانزياح *l ecart* كما هو شائع كما تمت ترجمها بمصطلحات أخرى نذكر منها الانحراف التجاوز، الخروج، الكسر، الخرق، الانتهاك الشذوذ...إلخ. والمتأمل في هذه المصطلحات الأخيرة يجدها لا تفي الظاهرة حقها الدلالي الدقيق "والحق أنَّ هذه الكلمات فضلا عن افتقارها إلى اللياقة ليس لها في المترجمات العربية أو في كتابات الباحثين العرب حظ من السيرورة والذيوع الكبير."[2] ويظل مصطلح العدول الأليق للتعبير عن الظاهرة لما يحمله من دلالات دقيقة تأهله لحمل مباحثها الواسعة وما تحمله من شحنات لغوية تسمو بالكلام إلى ذروة الإبداع.

كما أنَّنا لا نغالي إذا اعتبرنا مصطلح العدول من أدق المصطلحات الدالة على الظاهرةباعتباره مصلحاً أصيلاً شائعاً من طرف اللغويين والبلاغيين المتقدمين، وهذا ما جعل عبد السلام المسدي يصطفيه على مصطلح الانزياح نفسه حيث إنَّه عندما"عندما استعمل مصطلح "الانزياح" ترجمة لمفهوم – *Lécart* – أوّل مرة كان يقصد إلى إبراز سمة الجدة من حيث هو متصور إجرائي طارئ على سنن التأليف في اللغة العربية، ثم جاء مصطلح العدول إحياء لمصطلح بلاغي تراثي لم يعد يجر

[1] _ المرجع السابق، ص 490.

[2] _الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، ص 34.

محاذير الالتباس."[1]فعدل عن مصطلح الانزياح الذي استعمله في البداية إلى مصطلح العدول الذي تكرر ذكره في كتابه النقد والحداثة ثم استقر عليه في قاموس اللسانيات كترجمة مصطلح *ecart*.

كما أنَّه من غير اللائق كذلك أنَّ نوصف هذه الظاهرة الأسلوبية التي يحفل بها أسلوب القرآن الكريم بالانتهاك أو الخرق أو الكسر التي يعتبر التعبير بها إجحاف في حق الأساليب القرآنية وعليه فإنَّنا نرى أنَّ مصطلح العدول هو الأنسب من بين المصطلحات الأخرى في التعبير عن الظاهرة اللغوية التي نحن بصدد دراستها

كما يشيع مصطلح العدول بكثرة في كتابات تمام حسان[2] وحمادي صمود[3] ومصطفى السعدني[4]والطيب البكوش[5] ومصطفى ناصف[6].

وقد حاز عبد السلام المسدي قصب السبق في توظيف مصطلح الانزياح في كتابه الأسلوبية والأسلوب كما تقدمت الإشارة حيث عرض جملة من المصطلحات ذات الصلةبالانزياح باللغة الفرنسية مع ذكر أصحابها نوردها في الجدول التالي[7]:

[1] _ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، ص46.

[2] _ ينظر: الأصول، تمام حسان، ص135وينظر: البيان في روائع القرآن،، عالم الكتب، القاهرة، ط:02، 2000م.ص: 76 وما بعدها.

[3] _ ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط01، 1981،ص49. 356.

[4] _ ينظر: العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، مصطفى السعدني، ص: 12 وما بعدها.

[5] _ ينظر:مفاتيح الألسنية ، جورج مونان، تعريب الطيب البكوش، منشورات سعيدان، تونس، ط01، 1994،ص136.

[6] _ ينظر: اللغة بين البلاغة والأسلوبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس بيروت، دط،دت، ص 43.

[7] _ الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط05، 2006م، ص79-80.

المصطلح	ترجمته	صاحبه
الانزياح	*L'écart*	فاليري
التجاوز	*L obus*	فاليري
الإنحراف	*La déviation*	سبترز
الاختلال	*La distorsion*	لويليك ووارين
الإطاحة	*La subversion*	باتيار
المخالفة	*L infraction*	تيري
الشناعة	*Le scandale*	بارت
الانتهاك	*Le viol*	كوهن
خرق السنن	*La violation des normes*	تودوروف
اللحن	*l'incorrection*	تدوروف
العصيان	*transgressionLa*	أراقون
التحريف	*L'altération*	جماعة مو

وتجاوزت المصطلحات الدالة على الظاهرة الأربعين مصطلحا منها: الانكسار، وانكسار النمط،والتكسير، والكسر، وكسر البناء، والإزاحة، والانزلاق، والاختراق والتناقض،والمفارقة،والتنافر...إلخ. [1]وهي كما يرى عبد السلام المسدي"بعيدة جدّا عن اللِّياقة التي يجمل بالأدوات النقدية أن تتسم بها، ثمّ أنَّنا لسنا في موضع اضطرار كي نقبلها، فثمة كثير ممّا يغني عنهاص"[2] ليبقى مصطلح العدول والانحراف والانزياح من المصطلحات الأكثر تداولا بين الدارسين العرب.

[1] _ ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد ويس،ص33.

[2] _ المرجع السابق، ص33.

إنَّ كثرة هذه المصطلحات وتنوّعها تدلّ على الحضور القويّ لهذه الظاهرة التي شغلت الدارسين واستوقفتهم طويلا.ويبقى مصطلح العدول هو أقوى المصطلحات الدالة لما له من حضور قوي في التراث اللغوي العربي، وهذا ما يلعب دورا حاسما في ربط حاضر الأمة بماضيها.

وقد خصَّص محمد عبد المطلب فصلا في كتابه البلاغة والأسلوبية تعرض فيه إلى نظرة الأسلوبيين لفكرة العدول التي كانت من أهم مباحث الأسلوبية[1]، ووقف في فصله هذا على نظرة كل من النحاة والبلاغيين إلى ظاهرة العدول، وما نجم عن ذلك من تأصيل وتفصيل لهذه الظاهرة حيث افترضوا لها أصلا يقاس إليه العدول عنه فقال: "فإذا كان النحاة يهتمون بمسألة الرتبة باعتبارها ممثلة لمثالية الأداء في التركيب المألوف فإنَّ البلاغيين لا يهتمون في مباحثهم بهذه الرتب إلا بالمقدار الذي يساعد على تحديد كمية العدول وكيفيته وهو عدول يتم من خلال عوامل نفسية تكتنف عملية التخاطب كتشويق السامع أو للتفاؤل أو التلذذ"[2]. حيث جعل عبد المطلب من مسألة الرتب التي يهتم بها النحويون معياراً تقاس به كمية وكيفية العدول عند البلاغيين.

تأسيسًا على ما سبق ذكره في هذا القسم يمكن القول بأنَّ ظاهرة العدول التركيبي قد حظيت باهتمام الدارسين قديما وحديثا نظرًا لما تمثله من أهمية بالغة في بناء التراكيب وفقه أسرار اللسان العربي. وتتزداد أهميةً إذا ما تعلق الأمر بالنص القرآني الذي ضرب أروع الأمثلة في هذا المجال، ومثل رافدًا أسلوبيا متميزا قد حوى كثيرا من المبتكرات في هذا الباب، وقد تناولت هذه الفكرة _ العدول_ أقلام كل من النحويين والبلاغيين والمفسرين الذين وقفوا على الحدود الفارقة.بين الأصل والفرع، وما ينجم عن ذلك من مقاصد ودلالات لا سبيل إلى تحقيقها إلاَّ من خلال العدول عن الأصل. كما نالت هذه الظاهرة عناية اللغويين المحدثين الذين خصُّوها بالبحث والتنقيب وقد مثلت هذه الأخيره عصب البحث الأسلوبي في الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة.

[1] _ ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 268.

[2] _ المرجع السابق، ص 272.

القسم التطبيقي: أصناف العدول التركيبي في القرآن الكريم ودلالاته البلاغية

المبحث الأول: التقديم والتأخير.

المبحث الثاني:الحذف.

المبحث الثالث:الالتفات.

المبحث الرابع:الإظهار والإضمار.

المبحث الخامس: التضمين.

القسم التطبيقي: أصناف العدول التركيبي في القرآن الكريم ودلالاته البلاغية

المبحث الأول: التقديم والتأخير

تلحق الجملة اسمية كانت أم فعلية مجموعة من العوارض التي تعدل بها عن أصلها المفترض الذي اتَّفق عليه النُّحاة بعد اسقرائهم لمدونة اللِّسان العربي. ومن بين هذه العوارض التي تعتري التَّراكيب آلية التقديم والتأخير التي تصيب الرتب غير المحفوظة في الجملة، لدواع مقامية ومقاصد بلاغية.

يحتل أسلوب التقديم والتأخير مكانة رفيعة في البلاغة العربية فهو من أهم مباحث علم المعاني لما له من أثر في تصريف المعاني، وهو كما وصفه عبد القاهر الجرجاني: "باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سببه أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "[1].

والتقديم والتأخير يعنى بتغيير مواقع الأركان الإسنادية المقررة في النظام اللغوي، لغرض معين تقتضيه الحاجة الإبلاغية "بما يتناسب مع حقائق حركة الحياة والكون فيقدم ما أريد التنبيه عليه والالتفات إليه"[2]، وهو تغيير في بنية التركيب يسعى من خلالها إلى إعطاء المتكلم قدرا من الحرية في الكلام في حدود ما يسمح به القانون النحوي[3]، فضبط التراكيب المعدولة عن أصلها "ينبغي أنترتّب الألفاظ فيها ترتيبا صحيحا، فنقدم منها ما كان يحسن تقديمه، ونؤخّر منها ما يحسن تأخيره، ولا نقدّم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا نؤخّر منها ما يكون التقديم به أليق"[4].

يهدف المبدع إلى الوصول إلى حرية صياغة جمله تماشيا ودوافعه النفسية ومجارات ظروف القول وملابساته، فهو لا يصبو إلى نقل الكلام فحسب وإنما إلى فتق أحاسيس السامع لإيصال المعنى

---

[1] _ ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 83.

[2] _ التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، دط، 2005،ص17.

[3] _ ينظر: بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر، الأردن،ط1، 1980،ص41.

[4] _ الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص114.

الذي يريده هو بكل تفاصيله[1] كمنبه فني يصور اهتمامات ومقاصد المتكلم. " فيحرك الكلمات عن أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى جديدة، فيقدم ما حقه التأخير كالخبر والمفعول، و يؤخر ما حقه التقديم كالمبتدأ والفعل لغرض فني وجمالي "[2]

واللّافت للانتباه أنَّ ظاهرة التقديم والتأخير فاشية في كلام العرب بسبب ما توفره من حرية في التعبير ودقة في التصوير وفي ذلك "دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم للكلام، وتلعّبهم فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، وفي معانيه، ثقة بصفاء أذهانهم، وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزا بليغا، وله في النفوس حسن موقع وعذوبة ومذاق"[3]. فيحقق مقاصد بلاغية تهتم في مجملها برصد أحاسيس المتكلم بطريقة عالية الدقة في الإبداع للوصول إلى أعلى مراتب الفصاحة في الكلام، حيث يعيد المتكلم ترتيب العناصر الإسنادية، وذلك بتغييرها عن أصلها المتماسك لتوليد معاني جديدة في تراكيب جديدة تختلف عن النمط المعياري المألوف، لتحقيق مراد المتكلم والمخاطب معا من العملية التواصلية الحاصلة.

وقد نال هذا المبحث الحظ الأوفر من الدراسة من طرف علماء النحو والبلاغة، وكما سبق الذكر لأهداف ترمي في مجملها إلى معرفة إعجاز كتاب الله بالدرجة الأولى، ومحاولتهم الاطلاع على أسرار فصاحة الكلام في شعر العرب وكلامهم. متجنبين التحدث عن الرتب المحفوظة لأنها محفوظة عندهم وجعلوا الرتب غير المحفوظة محط دراستهم واهتمامهم، وأشادوا بمزيتها في بث الطلاوة والحسن في الكلام. واهتم النحاة بتبيين فوائد ظاهرة التقديم والتأخير التي أصّل لها صاحب الكتاب حيث قال: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمّانهم ويعنيانهم."[4] مشيرا إلى العناية والاهتمام التي تعد أهم غرض من أغراض التقديم الذي تتفرع عنه أغراض بلاغية أخرى تتماشى ومقتضيات المقام.

---

[1] _ ينظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، مصر، دط،2000، ص29

[2] _ أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبد الله خضر حمد ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2013، ط 1، ص 69.

[3] _ الفوائد (المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان)، ابن القيم ، تح: السيد محمد بدر الدين النعساني مطبعة السعادة، مصر،ط1، 1327،ص120.

[4] _ الكتاب، سيبويه، ج1،ص24.

عقد ابن السراج بابا سماه التقديم والتأخير بيّن فيه الثابت والمتغيّر في الجملة العربية، وذكر الأشياء التي لا يجوز تقديمها وهي ثلاثة عشر، وما يجوز تقديمه وهو ما سوى المذكور مما لا يجوز تقديمه[1]. وأطلق عليه ابن جني اسم" شجاعة العربية". في طابع نحوي محض في باب " نقض المراتب إذا عرض هناك عارض " حيث قال : " فمتى رأيت الشاعر ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها وإغراق الأصول بها، فاعلم ذلك على جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه (تكبره) وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا مقصورة على اختيارها لوجه الناطق بفصاحته."[2] فاعتبرها من الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر.

كان اهتمام البلاغيين بالرتب غير المحفوظة أشد، مراعين في ذلك كلا من فكرة الأصل والفرع،مركزين كل التركيز على الرتب غير المحفوظة وجعلوها مبحثا من مباحث علم المعاني وذلك "بفعل ثقلها الدلالي وما تفرزه من معانٍ عند خروجها عن الأصل المفترض، والعدول عنه في شكل متغيرات أسلوبية تحدث على مستوى الجمل والتراكيب لدواعٍ بلاغية وموجبات فنية جمالية."[3]

فعلم المعاني أثناء تعامله مع الظاهرة لم يخرج عما ينص عليه علم النحو باعتباره مكملا له عندما تصبح القواعد المعيارية عاجزة عن تأدية المعاني المفعمة بالأحاسيس الدقيقة، فالبلاغيون "جعلوا فكرة النحاة القائلة: إنّ الشيء إذا قُدِّم على غيره يكون في النية مؤخرا حفاظا على الرتبة، أحد معايير عملهم في النظر إلى فكرة التقديم والتأخير، ذلك أنَّ هذه النِّية عند النحاة تعني سعيا للحفاظ على الأصول المقررة. وأمّا البلاغي فإنه يحكم على الظاهرة وفق معيار آخر، وهو النظر إلى التركيب جماليا،فرأوا أنَّ التقديم أحيانا لايكون على نية التأخير، مما يعني توجّها مسبقا نحو الخروج عن الأصل لما في ذلك من قيّم جمالية"[4].

وقد شغل مبحث التقديم والتأخير الشيخ عبد القاهر الجرجاني، فنوه بدراسته في كتاب دلائل الإعجاز واستحسنه في القول لبداعته ولطافته وخصص له بابا حيث قال عنه:"هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفْضِ بك إلى لطيفة ولا تزال ترى

[1] _ الأصول في النحو، ابن السراج، تح: الحسين الفتيلي مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط01، 1426هـ،ج02 ص222.

[2] _ الخصائص،ابن جني، ج01، ص294.

[3] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، ص 105

[4] _ حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، أحمد سمير معلوف، ، ص309.

شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سببه أنْ راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[1]. كما ألح هذا الأخير على ضرورة الوقوف على دقائق الفروق بين أصناف التقديم والتأخير ولطائفه، وعدم الاكتفاء بالعناية والاهتمام حيث قال: "واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول فيقول كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم " ولم يذكر في ذلك مثالا "[2]. فهو يدعو إلى رصد الفروق الدلالية والمقاصد البلاغية للتحولات التي تعتري الجمل فتخرجها عن أصلها. وقسمه إلى قسمين اثنين:

أولا:تقديم على نية التأخير: "وذلك في كلّ شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه،كخبر المبتدإ إذا قدمته على المبتدإ،والمفعول إذا قدّمته على الفاعل،كقولك:منطلق زيد، وضرب عمرا زيد، معلوم أنَّ "منطلق" و"عمرا" لم يخرجا بالتقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبر مبتدإ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت"[3]. فيحافظ الركن المقدم في هذا القسم على حالته الإعرابية التي كان عليها قبل أن يَعْدِل في رتبته.

ثانيا:تقديم لا على نية التأخير: وهو " أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابه،وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدّم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا. ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة زيد المنطلق. وأخرى: المنطلق زيد"[4]. ففي مثل هذه الحالة يفقد المقدم حالته الإعرابية ويعرب حسب موقعه في الجملة وفي الجملة الفعلية كذلك يصبح المفعول به مبتدأ نحو قولنا: "ضربت زيدا،وزيد ضربته، لم تقدّم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له"[5].

---

[1] _ دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني، ص 83.

[2] _ المصدر السابق، ص107.

[3] _ المصدر السابق، ص83.

[4] _ المصدر السابق، ص 83،84.

[5] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 84.

هكذا يتضح أن التقديم والتأخير مرتبط بماهو ثابت وما هو متغير. فيحافظ الأول على حالته النحوية ويتغير الثاني فيصاحب إعرابه رتبته في التركيب ويظلّ "معيار الحفاظ على الأصل في السياق أو الخروج عنه هو الدلالة على معنى ما من المعاني، وليس ذلك لمعيار آخر هو الحفاظ على الرتبة كما عند النحاة، وإنما هو أمر مقصود من المتكلم لتقرير حكم ما"[1].

فعبد القاهر الجرجاني عالج القضية معالجة جمالية يحددها المقام بالدرجة الأولى إضافة إلى العناية والاهتمام، ويتضح ذلك جليا في استعماله للشواهد الشعرية التي عرضها ليبين المقاصد البلاغية المختبئة وراء ستار الظاهرة ومن هذه الشواهد قول الشاعر:

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ[2] *

لطافة البيت وجماله يتخطى خطوط الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني إلى روعة التقديم والتأخير الذي فاق في رونقه وتألقه جمال الاستعارة، فيقول: "فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تمّ لها الحسن، وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير،وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها"[3].ويسهب في شرحه ويقول:"وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف، فأزل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره، ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تعدم أريحيتك التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها"[4]. فبعد إعادة ترتيب أركان البيت الإسنادية ترتيبا يتوافق مع الأصل الوضعي للجملة، تصبح المعاني عادية خالية من أي مثير عاطفي، فجملة الآليات المستخدمة في البيت والتي من بينها آلية التقديم جعلت معناه ينتج الأريحية لمتعاطيه.

وانطلاقا مما سبق فإن أسلوب التقديم والتأخير ركيزة من أهم الركائز التي تتكئ عليها اللغة، لما يتيحه لها من إمكانيات لرصد كل مطالب المعاني، فيجد المتكلم نفسه غير مقيد في التعبير عن أدق

[1] _ حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ،سمير أحمد مغلوف، ص310.

[2] _ كتاب الوحشيات،أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تح:عبد العزيز الميمني ، دار المعارف، القاهرة. ط03،دت، ص269.

*البيت لسبيع بن الخطيم.

[3] _عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص78.

[4] _ المصدر السابق، ص78.

التصورات التي تتمخض عنها المعاني البلاغية "فإذا قدمت كلمة فهناك أخرى قد أخرت وإذا رفع هذا الثنائي فهناك نظام محفوظ، وترتيب معهود،ووراء الوجود وعدمه أغراض مقصودة، وأسرار مكنونة."[1] إن مستخدم هذه الآلية يهدف إلى تركيب مبتكر يخدم المعنى الذي يقضي التصرف في ترتيب التركيب،"فيرسم صورة لفكرة مجرّدة تمثّل كلّ كلمة في نظام الجملة أو نسيج التركيب عضوا في جسد المعنى"[2] وبناء على ذلك يؤدي هو الآخر وظيفته الجديدة مفعمة بمعاني إضافية في نظم جديد أرادها المتكلم من خلاله.

وسنحاول فيما سيأتي رصد أهم حالات التقديم والتأخير الذي يتخذ لنفسه أوضاعا عدة في التركيب حسب ما يقتضيه الحال.

المطلب الأول:التقديم والتأخير في الجملة الاسمية : الأصل في التركيب الاسمي أن يتقدم فيه المسند إليه عن المسند وجوز النحاة التقديم في أركانها فيعدل عن رتبته لعلة بلاغية بشرط توفر أمن اللبس قال ابن مالك في ألفيته :

وَالأَصْلُ فِي الأَخْبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَا وَجَوّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لا ضَرَرَا[3]

1 ـ تقديم الخبر المفرد : يقدم الخبر المفرد على اسمه في التركيب لتأدية العديد من الأغراض البلاغية:

أ ـ العناية والاهتمام: .قال الله تعالى:﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ سورة مريم الاية 46 تقدم الخبر" راغب" على اسمه "أنت" في الآية الكريمة لإظهار التعجب " لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإنكار، لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنه أحد"[4] فقرر إبراهيم على رغبته عن الآلهة التي كان ينحتها

[1] _بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، علي أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:01، 2006م. ج02،ص75.

[2] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني،ص125.

[3] – الألفية في النحو والصرف،بمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، المكتبة الشعبية،بيروت،ط01،دت، ص18.

[4] _ الزمخشري، الكشاف، ج03، ص21.

والده ويحض عليها فأنكرها إنكارا شديدا فقدم الخبر للتركيز على فعل الرغبة الصادر عن إبراهيم ــ عليه السلام ــ[1]. ومن مواضع تقديم الخبر في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ سورة يس الآية: 33. تخريج الآية حسب مقتضى الظاهر: " والأرض الميتة آية لهم" واقتضى الحال أن يتقدم المسند " آية" على المسند إليه " الأرض" للاهتمام بذكر المقدم الذي دل على علامة الحشر وبعث الأجساد [2] وقال أبو السعود في ذلك: "وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم إما متعلقة بها لأنها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والأرض مبتدأ والميتتة صفتها."[3]

ب ـ إزالة اللبس:

قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة الآية 06 فالمسند" سواء " مقدم على المسند إليه "أأنذرتهم" مكون من همزة تسوية بالإضافة إلى فعل وفاعل ومفعول به وأصل الكلام " أنذرتهم أم لم تنذرهم سواء عليهم " [4] " وتردد النحاة في إعرابه وأظهر ما قالوه وأسلمه أن " سواء" خبر مقدم وأن الفعل الواقع بعده مقترنا بالهمزة في تأويل مبتدأ لأنه صار بمنزلة المصدر إذ تجرد عن النسبة وعن الزمان "[5] وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر في الآية إنما للإشارة إلى "أنَّ الناس لتعجبهم في دوام الكفار على كفرهم مع ما جاءهم من الآيات بحيث يسأل السائلون أأنذرهم النبي أم لم ينذرهم متيقنين أنه لو أنذرهم لما ترددوا في اللإيمان فقيل إنهم سواء عليهم"[6] فتسبيق "سواء" هنا ورد كإجابة مباشرة عن تسائل الناس عن حالتين اثنتين. فمعنى التسوية لا يتأتى إلا بهذا التقديم" لأنّ معناه سواء عليهم الإنذار وعدمه، فلو قدم "أأنذرتهم"

[1] ــينظر: المحرر الوجيز،أبي أحمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2001،01 ج04، ص18.

[2] ــ ينظر: المصدر السابق، ج04، ص 453.

[3] ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، تح: عبد القادر أحمد عطا،مكتبة الرياض الحديث، الرياض، دط،دت،ج04، ص 502.

[4] ــ ملحة الإعراب، أبو القاسم بن علي الحريري البصري، دار عمار، عمان،دط،دت، ص16.

[5] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 249.

[6] ــ المصدر السابق، ج01، ص 150.

لتوهّم السامع أنَّ المتكلّم يستفهم حقيقة، وذلك مأمون بتقديم الخبر، فكان ملتزما "[1]. فأمن المعنى بتقديم المسند في نظم الآية.

ج ــ القصر والتخصيص:

قال الله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ سورة الأنبياء الآية:97. تخريج الآية الكريمة حسب مقتضى الظاهر يكون على النحو التالي: الذين كفروا شاخصة أبصارهم. وفي تقديم الخبر "شاخصة" على المبتدأ أبصارهم عن الأصل، تخصيص للكفار بصفة الشخوص نتيجة تفاجئهم واندهاشهم والضمير "هي" الذي" توضحه الأبصار وتفسره "[2] جاءت لتأكد الخبر وتخصصه للكفار دون غيرهم "وإذا هي للمفاجأة بضم الكلام وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى:" إذا هم يقطنون " سورة الروم 36 فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد"[3].

ويرى ابن عطية الأندلسي أن الشخوص يعتري من شدة الخوف و الهلع المفرط وقال في الضمير هي السابقة للخبر المقدم :"هذا مذهب سيبويه أنها ضمير القصة كأنه قال فإذا القصة أو الحادثة "شاخصة أبصار" وجوز الفراء أن تكون ضمير الأبصار تقدمت للدلالة على كلام يجيء ما يفسرها.

ويقول الشعراوي في ذلك: "كأن الحق سبحانه وتعالى يحكي عنهم هذه المواجهة حين تفاجئهم القيامة بأحوالها فتشخص لها الأبصار ويقول بعضهم "يا ويلنا كنا في غفلة من هذا " فيرد عليهم إخوانهم أي غفلة هذه وقد كان الله يذكرنا بالقيامة وبهذا الموقف في كل وقت "بل كنا ظالمين""[4]فورود ظالمين""[4]فورود الضمير "هي" قبل الخبر وتقدم الخبر في التركيب بتغيير التركيب النمطي له ينم عن مدى فظاعة المشهد لدرجة الشخوص* الذي خصه وقرره لهم تحديدا للكفار دون غيرهم.

---

[1] ــ شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:01، 1422هـ - 2001م،ج01، ص288.

[2] ــ الكشاف، الزمخشري، ج03،ص120.

[3] ــ المصدر السابق،ج03، ص 120.

[4] ــ تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، دط، دت، ص 9656.

وقال الزركشي في تقديم المسند: "ولم يقل: "فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة" وكان يستغني عن الضمير، لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص"[1]. تقديم الخبر دلالة على تخصيص أبصارهم بالشخوص و تصورا لفظاعة الموقف، قال محمد أبو موسى: "فإنما قدّم المسند شاخصة ولم يقل فإذا هي أبصار الذين كفروا شاخصة لأنه إذا قدّم الخبر أفاد أنّ الأبصار مختصّة بالشخوص من بين سائر صفاتها من كونها حائرة، أو مطموسة، أو مزوّرة إلى غير ذلك من صفات العذاب أي ليس إلاّ شاخصة، ولو قال: واقترب الوعد الحق فشخصت أبصارهم لما أفاد شيئا من هذه الصورة"[2].

د ـ تقوية الحكم وتقريره :

من مواطن تقديم الخبر في القرآن الكريم لغرض تقرير الحكم قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ سورة الحشر، الآية 02.

تقدم الخبر "مانعتهم " في الآية على المبتدأ "حصونهم" للدلالة على إفراطهم في ظنهم أنَّ حُصُونهم منيعة و ستقف أمام قوة الله عز وجل والعدول في الآية ورد لبيان مدى أهمية المقدم في تحقيق المبتغى

*الشخوص بالعين إحداد النظر دون أن يرمش الطرف وشخوص البصر يأتي حين ترى شيئا لا تتوقعه ولم تحسب حسابه فتنظر مندهشا ، فيفاجأ الشخص بشيء لم يكن في باله فيجد نفسه بغريزته التكوينية شاخص البصر لا ينزل جفنه من المفاجئة ينظر:تفسير بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ص 100. وتفسير الشعراوي، ص9656.

[1]_ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج03، تح: أبو الفضل إبراهيم،دار التراث، القاهرة، دط، دت، ج03، ص 320.

[2]_ خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، ص3.

و البنية العميقة للتركيب الذي بين أيدينا تكون على الترتيب الآتي:

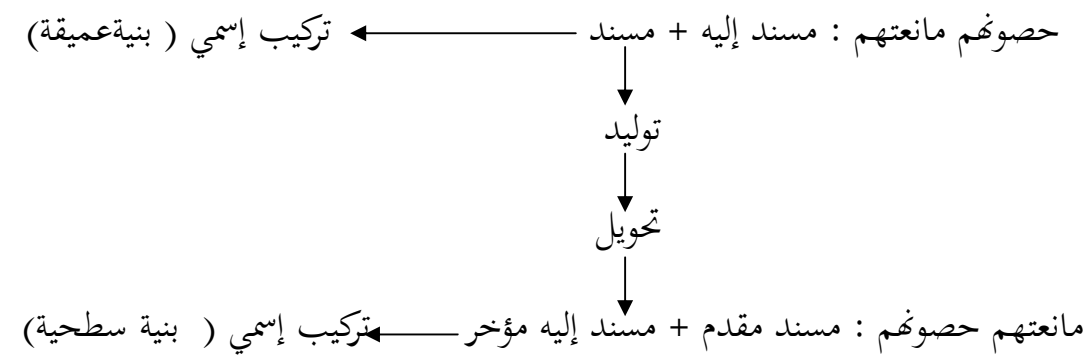

والبنية السطحية الماثلة بهذا الترتيب اقتضاها المقام للوصول إلى غرض بلاغي متمخض عن تغيير جذري في الترتيب النحوي للتركيب الاسمي للجملة ليصور حالهم وتوهمهم تصويرًا دقيقا يضمن إيصال المعنى المطلوب ولا ينبغي له ذلك دون تقديم ما هو أكثر أهمية في الكلام.

وذهب صاحب الإكسير إلى أنَّ العدول في الآية حصل للإخبار عن أمرين:

1 إبراز مدى دقة قدرة الله في خلقه فلا عاصم من أمره إلا من رحم بعد إن ظن الكفار أن حصونهم حصينة فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يعتصموا.

2 لم يحتاطوا ويتحصنوا بطاعة الله ورسوله وإلى أمنع الحصون على الإطلاق، ومرد ذلك لقلة عقولهم ولو قدم المبتدأ لما أفاد الكلام هذا المعنى الدقيق العميق.[1]

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أنَّ "مانعتهم" خبر مقدم لمبتدأ لا فاعلا للوصف ولاسم الفاعل "مانعتهم" فقال:" وفي تقديم مانعتهم وهو وصف على"حصونهم" وهو اسم والاسم بحسب الظاهر أولى بأن يجعل في مرتبة المبتدأ ويجعل الوصف خبرا عنه فعدل عن ذلك إشارة إلى أهمية منعة الحصون عند ظنهم، فهي بمحل مانعتهم في استحضار ظنهم. لا عبرة في جواز جعل حصونهم فاعلا باسم الفاعل وهو مانعتهم بناء على أنه معتمد على مسند إليه لأنَّ محامل الكلام البليغ تجري على وجوه

[1] _ ينظر: الإكسير في علم التفسير تح: عبد القادر حسين، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي،تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة،دط، دت، ص192.

التصرف في دقائق المعاني فيصير الجائز مرجوحا "[1] ونستشف من هذا النص المطول للطاهر بن عاشور أن إدراك الأسرار العميقة للمعاني لا توصف على ما أتى به علم النحو فحسب بل للبلاغة نظرة قد تكون أعمق في كنه أسرار التركيب، "بل وتتجاوز أصل المعنى الذي يكون قريب التناول إلى معنى لا يدركه إلا الخاصة "[2] فيتراءى ذلك للقارئ أو السامع بعد طول نظر وتأن في التأمل والتدبر.

ويرى الزمخشري أنَّ وُرود الآية بهذا النظم دليل على توهمهم و"فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم"[3].

هـ ـ إظهار التعجب:

قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ سورة الرعد،الآية: 05.

قدم الخبر "فعجب" على " قولهم" بغرض دفع المتلقي إلى الانتباه والتركيز لسماع المعجب منه و المتمثل في إنكار نبوة محمد ـصلى الله عليه وسلم ـ " فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه ... فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب "[4]. وهو"عجب لا أعجب منه حقيق بأن يقصر عليه التعجب"[5].

فتقدم الخبر صوغ الكلام بصيغة التعجب من إنكار الكفار للبعث لأنَّ ما تقدم من أدِّلة قبل الآية على وحدانية الله وعظيم قدرته لم تبق عذرًا لهم فصار الأمر محط عجب[6]، ويرى ابن عطية

---

[1] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 28، ص 70.

[2] ـ خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير " التحرير والتنوير إبراهيم علي الجعيد، ، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999، 1419هـ ، ص158.

[3] ـ الكشاف، الزمخشري، ج03، ص 426.

[4] ـ المصدر السابق، ج 03، ص 333.

[5] ـ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص 200.

[6] ـ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج05، ص196.

الأندلسي أن الغرض من تقديم الخبر توبيخ الكفار على صنيعهم وجهلهم فقال: "هذه الآية توبيخ للكفرة أي "وإن تعجب" يا محمد من جهالتهم وإعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك وعجب وغريب ومزر بهم "قولهم" أنعود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا، ويحتمل اللفظ منزعا آخر وإن كنت تريد عجبا فلهم، فإن من أعجب العجب قولهم."[1] فالله سبحانه وتعالى يوبخ الكفار بطريقة تعجبية اقتضت تقديم الخبر لإبراز التعجب للسامع فيتعجب هو الآخر.

وقال تعالى في آية أخرى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية: 25. قدم الخبر "كيف" الذي هو في محل رفع خبر مقدم لمبتدأ محذوف تقديره "حالهم" [2]. الذي استلزمه مقام وتقديم المسند في الآية إنما ورد لتحقيق غرضين اثنين:

أولهما: إحداث عنصر المفاجأة بطريقة استفهامية، ويظهر ذلك بالعودة إلى الآية السابقة حيث قال اليهود إنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودات وذلك لاغترارهم بظنهم أنهم " أبناء الله " وكان قول بني إسرائيل: إنهم لن تمسهم النار إلاَّ أربعين يوما عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل"[3] فاستأنف الله سبحانه وتعالى الكلام بالاستفهام عن حالهم نتيجة اغترارهم يوم الحشر فورد الكلام بطريقة المفاجأة لمباغتة الكفار بحال غير الذي وقع عليه ظنهم.

ثانيهما: الغرض البلاغي الثاني من هذا التقديم التعجب من اغترار هؤلاء ومن تفكيرهم اللاعقلاني بظنهم أن الله لن يعاقبهم، هذا ويحمل التعجب في طياته الاستعظام من هول يوم القيامة وبموجب ذلك طرح السؤال وأراد "كيف يصنعون، كيف تكون حالهم؟ وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه وأن ما حدثوا به أنفسهم عليها ، تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون "[4]. أي كيف يكون حالهم حين يجزيهم الله بما كسبوا .

---

[1] _ بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج03، ص 295.

[2] _ ينظر: إعراب القرآن الكريم، محمد محمود القاضي، دار الصحوة، القاهرة، ط01، 2010، ص 103.

[3] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج01، ص 416.

[4] _ الكشاف، الزمخشري، ج1، ص321.

هـ ـ التوبيخ والزجر: ورد أسلوب تقديم الخبر لإفادة التوبيخ في القرآن الكريم ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿۞وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ سورة يونس الآية: 53. قدم المسند " أحق" على المسند إليه "هو" على طريقة الاستفهام الإنكاري للاستهزاء بعد اسنبائهم واستخبارهم أي: "أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به"[1] فقدم الخبر وجيء بالاستفهام وأريد الإنكار والاستهزاء فورد جواب سؤالهم على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم ... لأنهم استعملوا السؤال تبالها ...باعتبار ما أضمروه من التكذيب، أي هو واقع وأنتم مصابون به غير مفلتين منه"[2]. ففي الاستفهام الذي يتطلب تقديم الخبر* إذا إبرازا لاستهزائهم وتنكرهم وعد الله ونبوة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

02ـ تقديم الخبر شبه الجملة : يتقدم الخبر شبه جملة ظرفية أو جار ومجرور على المبتدأ في القرآن الكريم لتأدية العديد من المقاصد البلاغية منها الحصر والتخصيص ، التعجب و التوكيد والالتزام وما إلى ذلك :

أـ الحصر والتخصيص :

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾سورة البقرة، الآية: 07 قدم الخبر شبه الجملة "على أبصارهم" على المبتدأ "غشاوة "،والأسماع في الآية ليست خبرا لغشاوة"، فيكون على أبصارهم معطوفا عليه لأن الغشاوة تناسب الأبصار "والغشاوة فعالة من غشاه وتغشاه إذا حجبه ومما يصاغ له وزن فعالة بكسر الفاء بمعنى الاشتمال على الشيء مثل العمامة والعلاوة واللفافة"[3]. أما الختم فيناسب القلوب و الأسماع إذ كلاهما يشبَّه بالوعاء ويتخيل به الغلق والسد والختم. والغشاوة جارية على المجاز في هذا الموضع

---

[1] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، دلر إحياء التراث العربي، بيروت،دط،دت، ج03، ص 116.

[2] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 11، ص 196.

*وقرأها الأعمش " الحق هو" بلام التعريف وفيه تعريض بأنه باطل كأنه قيل أخو الحق لا الباطل ، أهو الذي سميتموه الحق. ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج03، ص 125.و أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ج03، ص 116. والكشاف،الزمخشري، ج02، ص 226.

[3] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01،ص 255.

حيث جعل الله عز وجل القلوب والعقول في عدم نفوذ الإيمان فمثل الله عز وجل بتلك الهيئة لتصوير تصميمهم وتمسكهم بالكفر [1]

ولا يتأخر الخبر في التركيب إذا كان المبتدأ نكرة لأن التأخير في هذه الحالة يُوهم على أنَّ الخبر نعت لأنَّ النكرة تحتاج إلى النعت ليخصها أكثر من حاجتها إلى الخبر ولأنَّ الابتداء في الجملة للأقوى والمبتدأ قوته في معرفته[2]. فقدم الخبر أبصارهم لتركيز الكلام على بصر وبصيرة هؤلاء باعتبارهما ركيزة الإيمان .

وكذلك في الآية: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية: 19 قُدِّم الخبر الذي ورد شبه جملة "فيه" في الآية الكريمة المتعلقة بالخبر المحذوف على المبتدأ النكرة "ظلمات" لتخصيص الخبر لأنَّه "عائد إلى صيب والظرفية مجازية بمعنى معه."[3] فالصيب النازل من السماء بشدة النافع غيثه والمضِر سحابه الذي فيه ظلمات وبرق ورعد. والكلام في الآية مستعار للقرآن "لما يعتري الكافرين من الوحشة عند سماعه كما تعتري السائر في الليل وحشة الغيم لأنه يحجب عنه ضوء النجوم والقمر"[4].وهذا من بديع النظم القرآني

وفي آية أخرى: ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ سورة الصافات، الآية: 47.قدم الخبر شبه الجملة " فيها" على المبتدأ " غول" في الآية لتخصيص خمر الجنة عن خمر الدنيا وتميزها عنها،فالخمرة فيها لا تذهب عقول شاربيها ولا يلحقهم صداع ولا ألم وهذه الصفة خاصة بخمر الجنة دون سواه أي: " غائلة كما في خمور الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول ... ولا هم يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله"[5].لذتها تفوق لذة الخمر المعروف وهي

[1] _ ينظر: المصدر السابق، ج01،ص 255.

[2] _ ينظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: ممد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1955، ص 288.

[3] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 318.

[4] _ المصدر السابق، ج01، ص317.

[5] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 535.

خالية من الأعراض الجانبية المعروفة عن خمرة الدنيا ولاغول فيها لا ضر فيها ولا فساد ولا مغص ولا صداع بيضاء تقدم لهم في كؤوس لذة لشاربيها [1].

ومن هذا النسق قول الله عز وجل: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 112 قُدم الخبر "فله" في الآية لتخصيص الأجر لصاحبه فلو حافظ المبتدأ على صدارته لعاد "الأجر" لضمير أي على الله لا على المأجور فالتقديم واجب لأن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف الخبر [2]. وفي تقديم معمول الخبر دلالة على استحقاق الأجر فالكلام جواب لشرط " من أسلم وجهه".

ومن ذلك قوله تعالى في أية أخرى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الأنعام،الآية: 59.* تقدم الخبر شبه الجملة الظرفية " عنده" في الآية لإفادة الاختصاص أي عند الله دون غيره فهذه العندية خاصة بالله عز وجل ولا تتعداه إلى غيره[3] حيث جعل للغيب مفاتح وهو المتوصل إليها وحده كمن عنده مفاتح المخازن فهو الوحيد المتوصل إلى ما فيها، ويرى أبو السعود في هذا التقديم أنه "بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم إثر بيان اختصاص كلها به من حيث القدرة"[4] أي عنده هو وحده العلم والقدرة على خزائن الغيب.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورةالبقرة الآية:115.تقدم الخبر في الآية "لله" لتخصيص ملكية الأرض لله دون غيره

[1] _ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج 04، ص 40.

[2] _ ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج1، ص 240.

[3] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص355.

* المفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهي مخازن الأمور الغيبية .ولو كان جمع مفتاح لقال مفاتيح . ينظر: تفسير بن عطية الأندلسي، ج02، ص .299

[4] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 222.

" وتقديم الظرف للاختصاص أي : أنَّ الأرض لله فقط لا لهم ، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين"[1].

وقال الله تعالى في موضع آخر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ سورة الفتح،الآية: 04. قدم الخبر "لله" في الآية الكريمة لغرض تخصيص جنود السموات والأرض له لا لغيره، فقدم المسند ليكون أول ما يقع في سمع القارئ أو السامع ليحصر الكلام الذي بعده على الله وحده عز وجل "فيسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب"[2]ففي هذا التركيب إيحاء إلى مدى قوة قدرة الله تعالى وأنه قادرد على ما لا يخطر في بال بشر.

ب ــ الاهتمام والتبيين:

قال الله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ سورة الزمر،الآية: 36. تقدم المسند "له" على المسند إليه لتخصيصه بالكلام والتركيز عليه لأنه "غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر"[3] من الأوثان التي اتخذوها آلهة لهم فلا هادي لهم إلى الرشاد بعد ضلالهم. ونلتمس نفس العدول في الآية التي بعدها : قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ الزمر 36 ففي هذه الآية كذلك قدم معمول الخبر "له" لتركيز الكلام واهتمامه بالذين نالوا هدى الله ففي تقديمهم إيحاء بتخصيصهم بالهداية وعصمهم من الضلال.

وقال الله تعالى في آية أخرى:و﴿لَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 52. تقدم المسند "عليهم" في الآية للاهتمام والتخصيص، ويرى

[1] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، ص 283.

[2] ــ الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 290.

[3] ــ أسرار التنزيل، البيضاوي، ج05، ص43.

الطاهر بن عاشور أنَّ الغرض من هذا يحتمل الاختصاص والاهتمام باعتباره من أبلغ الكلام[1] كأنه قيل: "لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويحرك احرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين"[2]. ركزت الآية هنا على المسندين عليك وعليهم لأنهما مدار الكلام لطعهم في الدين وعدم إخلاصهم ونفاقهم فما يلزم معهم إلا اعتبار الظاهر وإن كان باطنهم غير ذلك وقال: " إن حسابهم إلا على ربي" فهو وحده من يتولاهم.[3]

وفي نفس الغرض قال الله جل جلاله: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ سورة ق الآية: 11. قارب الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة بين أمر البعث الذي عبر عنه بالخروج وبين إخراج النبات من الأرض بالإحياء وذلك بالمماثلة بينهم لتقريب الفهم بالقياس إلى أفهام الناس[4]. حيث قَدَّم المسند على المسند إليه أثناء حديثه عن الخروج للاهتمام بالخبر، لما في ذلك من إزالة الاستحالة وإظهار التقريب والتشويق إلى تلقي المسند إليه حيث قال أبو السعود في هذا التركيب: "وجملة قدم فيها الخبر للقصد إلى القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الأحياء وما فيه من معنى بعد الإشعار ببعد رتبتها أي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها"[5].

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ سورة الذاريات الآية: 19. قدم الخبر شبه الجملة "في أموالهم" على المبتدأ "حق"، اهتماما بالمقدم وتشويقا لسماع المؤخر المتمثل في النصيب الوافر من أموالهم الذي يستوجبونه على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى للسائل وللمحروم المستجدي المتعفف الذي ظاهره الغنى وباطنه الفقر والحرمان [6].

[1] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج02، ص250

[2] _ الكشاف، الزمخشري،ج01، ص 629.

[3] _ ينظر: المصدر السابق، ج01، ص 629.

[4] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود،ج05، ص 186.

[5] _ المصدر السابق، ص 186.

[6] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود،ج05،ص 199.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ سورةص،الآية:09. قدم الخبر شبه الجملة "عندهم" في الآية الكريمة لتأدية غرض الاهتمام بالخبر في التركيب أي: أنَّ "فضل الله وخزائنه ليست عندكم لتئدوا وتحرموا من تشاؤون من مواهب الخير فإنَّ المواهب من الله يصيب بها من يشاء فهو يختار لنبوءة من يصطفيه "[1].

و في تقديم الخبر وورود الكلام بطريقة استفهامية غرض بلاغي آخر على ما يبدو متمثل في الاستهزاء وتقليل من شأن المتكبرين، يقول الزمخشري في تفسيره للآية: "أي ماهم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا ويتخيروا للنبوة ويترفعوا بها عن محمد- صلى الله عليه وسلم- وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه، الوهاب الكثير المواهب ... الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله."[2]

و قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ سورة الأعراف،الآية46. عدل الله سبحانه تعالى في الآية الكريمة إلى تقديم الخبر شبه الجملة "وبينهما" والغاية من التقديم في هذا الموضع إنما لتركيز والاهتمام بما بين " الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى " فضرب بينهم بسور. "[3] كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة،الاية:62. قدم الخبر شبه الجملة في الآية "فلهم" مع الضمير العائد على صاحب الخبر بصيغة الجمع، وأجر مبتدأ ثان مرفوع فلا يجور تأخير الخبر في هذه الحالة البتة لأن الضمير هم المتصل بالمبتدأ عائد على لهم وقوله "فلهم أجرهم" جواب شرط "من آمن"[4] وفي تقديم الخبر اهتمام بإبراز جزاء "من آمن وعمل صالحا فلهم أجرهم" الذي

[1] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج26،ص 225.

[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 71.

[3] _ الكشاف،الزمخشري، ج 02،ص 21.

[4] _ ينظر: مشكل إعراب القرآن، أبو طالب القيسي، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة، القاهرة، ط01، 2009، ص 45.

يستحقونه جزاء إيمانهم وعملهم الصالح والأجر أريد به الثواب في الآية الكريمة عند ربهم أي: نعيم الآخرة فأطلق عليه الأجر مجازا لأنه في مقابلة العمل الصالح. [1]

ج- التوكيد والإلزام:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورةالبقرة،الاية: 114. قُدم "لهم" المتعلق بالخبر المحذوف على المبتدأ "خزي" وكذلك في "ولهم" في الآخرة المعطوفة على الجملة الأولى لتأكيد تخصيص الخزي لهم وهو: " قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية،وقيل فتح مدائنهم قسطنطنية ورومية وعمورية"[2] هذا في الدنيا وخصص لهم في الآخرة عذب عظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾آل عمران 97. قدم الخبر شبه جملة في الآية الكريمة دلالة على إلزامهم بالقيام بشعيرة الحج وتأكيده عليها متى تحققت. قال الزمخشري: "وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته. ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلاً ، وفيه ضربان من التأكيد : أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين"[3]. زيادة على هذا يمكن القول إنّ هذا التقديم يفيد إخلاص عبادة الحج لله تعالى ابتغاء مرضاته والحذر من حظوظ النفس والرياء بهذه الشعيرة التعبدية.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ سورةالكافرون،الآية: 06. قدم الخبر على المبتدأ لإفادة قصر المسند إليه على المسند، أي: دينهم مقصور عليهم ودين النبي محمد ـصلى الله عليه وسلمـ مقصور عليه كونه لا يتجاوز على كونه لهم أي: للكفار فالقصر للإفراد والاختصاص

[1] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 149، و التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 540.
[2] ـ الكشاف، الزمخشري،ج 01، ص 179.
[3] ـ المصدر السابق، ج01، ص205.204.

والاستحقاق.[1].والآية تذييل للكلام السابق وتحصيل حاصل لما ورد فيه من تأكيدات "لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد"، والمعنى يقول الزمخشري: "أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني إلى الشرك "[2].

وفي قوله تعالى:و﴿هُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سورة الروم،الآية: 27 قدم الخبر شبه الجملة " له" في الآية الكريمة على المبتدأ "المثل" والغرض من هذا التقدم تأكيد الملك له عز وجل دون غيره وتخصيصه له وفي التقديم كذلك لفت للانتباه على أن الله وحده من له الوصف الأعلى الذي يتفرد به وهو الذي وسعت قدرته كل شيء وهو العزيز الحكيم.[3]

ومن هذا النسق قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ سورةالتوبة،الآية: 101. قدم الخبر في الآية "ممن" للإشارة والتنبيه على أنه خبرا[4] وليس نعتا "لأن المبتدأ" المنافقون" ورد غير معرف. وهو يخبرهم عن منافقيهم الذين حول مدينتهم أو بلدتهم من جهينة وأسلم وأشجع وغيرهم[5] وتقدير الآية:" ومن أهل المدينة قوم أو منافقون."[6]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة النحل،الآية: 106. قدم الخبر شبه الجملة "فعليهم" على المبتدأ "غضب" لتأكيد غضبه عليهم هم تحديدا جزاءا لكفرهم.

---

[1] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 30، ص584.

[2] _ الكشاف، الزمخشري،ج04، ص 696.

[3] _ ينظر: المصدر السابق، ج 03، ص 423.

[4] _ أبو طالب القيسي، مشكل 'إعراب القرآن، ص 223.

[5] _ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج 02، ص 189.

[6] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج03، ص 75.

وفي تقديم الخبر كذلك تهديد ووعيد لهؤلاء الكفار الذين كفروا بعد إيمانهم، "وهو جواب من شرح"[1] أي من تعمد واقتنع قلبه بالكفر فعليه هو غضب من الله وله عذاب عظيم.

03- تقديم الخبر جملة فعلية:

يتقدّم الخبر جملة فعلية على المبتدأ لإفادة المدح أو والذم، مع الفعلين نعم وبئس ففي المدح نجد في قوله تعالى:﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ ﴾سورة البقرة الآية 271. الجملة الفعلية "فنعمَّا" في محل رفع خبر مقدم، والضمير "هي" مبتدأ مؤخر.قال صاحب المحيط: " "هي" مبتدأ على أحسن الوجوه، وجملة المدح خبر عنه والرابط هو العموم الذي في الضمير المستكن في نعم."[2] ونرى نفس الأسلوب في قوله تعالى:﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾سورة ص الآية .44

وفي الذم قال تعالى:﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ سورة الحجرات الآية 11،قدمت الجملة بئس الاسم التي هي في محل رفع خبر مقدّم والمخصوص بالذّم مبتدأ مؤخّر. والتقديم في الآية الكريمة إنما لغرض التحذير من ظاهرة التنابز بالألقاب.

04- تقديم معمول الخبر:

كما يجوز تقديم الخبر على المبتدأ كذلك يجوز تقديم معمول الخبر على المبتدأ في التركيب[3] وهذا التقديم من شأنه تحقيق أغراض بلاغية لا سبيل إلى تحقيقيها من دونه منها:

أ ـ الحصر ورعاية الفاصلة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾سورة البقرة الآية 04. قال السيوطي: "والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى صار

[1] _الكشاف، الزمخشري، ج 02، ص 463.

[2] _ البحر المحيط (في التفسير)،محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي،، عناية :صدقي محمد جميل،دار الفكر، لبنان، دط، دت،ج06، ص 337.

[3] _ المقتضب، المبرد، ج04 ص156.

غيرها عندهم كالمدحوض فهو حصر مجازي وهو دون قولنا يوقنون بالآخرة لا بغيرها."[1] فالتقدم في الآية الكريمة حقق غرضين اثنين: أولهما تأكيد إيمانهم بالله واليوم الآخر. و ثانيهما تحقيق ملاءمة الفاصلة مع الآيات السابقة لها لضمان تناسق النظم مع النغم الموسيقي للآية فتولد عن ذلك جمال المعنى والمبنى معا وهو ما رآه محمد أبو موسى إذ قال: "والذي نراه أنّه لا تزاحم في النكات والأسرار وأنّ التقديم في الآية الكريمة يفيد الفائدتين: فائدة معنوية وهي الاختصاص وفائدة لفظية- وهي في تقديرنا جزء من التعبير كالمعنى تماما، وهي الحفاظ على التنغيم الآخذ والتوازن الصوتي الذي يشارك مشاركة فعّالة في تحريك القلوب وبعث خوافي الإحساس والشعور، ويدرك هذه الحقيقة من ذاق حلاوة الترتيل، وجمال التنغيم في هذا القول الحكيم."[2]

ب- إفادة الحدوث والتقييد:

وذلك في قوله تبارك وتعالى:﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ﴾ سورة الحاقة الآية 16. تقدم معمول الخبر في الآية الكريمة لرعاية الفاصلة إضافة تحقيق غرض دلالي، قال الطاهر بن عاشور:" وتقييده بـ "يومئذٍ" أنَّ الوهي طرأ عليها بعد أنْ كانت صلبة بتماسك أجزائها وهو المعَبَّر عنه في القرآن بالرّتق كما عبر عن الشق بالفتق، أي فهي يومئذٍ مطروقة مسلوكة."[3]

04ـ التقديم والتأخير في الجمل المنسوخة.

1- تقديم خبر كان وأخواتها على اسمها:

أـ الاهتمام بالخبر:

قد يتقدّم خبر كان على اسمها قصد الاهتمام بالخبر للتعجيل بالمسرّة وتأكيد البشارة كما هو الحال في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾سورة الروم الآية 47. حيث قدّم الخبر "حقّا" لتأكيد البشارة ولتعجيل المسرة قال الرازي: "تأكيد البشارة لأن كلمة على تفيد معنى اللزوم

[1] _ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج03، ص171.
[2] _ خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، ص 314
[3] _التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج29، ص127.

يقال على فلان كذا ينبئ عن اللزوم، فإذا قال حقاً أكّد ذلك المعنى."[1] وكذلك في تقديم الخبر دلالة على التأكيد بأن أمر النصر كان حقا على الله عز وجل ألزم به نفسه على المؤمنيين لتبين علو مكانتهم عنده عز وجل قال البقاعي: "ولما كان محط الفائدة إلزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به،قدمه تعجيلاً للسرور وتطييباً للنفوس فقال : " وكان " أي على سبيل الثبات والدوام " حقاً علينا " أي بما أوجبناه لوعدنا الذي لا خلق فيه " نصر المؤمنين " أي العريقين في ذلك الوصف في الدنيا والآخرة ، فلم يزل هذا دأبنا في كل ملة على مدى الدهر، فإن هذا من الحكمة التي لا ينبغي إهمالها."[2]

ب– الاهتمام ورعاية الفاصلة:

قال عز وجل: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾سورة الإخلاص، الآية: 04. أصل التركيب أن يرد: ولم يكن أحد كفوا له، إلاَّ أنّ السياق اقتضى الحال إقتضى العدول عن الأصل رعاية للفاصلة أولا، واهتماما بذكر المقدم حيث قال الطاهر بن عاشور: "وتقديم خبر "كان" على اسمها لرعاية الفاصلة وللاهتمام بذكر الكُفؤ عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلى السمع .وتقديم المجرور بقوله: "له" على متعلَّقه وهو "كفؤاً" للاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحد له ، فكان هذا الاهتمام مرجحاً تقديم المجرور على متعلَّقه وإن كان الأصل تأخير المتعلَّق إذا كان ظرفاً لغواً."[3]

نستشف مما سبق أنَّ حرص النظم على تناسب الفواصل لم يهمل تحقيق الدلالات المثقلة بالمعاني الدقيقة و المفعمة بالجمال المعنوي اللفظي الذي يضمنه العدول عن الأصل في تركيب المنظوم من الآيات وهو ما رآه جلال الدين السيوطي الذي قال في هذا الصدد: "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلاّ مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأمّا أن تهمل المعاني ويهتمّ بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤدّاه فليس من قبيل البلاغة."[4]

[1] _ مفاتيح الغيب، الشهير بالتفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي. ج 25ص111.

[2] _ نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1415هـ -1995م، ج:15، ص117-118.

[3] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج30، ص620.

[4] _ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ج03، ص252.

2- تقديم معمول خبر كان وأخواتها.

1- تقديم المعمول على الخبر:

قال الله تعالى:﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾سوة البقرة الآية 57. "أنفسهم" مفعول به مقدم وهو متعلّق الخبر يظلمون إنما قدم لتخصيصهم بصفة الظلم قال الطاهر بن عاشور: " قدم فيه المفعول للقصر وقد حصل القصر أولاً بمجرد الجمع بين النفي والإثبات ثم أكد بالتقديم لأن حالهم كحال من ينكي غيره كما قيل: يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو بعدوه."[1]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ سورة المائدة الآية 102. "بها" جار ومجرور متقدم على عامله ، وأصل التركيب كالتالي: " ثم أصبحوا كافرين بها" وفرض المقام العدول عن الأصل بالإضافة إلى رعاية الفاصلة لتخصيص الكفر بالباء السببية المقدمة "فتتعلّق بِ " أصبحوا " أي كانت تلك المسائل سبباً في كفرهم، أي باعتبار ما حصل من جوابها ، ويحتمل أن تكون للتعدية فتتعلّق بـ " كافرين " أي كفروا بها ، أي بجوابها بأن لم يصدّقوا رسلهم فيما أجابوا به، وعلى هذا الوجه فتقديم المجرور على عامله مفيد للتخصيص ، أي ما كفروا إلاّ بسببها ، أي كانوا في منعة من الكفر لولا تلك المسائل ، فقد كانوا كالباحث على حتفه بظلفه ،فهو تخصيص ادّعائي ، أو هو تقديم لمجرّد الاهتمام للتنبيه على التحذير منها."[2]

2 ـ تقديم معمول الخبر على كان ومعموليها:

قال الله تعالى في سورة سبأ:﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾سورة سبأ الآية: 40 تخريج الآية حسب الأصل:"كانوا يعبدونكم" قدّم الضمير "إياكم" المفعول به " إيّاكم" لرعاية الفاصلة واهتماما بالمقدم حيث قال البقاعي: "وأشار إلى أنه لا ينفع من العبادة إلا ما كان خالصاً فقال : " إيّاكم " أي خاصة " كانوا يعبدون " بأفعالهم الاختيارية والقسرية ليعلم أنهم عبيد لكم تستحقون عبادتهم، وفي التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش

[1] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01،ص512.

[2] _ المصدر السابق،ج01، ص69.

على أنّه لا يعتد من العبادة إلا بالخالص."[1] وقال الله تعالى في آية أخرى:﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ سورة التوبة الآية 65. وردت الآية بأسلوب الاستفهام إثباتا لوقوع الفعل منهم وتوبيخهم عليه."الاستفهام إنكاري توبيخي. وتقديم المعمول وهو "أبالله" على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين لأنّهم لما أتوا في اعتذارهم بصيغة قصر تعيين جيء في الردّ عليهم بصيغة قصر تعيين لإبطال مغالطتهم في الجواب، فأعلمهم بأنّ لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلاّ استهزاء بالله وآياته ورسوله لا بغير أولئك، فقصْر الاستهزاء على تعلّقه بمن ذكر اقتضى أنّ الاستهزاء واقع لا محالة لأنّ القصر قيد في الخبر الفعلي، فيقتضي وقوعَ الفعل."[2]

05 ـ تقديم خبر إنَّ:

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ سورة آل عمران،الآية: 13 تقدم خبر إن شبه الجملة "في ذلك" في الآية الكريمة على اسمه "لعبرة" وهذا للإشارة إلى الأمر العظيم الذي حصل يوم بدر يوم غلبت الفئة القليلة المستضعَفة الفئة الكثيرة القوية، وفي العدول عن الأصل تركيز على الكلام المقدم والمتمثل نصر الله للمسلمين في بدر وفي ذلك إشارة للمسلمين بالنصر على الكفار "أي كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول أنكم ستغلبون"[3] وهو ما رآه أبو السعود إذ قال:"وهو للإشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا ...لغلبة القليل العديم العدة على الكفار"[4].

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ

[1] ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1415هـ -1995م، ج15،ص520.

[2] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج10، ص251 .

[3] ـ معالم التنزيل، أبو محمد بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997، ج 02، ص13.

[4] ـ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص 449.

لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ سورةالبقرة، الآية: 248. تقدم خبر إن شبه الجملة "في ذلك" في الآية الكريمة على اسمها "لآية" لتركيز الكلام على المقدم والاهتمام به وذلك بعد نزول الملائكة لحمل هارون فكان ذلك آية اصطفاء الله طالوت[1] وفي تقديم الخبر توكيد له في التركيب وذلك لاتصال الخبر بالام المزحلقة التي تفيد التوكيد كما أن في ذلك تشويق إلى المؤخر وهو اتخاذ الحادثة آية وعبرة للسامعين.

وفي قوله تعالى:﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ سورة آل عمران،الآية: 49. قدم خبر إنَّ "في ذلك" على اسمها "للآية" لتشويق السامع للاسم المؤخر ولتوكيده وذلك لجعل الأشياء السابقة الذكر في الآية الكريمة "كلها آيات تدعو إلى الإيمان به أي إن كنتم تريدون الإيمان بخلاف ما إذا كان دأبكم المكابرة."[2]

ومثله في قوله تعالى: ﴿وَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾ سورة يونس، الآية:67. عدل عن الأصل بتقديم خبر"إن" في الآية الكريمة على اسمها "آيات" لتأكيد المؤخر وتقريره لتكون كل الدلائل المذكورة آنفا دالة على وحدانية الله تعالى بالإلهية فقدم الخبر لتكون في تلك الدلائل إشارة إلى آيات الله وربوبيته وقدرته المتمثلة في "النظام الذي نشأ عنه الليل والنهار والمشتمل على دقائق كثيرة من العلم والحكمة والقدرة وإتقان الصنع"[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ سورة هود،الآية: 103. قدم خبر إنَّ شبه جملة "في ذلك" على اسمها لآية لتشويق إلى المؤخر وتأكيد المقدم أي أنّ "في هذه القرى وما حل بها لعبرة وعلامة اهتداء لمن خاف

[1] _ ينظر:الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 278.

[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج03، ص 252.

[3] _ المصدر السابق،ج11، ص227.

أمر الآخرة وتوقع أن يناله عذابها فنظر وتأمل فإن نظره يؤديه إلى الإيمان"[1] وعلى هذا فإن في توكيد الخبر وتقديمه دلالة على الاهتمام به وليس هناك أوكد من هذا التعبير.

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تحمل نفس العدول عن الأصل بتقديم خبر "إنَّ" على اسمها لغرض تأكيد الخبر والتشويق لسماع المسند إليه.وذلك كما في قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ سورة الرعد،الآية:04.03. قدم خبر"إن" "في ذلك" على اسمها في قوله تعالى:"لآيات" في الآية الأولى، وقدم خبر إنَّ "في ذلك" على المسند إليه لآيات في الآية التي بعدها

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 99.حيث قدم خبر إن "ذلكم" على اسمها "لآيات " لتوكيد الخبر والتركيز عليه في التركيب.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ يونس 02 قُدم خبر إنَّ "هذا" في الآية على اسمها "لساحر" لتوكيد الخبر والاهتمام به، وهو اعتراف الكفار من حيث لا يشعرون بأن الذي أتى به محمد خارج عن طاقة بشر وسموه ساحرا تماديا في عنادهم كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج على حد تعبير أبو السعود.[2]

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يونس 55. قدم خبر إنَّ شبه الجملة "لله" على اسمها الاسم

[1] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج03، ص 206.

[2] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 625.

الموصول "ما" في الآية الكريمة استعظاما للمقدم ولاسمه عز وجل وحرف الجر اللام في "لله" لإثبات وتأكيد الملك له وقال الطاهر بن عاشور في هذا العدول" وقدم خبر إن على اسمها للاهتمام باسمه تعالى ولإفادة القصر لرد اعتقادهم"[1]. كما أضيف حرف التوكيد في التركيب بعد حرف التنبيه للاهتمام به ولرد إنكار الذين هم بمنزلة المنكرين[2].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ سورة يونس،الآية: 66. قدم خبر"إنَّ" شبه جملة جار ومجرور "لله" على اسمها "من" تعظيما لاسمه تعالى وتأكيدا عل ملك الله لكل من في الأرض والسماء من البشر والملائكة و الثقلان[3]. و"من" تفيد وتشمل كل العقلاء في الكون.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ سورة يوسف،الآية: 78. الخبر المقدم في الآية هو متعلق الخبر المحذوف شبه الجملة " له" على الاسم "أبا" اهتماما بالمقدم فوصفوا أباهم لا لفائدة الوصف وإنما بحثا على سراح أخيهم وهو ما رآه الطاهر بن عاشور إذْ قال:"ووصفوا أباهم بثلاث صفات تقتضي الترقيق عليه وهي: حنان الأبوة وصفة الشيخوخة واستحقاقه جبر خاطره لأنه كبير قومه أو لأنه ...ابتغى في الكبير إلى أقصاه فالأوصاف مسوقة للحث على سراح الابن لا لأصل الفائدة "[4] وعلى ذلك الأساس تم تقديم الأهم وتأخير الأقل أهمية في التركيب.

[1] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 11، ص 199.
[2] _ ينظر: المصدر السابق، ج11، ص 199.
[3] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري ، ج02، ص 230.
[4] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج13، ص36.

06- تقديم معمول خبر إنَّ وأخواتها:

ونلمس ذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾سورة الأعراف الآية:76. تقدم معمول خبر إن "بالذي" في التركيب لرعاية الفاصلة واهتماما بالمقدم[1]وفي قوله تعالى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ سورة الرعد الآية 02. تقديم معمول الخبر الجار والمجرور" بلقاء" في نظم الآية الكريمة لرعاية الفاصلة واهتماما بالمقدم وهو لقاء الله عز وجل.

المطلب الثاني: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

يلحق التقديم والتأخير الجمل الفعلية كما يلحق الجملة الاسمية فتعدل الأركان الإسنادية فيها عن مواضعها الأصلية لإفادة العديد من المعاني التي يتطلبها السياق. ومن أقسام التقديم والتأخير في الجملة الفعلية ما يلي:

01- تقديم الفاعل على الفعل:

الأصل أنْ يرد الفاعل بعد فعله في التركيب الإسنادي، إلاَّ أنّ الفاعل قد يتقدم فعله في الرتبة فينتج عن ذلك تغير في الدلالة فينشغل المتلقي بسماعه أولا في الكلام الملقى إليه. وهذا العدول ترخصه قرينة الرتبة لأنّ أصله أنْ يكون تابعا لفعله لأنه جزء مكمل له فلا يجوز أن يتقدم التابع على متبوعه[2] وقال سيبويه في هذا التقديم: "ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص، فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

صَدَدْتِ فَأَطْوَلْتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ.

وإنّما الكلام: قلّما يدوم وصال"[3].

[1] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج08، ص224.

[2] _ ينظر: الأشباه والنظائر، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط03، ج02، ص 78.

[3] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص21.

ورأى الشمنتري أن الشاعر قدم الفاعل مضطرا فقال: "أراد وقلّما يدوم وصال فقدّم وأخّر مضطرا لإقامة الوزن. والوصال على هذا التقدير فاعل مقدّم والفاعل لا يتقدّم في الكلام إلاّ أن يبتدأ به وهو من وضع الشيء في غير موضعه."[1]

وورد هذا العدول في قوله تبارك وتعالى:﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾سورة التوبة الآية 06 "أحد" فاعل مقدم في الآية الكريمة وأصل التركيب حسب مقتضى الظاهر: وإن استجارك أحد من المشركين قال الرازي: "أحد مرتفع بفعل مضمر يفسره الظاهر، وتقديره: وإن استجارك أحد، ولا يجوز أن يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا يدخل على غيره. فإن قيل: لما كان التقدير ما ذكرتم فما الحكمة في ترك هذا الترتيب الحقيقي؟ قلنا: الحكمة فيه ما ذكره سيبويه، وهو أنَّهم يقدمون الأهم والذي هم بشأنه أعني وقد بينا ههنا أن ظاهر الدليل يقتضي إباحة دم المشركين، فقدم ذكره ليدل ذلك على مزيد العناية بصون دمه عن الإهدار"[2]. والفاعل قدم للعناية والاهتمام وفيه " تأكيد بذل الأمان لمن يسأله من المشركين إذا كان للقائه النبي صلى الله عليه وسلم ودخولِه بلاد الإسلام مصلحة"[3] .

02 ـ تقديم المفعول به : تقديم المفعول به شائع في القرآن الكريم فيتقدم على فاعله تارة، على فعله وفاعله تارة أخرى وقد يتقدم على أحد مفاعليه السابقة له كذلك :

أـ تقديم المفعول به على فاعله:

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة البقرة،الآية: 124. تقدم المفعول

[1] _ تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب، يوسف بن سليمان الشنتمري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط02 بيروت،لبنان،1410هـ - 1990م. ج01،ص21.

[2] _ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج15ص531.

[3] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج10،ص118.

به" إبراهيم" على الفاعل " ربه" في الآية الكريمة وظاهر الحال أن يقول وابتلى الرب إبراهيم"[1] وعدل إلى التقديم لغايات منها:

أولا: تمحيص النظر في كلمة "ربه" الواردة في الآية تقتضي التأخير لحاجة المقام إلى الضمير العائد "الهاء" ليبين أن إبراهيم اتخذ من الله إلها له، ولتبيين مدى إيمان النبي إبراهيم عليه السلام بالله عزَّ وجل.

ثانيا: قدم إبراهيم على لفظ الجلالة في الآية لتخصيص الابتلاء لإبراهيم، وفي تقديم المفعول دلالة على تأكيد الكلام عن إبراهيم وابتلاء الله له.

قال عز وجل في آية أخرى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ سورة البقرة،الآية: 133. قدم المفعول به "يعقوب" على فاعله "الموت" وعدل إلى تقديم اسم يعقوب عليه السلام لأنَّ الكلام موجه إلى أبنائه وذريته "كأنه قيل أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام، وقد علمتم ذلك، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براءة" [2].

وفي قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ سورة إبراهيم،الآية: 50 تقدم المفعول به "وجوههم " على الفاعل " النار" في الآية الكريمة لغرض الاهتمام لأنَّ الوجه هو أهم جزء في جسده الظاهر، وهو "أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال: "تطلع على الأفئدة" وقرئ: وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى أي يفعل بالمجرمين ما يفعل "ليجزي الله كل نفس" مجرمة"[3] الاهتمام على موضع تعذيب الكفار والاهتمام بذكر وجوههم من أجزل وأبلغ ما ورد في النظم القرآني للتهديد والوعيد.

---

[1] _في القراءة المشهورة الفاعل يلي الفعل في التقدير" فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر أن يقال، ابتلى ربه إبراهيم، فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر، أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا، وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك في ابتلى ربه إبراهيم" الكشاف، الزمخشري، ج 01، ص 182.

[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج 01، ص191.

[3] _ الكشاف، الزمخشري،ج02، ص407

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ سورة طه،الآية: 67 عدل الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة عن الأصل بتقديم المفعول به "خيفة" على فاعله "موسى"، وذلك اهتماما بإبراز المقَدم في الكلام وذلك أنَّه يروى أنَّهم لطخوا عصا موسى "بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت اهتزت فخليت ذلك ...وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه".[1] وقدم المفعول في هذا الموضع لوصف حالة موسى في ذلك الموقف. ولرعاية الفاصلة.

ب ــ تقديم المفعول على الفعل والفاعل:

وذلك في قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سورة الفاتحة،الآية 05. قدم المفعول به "إياك"[2] على عامله "نعبد" و "نستعين " في الآية لبيان أن الله مختص بالعبادة والاستعانة وحده دون غيره " والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة" [3] ولأن العبادة هي أقصى غاية.

ونرى نفس العدول في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ سورة البقرة،الآية:40 في الآية الكريمة عدول بقديم المفعول به على "إياي" على فعله "فارهبون" لتحقيق غرض التخصيص في التركيب أي: " لا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في إفادة التخصيص."[4]

وكذلك في الآية: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ سورة الزمر،الآية 66. قدم المفعول "الله" على فعله لتخصيصه وإخلاص العبادة له وحده "ولإفادة القصر أي: أعبد الله لا غيره وهذا في مقام الرد على المشركين كما تضمنه قوله [5] ويرى أبو السعود أنَّ لولا التقديم لما وصل الكلام إلى

---

[1] _ المصدر السابق،ج03، ص 68.

[2] _ إياك : قرئت بتخفيف الياء ، وإياك بفتح الهمزة والتشديد، وهياك بقلب الهمزة هاء وقال الشاعر:

فهياك والأمر الذي إنْ تراحَبَتْ موارده ضاقت عليك مصادره. ينظر: الكشاف، الزمخشري، 1ج، ص 31.

[3] _ المصدر السابق، ج1، ص 31.

[4] _ المصدر السابق،ج01، ص 135.

[5] _ ينظر : التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01،ص265.

الغاية المطلوبة بتخصيص العبادة إليه وحده فقال: " "بل الله فاعبد" رد لما أمروه به ولو لا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك."[1]

وقال الله تعالى:﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ سورة الزمر،الآية: 64. في الآية الكريمة عدول بتقديم المفعول به "غير" على فعله" أعبد" وتخريج الآية في الأصل "قل أ تأمروني أن أعبد غير الله أيها الجاهلون". وفي تقديم المفعول غرض اقتضته حاجة المقام وهو تركيز الكلام على آلهة الكفار الذين اتخذوا من دون الله آلهة لا تسمن ولا تغني من جوع وفي ذلك تحذير للرسول محمد _صلى الله عليه وسلم_ من عبادة ما أمره به المشركون من قومه، من أوثان والثبات على عبادة الله تعالى والمداومة على شكره.[2]

وفي قوله تعالى:﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ سورة الأنعام،الآية: 14 تقدم المفعول به الأول " غير" في تركيب الآية الكريمة على فعله المضارع "أتخذ" وقرنت الهمزة بالمفعول لتركيز الكلام عليه وقال أبو السعود في هذا العدول:" أي معبودا بطريق الاستقلال أو الاشتراك وإنما سلطت الهمزة على المفعول الأول لا على الفعل إيذانا بأن المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى:" أغير الله أبغي ربا."[3]

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة 172. أي: إن كنتم لا تشركون معه في العبادة غيره فاشكروه وحده فقدم المفعول "إياه" في الجملة الشرطية لتخصيص العبادة لله عز وجل " ومن شأن كان إذا جاءت وخبرها جملة مضارعية أن تدل على الاتصاف بالعنوان لا على الوقوع بالفعل مثل قوله" إنْ كنتم للرؤيا تعبرون" أي: كان هذا العلم من صفاتكم "[4] وكذلك الاعتراف وجواب الشرط وارد في الجملة التي قبلها أي: إنْ كنتم تخصون الله بالعبادة وتقرون نعمه كلوا من طيبات ما رزقكم واشكروه.

[1] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 623.

[2] _ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ط01، 2000، ص315.

[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص180.

[4] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج02، ص 114.

وقال عز وجل في آية أخرى:﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ سورة الأعراف،الآية 197.قدم المفعول به "أنفسهم" في الآية الكريمة على فعله "ينصرون" لتنبيه المخاطبين في دعائهم للآلهة التي عبدوها دون الله "ودعائهم إياها من دون الله مع ظهور عدم استحقاقها للعبادة بعجزها عن نصر أتباعها وعن نصر أنفسها"[1]. ففي تقديم المفعول ففي تقديم المفعول شارة وتوكيد لعجز الآلهة حتى على حماية ذاتها.

وكذلك في قوله تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ سورة الضحى،الآية:10.09قدم المفعول به "اليتيم" عل فعله " لا تقهر" للعانية والاهتمام، وقد دلَّ على ذلك ورود أمَّا في التركيب التي يقدم جوابها للاهتمام، وهو ما رآه الطاهر بن عاشور إذ قال:"واليتيم مفعول مقدم لفعل " لا تقهر" وقدم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعا وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب "أما" أن يكون مفصولا عن" أما " بشيء كراهية موالاة فاء الجواب لحرف الشرط. ويظهر أنهم ما التزموا الفصل بين " أما" وجوابها بتقديم شيء من علائق الجواب إلاَّ لإرادة الاهتمام بالمقدم"[2]. وذلك أنَّ وقوع أما في التركيب لا يخلو عن الاهتمام بأحد أجاء التركيب الذي تقع فيه وهو الذي يعنى بالتقديم، والآية التي بعدها معطوفة عليها مقدم فيها المفعول به "السائل" للعناية والاهتمام وجواب لـ "أما".

وقال عز وجل:﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ سورة يس،الآية: 39. في الآية الكريمة عدول عن الأصل بتقديم المفعول به" القمر"[3] على فعله" قدرناه" وقدم المفعول به الأول للعناية به وتركيز الكلام عليه وعلى سيره في المنازل، واتفق المفسرون على أنها ثمانية وعشرون[4]، لا على المنازل ذاتها.

وقال الله تعالى في سورة القمر:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ سورة القمر،الآية: 49. قدم المفعول به"كل" في الآية الكريمة دلالة على الاهتمام بالمقدم الذي يعني أنَّ كل جزء في الكون

[1] _ المصدر السابق،ج 09، ص224.

[2] _ المصدر السابق،ج30، ص401.

[3] _ " قرئ القمر رفعا على الابتداء ، أو عطفا على الليل يريد من آياته القمر، ونصبا بفعل يفسره قدرناه" الكشاف،الزمخشري،ج 04، ص17.

[4] _ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ص 268. والكشاف، الزمخشري، ج 04، ص 17.

وكل شيء مهما صغر مرتبط بقدر اقتضته الحكمة التي عليها[1] أي: "خلقنا كل شيء محكما مرتبا حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه"[2]. وقد دل على هذا المعنى تقديم المفعول به في التركيب.

وقال الله تعالى في آية أخرى:﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾ سورة القمر،الآية:24. في الآية الكريمة عدول عن الأصل بتقديم المفعول به "بشر" على فعله "نتبعه". واتفق المفسرون أنَّ في هذا التقديم نكتة بلاغية لا تتحقق إلا بالتقديم، حيث أنَّ تركيب الآية على صيغة الاستفهام الذي أريد به التعجب والإنكار من طرف الكفار أن يتبعوا من هو مثلهم ورادوه أن يكون من جنس أعلى مرتبة من جنس البشر أو أرادوه من أشرافهم والرسالة المبتغاة من هذا التركيب أنَّ كل من الجنسية والوحدة لا تمنعان الاتباع.[3]

وقال تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ سورة ص،الآية: 84.في الآية الكريمة تقديم للمفعول به " الحق" على فعله" أقول" وتخريج الآية حسب الأصل المفترض: قال فالحق، وأقول الحق"والعدول هنا إنما لتوكيد والتشديد ويراه الزمخشري وجه دقيق حسن إذ هو " اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه: لا أقول إلا الحق ، والمراد إما اسمه _ عز وعلا_ الذي في قوله: " الله هو الحق المبين" سورة النور أو الحق هو نقيض الباطل"[4].

وقال عز وجل:﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ سورةالمدثر،الآية:3.4.5. قدم المفعول به في الآيات الثلاثة من سورة المدثر "وربك" و"ثيابك"و"الرجز"على أفعالهم "فكبر" "فطهر" " فاهجر". وذلك لتخصيص الله بالتكبير في الآية الأولى " وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال: الله أكبر... ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل:وما كان فلا تدع تكبيره" [5] وأمر بتطهير الثياب في الآية الثانية، وقدم للإشارة إلى عناية واهتمام الإسلام بطاهرة الظاهر وإيثار الطهر في كل شيء إذ

[1] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج 05، ص 241.
[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج 04، ص 375.
[3] _ ينظر: إرشاد العقل السليم أبو السعود، ج05، ص237، وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 374.
[4] _ المصدر السابق، ج04، ص 100.
[5] _ الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 550.

يقال: المجد في طهره والكرم تحت حلته[1] وأمر ونهي في الآية الثالثة التي أفاد فيها التقديم الحرص على ضرورة الابتعاد عن العذاب المتمثل في عبادة الأوثان وارتكاب المآثم.[2]

ج ـ تقديم المفعول به الثاني على الأوّل:

ورد تقدم المفعول الثاني على المفعول الأول في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ﴾سورة الأنعام، الآية: 100. فالتركيب حسب ظاهر الحال يستوجب وروده على أصله على هذه الشاكلة. "وجعلوا الجنّ شركاء لله فتقدم المفعول الثاني " شركاء "على المفعول الأوّل "الجنّ " وق تقدم الجار والمجرور "لله" عليهما وذلك كما قال الزركشي:"لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل."[3]وقال في تقديم المفعول الثاني " إرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور ....وقدّم لأن المقصود التوبيخ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله"[4].

فالتقديم في الآية الكريمة صور عظمة الله عز وجل الذي لاشريك له، وهو ما يستحيل تحققه مع التركيب الأصلي هذا ما رآه عبد القاهر الجرجاني إذ قال: "والسبب في أن كان ذلك كذلك، هو أنّ للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا، لا سبيل إليه مع التأخير، بيانه أنّا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى، ويفيد معه معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن. و إذا أخر فقيل: جعلوا الجن شركاء لله، لم يفد ذلك ولم يكن في شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى. فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه"[5].

وقال تعالى في آية أخرى:﴿ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾سورة البقرة الآية 269. تقدم المفعول الأول "ملكه" في الآية الكريمة لتفعيل عنصر التشويق حيث يتشوق السامع لمعرفة كنه المفعول

[1] _ ينظر: المصدر السابق ،ص 550.
[2] _ ينظر: المصدر السابق ، ص 550.
[3] _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،ج03، ص27.
[4] _ المصدر السابق، ج03، ص276.
[5] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص221-222.

الأول المؤخر الذي أخّر عمدا لإثارة النفوس كما أنْ في تقديم المفعول الأول تحقيقا لأمن اللبس الذي قد يقع مع التركب الأصلي الذي يكون على هذا النسق."والله يؤتي من يشاء الملك فقد يتوهم أن الملك مفعول لفعل المشيئة.

المطلب الثالث: التقديم والتأخير في الفضلات والمتعلقات:

يلحق التقديم والتأخير الفضلات والمتعلقات فيكسب التركيب خصوصية معنوية لا تتحقق إلاّ عن طريق هذه الآلية ومن صوّر ذلك:

1- تقديم الحال:

تتقدّم الحال على عاملها شأنها شأن المفعول به. وقد وعى النحويون ذلك فقال المبرّد: "واعلم أنّ الحال إذا كان العامل فيها فعلا صحيحا جاز فيها كلّ ما يجوز في المفعول به من التقديم والتأخير،إلاّ أنّها لا تكون إلا نكرة، وإنّما جاز ذلك فيها لأنها مفعولة، فكانت كغيرها مما ينتصب بالفعل"[1] ويتقدم الحال في حالتين اثنين: تقدّمها على صاحبها، وتقدّمها على عاملها. فمن تقدّمها على عاملها كالفعل وما قام مقامه في قوله وتعالى: ﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ سورة القمر الآية 07. حيث انتصبت "خشّعا" على الحال من الضمير يخرجون.وقال الزمخشري: " "خشعا" حال من الخارجين فعل الأبصار"[2]، وتقديم الحال في تركيب الآية إنما لإظهار ما هم عليه من الجزع والفزع من شدّة هول يوم القيامة الذي لا يرتدّ فيه إليهم طرفهم وهم يخرجون من الأجداث سراعا كأنّهم جراد منتشر صوّرهم وفي تصويرهم بهذا الوصف إثارة للرهبة ودفعهم إلى تقوية إيمانهم.

وتتقدم الحال على عاملها في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ سورة آل عمران،الآية: 144. "من قبله" متعلّق بمحذوف حال من الرسل،تقدّمت على صاحبها. ومنه قول كثيّر عزّة:

[1] _ المقتضب، المبرد، ج04، ص168.

[2] _الكشاف،الزمخشري، ج04، ص371.

لِـمَيَةَ مُـوحِشًا طَلَلٌ يَـلُوحُ كَـأَنَّهُ خَـلَلُ[1]

"موحشا" في البيت حال تقدّمت على عاملها لإقامة الوزن.

02- تقديم المفعول المطلق:

تقدم المفعول المطلق على فعله في القرآن الكريم والذي نابت عنه صفته في قول الحق تبارك و تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ سورة الأعراف الآية 10 تخريج الآية حسب مقتضى الظاهر وجعلنا لكم فيها معايش تشكرونها شكرا قليلا.تقدم المفعول المطلق لتحقيق غرض التوكيد والتنبيه على ما حصل منهم من تقصير في حق المنعم جل جلاله [2]

03- تقديم المفعول لأجله:

يتقدم المفعول لأجله على المفعول به نحو قوله جلّ جلاله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ سورة آل عمران الآية 154. تقدّم المفعول لأجله "أمنة" في الآية الكريمة على المفعول به "نعاسا".حيث قال الطاهر بن عاشور في هذا التقديم: "وكان مقتضى الظاهر أنَّ يقدّم النعاس ويؤخّر أمنة لأنّ أمنة بمنزلة الصفة أو المفعول لأجله فحقّه التقديم على المفعول كما جاء في آية: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ سورة الأنفال الآية: 11 ولكنّه قدّم أمنة هنا تشريفاً لشأنها لأنَّها جعلت كالمنزل من الله لنصرهم ، فهو كالسكينة ، فناسب أن يجعل هو مفعول أنزل، ويجعل النعاس بدلاً منه"[3].

ويتقدم على عامله في قوله تعالى: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ سورة الصافات 86 وتخريج الآية حسب مقتضى الظاهر: أتريدون آلهة دون الله إفكا؟ رتبت الآية ترتيبا عكسيا المفعول لأجله ثمّ المفعول به الموصوف بشبه الجملة ثمّ الفعل وفاعله. وحقق هذا الترتيب غرض التعجب من

[1] _ديوان كثيّر عزّة، تح: إحسان عبّاس، دار الثقافة بيروت، لبنان،ط1، 1391هـ - 1971م، ص506.

[2] _ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 06.

[3] _التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج04، ص133.

عبادتهم الأصنام رغم علمهم التام بأنها لا تسمن ولا تغني من جوع وكان "أوّل ما تعلّق به الاهتمام هو السببية التي عبّر عنها المفعول لأجله لأنّ الكفر عن ضلال قد ترجى له الهداية، أمّا الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار، ولهذا عجب إبراهيم عليه السلام من قومه الذين يعلمون أنّ الأصنام لا تضرّ ولا تنفع ثمّ يصرّون على عبادتها بالباطل."[1] ونلحظ نفس التقديم في بيت السيد الحميري الذي حقق غرض الإثارة والانتباه.

أَمَا تَرْحَمِي يَا هِنْدُ صَبًّا مُتَيَّمًا وَكَادَ اشْتِيَاقًا قَلْبُهُ يَتَقَطَّعُ[2]

تقدم المفعول لأجله "اشتياقا" في البيت على فعله وفاعله لإثارةِ الانتباه وشدِّه لأنَّ أصل الكلام حسب الترتيب النمطي: وكاد قلبه يتقطع اشتياقا.

04 ـ تقديم الظرف:

يحقق تقديم الظرف على المبتدأ العديد من الأغراض منها الاختصاص والحصر ورعاية الفاصلة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ سورة القيامة الآية:30.29. وذهب ابن الأثير إلى أنّ التقديم في مثل هذه الآية لمراعاة الحسن في نظم الكلام وليس للاختصاص[3].

وقد اهتم القرآن الكريم أيما اهتمام بالجانب اللفظي الذي من شأنه إضفاء عنصر التأثير إذا أضيف إلى آليات العدول فإنه" ليس من الخطإ في الدين ولا في البلاغة أن نقول أنّ القرآن الكريم يفهم بالناحية اللفظية، لأنّها جزء من أسلوبه، ولأنّها من دواعي التأثير، وتلك وظيفة القرآن الكبرى فالغرض منه أوّلا هو قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير، فمن الحتم أن يأخذ كلّ سبيل إلى هذه الغاية فلا يهمل هذا الجانب الهامّ في بلاغته."[4] فالألفاظ كذلك تلعب دورا حاسما في إيقاظ الأحاسيس وهو ما دعا العرب قديما كما قال ابن جني في الخصائص إلى أن " تعنى بألفاظها

[1] _البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص 379.

[2] _ديوان السيد الحميري، تحقيق: شاكر هادي شاكر، والسيد محمد تقي الحكيم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط،01 1785،ص70.

[3] _ينظر: المثل السائر، بن الأثير،ج02، ص218.

[4] _البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، القاهرة.دط، د ت ص36.

فتصلحها وتهذّبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها، بالشّعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها، فإنّ المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها. فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها، فإنّها لما كانت عنوان معانيها، وطريقا إلى إظهار أغراضها، ومراميها،أصلحوها ورتّبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد، ألا ترى أنّ المثل إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديرا باستعماله"[1]

وقال الله عز جل في آية أخرى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾ سورة الفرقان الآية26. تقدم الظرف "يومئذ" في الآية الكريمة ذلك أنَّ اليوم المشهود متميّزا عن غيره قال الرازي: "فإن قيل: مثل هذا الملك لم يكن قط إلا للرحمن، فما الفائدة في قوله: " يَوْمَئِذٍ " ؟ . فالجواب لأَنّ في ذلك اليوم لا مالك له سواه لا في الصورة ، ولا في المعنى ، فتخضع له الملوك و تعنو له الوجوه ، وتذل له الجبابرة بخلاف سائر الأيام."[2] وورد الظرف مقدما في نص الآية لإفادة اختصاص المبتدأ به.

و يتقدم الظرف على المفعول والفاعل لتأكيد المعنى نحو قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ سورة الإسراء الآية 23 فتقديم "عندك" في الآية الكريمة تقرير لضرورة مضاعفة بر الوالدين بعد بلوغهما الكبر ودخولهما في مرحلة العجز والحاجة الماسة إلى رعايتهما قال الرازي: "أنهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر"[3]

ومنه قوله تعالى:﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ سورة الفجر الآية 23 ورد الظرف "يومئذ" بعد فعل لم يسم فاعله والتقديم هنا إنَّما لتخصيص يوم القيامة لهول

[1] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص215-216.

[2] _ مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ج24، ص 456.

[3] _ المصدر السابق،ج20، ص328.

أحداثه ووقائعه التي تذهل لها النفوس مجرد قراءة نظم آياتها في القرآن العظيم .كما يتقدم الظرف مرة أخرى على المفعول المطلق في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ سورة الكهف، الآية: 100. وفي هذا التقديم تخصيصا ليوم القيامة لتفرده الأيام الأخرى، مما يدعو النفس إلى عمل المعروف تهيئا لذلك اليوم المريب.

06- تقديم الجارّ والمجرور

ورد تقديم الجار والمجرور في القرآن الكريم لتحقيق أغراض بلاغية تتحقق وفق هذه الآلية ومنه قوله تبارك وتعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ آل عمران 109 قال الألوسي: "وتقديم الجار للحصر أي: إلى حكم الله تعالى وقضائه لا إلى غيره شركة أو استقلالاً."[1] ولعل التخصيص والحصر إحدى أهم أغراض تقديم الجار والمجرور حتى راح " أهل البيان يطبقون على أنّ تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا، ولهذا قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ سورة آل عمران، الآية: 158. معناه: إليه لا إلى غيره"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ سورة يس، الآية: 20 حيث فرض المقام هذا النوع من العدول "فجاء ناصحا لهم في مخالفة دينهم فمجيئه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطؤ عنه فقدم ذكر البعد لذلك"[3]. ومجيء التركيب على أصله لا يحقق نفس الدلالة مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ سورة القصص، الآية: 20

قد يتقدّم الجار والمجرور المفعول به للتعيين، والتنبيه، والزجر الشديد. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ سورة النساء،

---

[1] _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي،ج04،ص27.

[2] _ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج 03، ص113.

[3] _ كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة ، تح:عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ط:01، 1410هـ - 1990م. ص:304.

الآية: 10حيث تقدّم الجار والمجرور على المفعول به تنبيها على أن أجسامهم التي اعتادت الحرام سيلازمها العذاب.

المبحث الثاني:الـحــذف

الحذف مبحث من مباحث العدول الذي تخرج فيه التراكيب عن أصلها المعتاد، وقد تعددت اصطلاحاته منها الحذف والاتساع والاختصار والإيجاز والاختزال والإضمار والتصرف في تأليف الكلام وشجاعة العربية والوجازة والاختزال، كلها مصطلحات شدت عقول علماء اللغة قديما وحديثا لتدل على أحد العوارض التي تعتري التراكيب الإسنادية فتعدل بها عن أصلها التركيبي .

وتعدد الاصطلاحات الدالة على الظاهرة إنما ينم عن إفاضة اللغويين في تقصي أحوال هذه الظاهرة التي تمد الكلام بطاقات تعبيرية هائلة ورشاقة تركيبية مستمدة من الحذف الذي يعد من أهم الفروع اللغوية. وهو في لغة العرب الإسقاط [1] وهو في الاصطلاح: "إسقاط كلمة لاحتواء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام "[2] أو هو " إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل" [3].

يعمد المتكلم إلى إسقاط أحد الأركان الإسنادية الجارية على وفق القياس اللغوي للجملة العربية سعيا منه لتحقيق غرض يقتضيه المقام وبلاغة الكلام للوصول إلى أرقى مستويات الأداء الكلامي بإسقاط ركن من أركان التركيب داخل النص في بعض المواقف اللغوية[4]. فيكون المذكور منه كافيا لتأدية المعنى الذي يتماشى مع متطلبات المقام.

والمجازية التي اتصفت بها اللغة العربية تفضي إلى البلاغة المؤدية إلى إثارة المتلقي واستهداف خياله وهو ما يعمد إليه الحذف الذي يمس معنى القول ومبناه "حيث يكتسب الأسلوب رصانة يشتد بها أسره وتصان جمله من الثقل والترهل فيتَّسم بالخفة ووفرة الدلالة ويصبح ترك الذكر أفصح من الذكر."[5]

1_ ينظر : لسان العرب . ابن منظور، مادة حذف،.ج09 ص39.

[2] _ النكت في إعجاز القرآن أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن،تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط:03 (د ت)ج02،ص76.

[3] _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 03 ، ص 115.

[4] _ ينظر : سياق الحال في كتاب سبويه، أسعد خلف العوادي ، دار حامد، عمان، ط1 2011، ص 27.

[5] _ العدول التركيبي مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني،ص236.

وعليه فإنَّ الحذف أبلغ من الذكر في كثير من المواضع، فلا يستطيع المتكلم الذكر في كلام غني عن الذكر فيحذف أحد الأطراف لغرض الإفهام الذي يعتبر أصلا في العملية التخاطبية " لذا لا نستطيع أن نقول إن الحذف نقص في الكلام بل الحذف عنصر أساسي لمستوى الإفهام كالذكر تماما ،لأنك تستطيع أن توصل للمتلقي بالحذف ما لا يستطيع الذكر إيصاله " [1].

إن مقولة ترك الذكر أفصح من الذكر تحمل بعداً وظيفياً عميقاً وذلك أنَّ ذكر الأركان بوضوح في التركيب ينم عن الوضوح الذي لا يخدم اللغة ولا يثريها، لأنَّ عمق اللغة وقيمتها تكمن في غموضها الذي يهدي إليه الحذف الذي يمد المتلقي لذةً وذوقا بإدراكه للمعنى ويرى محمد عبد المطلب أن "سياق الحذف يأتي، ليعلن عن احتفاء البلاغيين بإشارية اللغة على معنى أن الصياغة الأدبية يجب أن تبتعد عن الوضوح الكامل، لأنَّ مثل هذا الوضوح في الخطاب الأدبي يبعده عن كثافته ويعود به إلى الشفافية ... ومن هنا يكفي أنْ تُشحن الصياغة بمؤشرات مقالية أو حالية تسمح بغياب بعض الدوال المعبرة عنها وقد أطلق البلاغيون على هذا ... (الاحتراز عن البعث بناء على الظاهر) "[2] ويعني عبد المطلب بالظاهر القرائن الدالة على المحذوف وهي أبلغ من الدال المحذوف في الخطاب.

و بناء على ما سبق فإن نجاح مثل هذه العمليات التواصلية الخارجة عن النمط المعياري يتطلب دراية تامة من طرف المتلقي بالألفاظ المحذوفة ليتسنى له فهم المطلوب بوجود قرائن معنوية و أخرى مقالية تومئ إليه وبالتالي تزيل ذلك اللبس المتوقع فالعرب" قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة. وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته."[3] فيقود هذا الأخير العقل وراء قرائنه الدالة عليه إلى الكلام المحذوف " فإذا ما تدخل الذوق مع العقل استطاع المتلقي أن يصل إلى شيء لأنه توقف مفكرا أولا، وقدر المحذوف ثانيا، وهذا ما يعطي إثراء للدلالة وإظهاراً للقيمة " [4]. فعبارة "أهلا وسهلا " مثلا يلاحظ فيها أن كلا من الكلمتين منصوبة

[1] _ بلاغة الحذف في التراكيب القرآنية، حسين مصطفى غوانمة، دار حامد، الأردن،ط01، 2015،ص43.

[2] _ البلاغة العربية قراءة أخرى ،محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،ط01، 1997،ص217.

[3] _ الخصائص،ابن جني، ج02، ص360.

[4] _ بلاغة الحذف في التراكيب القرآنية، حسين مصطفى غوانمة، ص 43.

إذ لا بد لها من عوامل محذوفة قامت بنصبها وعلى هذا يكون تقديرها " قدمت " في الأولى و "نزلت" في الثانية إذ يظهر المحذوف عند إعراب التركيب وهذا ما نجده في العديد من المواقف اللغوية.

وهناك قسم لا يظهر بالإعراب عكس المثال الأول كقولهم " فلان يصل ويقطع" أي: يصل من يشاء ويقطع من يشاء فإظهار المحذوف في العبارة السابقة يزيل عنها اللطف والجمال والرونق . ومزية الحذف أنَّ العقل يدخل حينها ويتدبر المحذوف، وإعمال العقل في الصياغة الإشارية يكسبها قدراً من البلاغةِ والقوة لأنَّ هذا الأخير يتوجه إلى الفكر الذي يطلق العنان خياله في البحث عن قوالب توصله إليها تلك القرائن " إذ أنَّ الحذف يؤدي بالضرورة إلى دخول المحذوف دائرة الإبهام، وهو ما يؤدي إلى حصول ألم للنفس لجهلها به فإذا التفتت إلى القرينة تفطنت له فيحصل لها اللذة بالعلم، واللذة الحاصلة بعد الألم، أقوى من اللذة الحاصلة ابتداء"[1]. وهو ما رآه الزركشي إذ قال: "زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشد وأحسن."[2] لأن التراكيب والدوال المذكورة لذتها أقل بكثير من تلك التي تصل إليها النفس بعد بحث حثيث. فالتركيب إذا نظم على الأصل تكون له فائدة لا تتعدى النمط الاعتيادي، فالجملة الاسمية مثلا إذا نظمت على أصلها النمطي: مسند إليه + مسند. يكون الغرض منها عادياً أما إذا ما خرجت عن أصلها الوضعي بحذف أحد أركانها فيكون خروجا يرمي إلى دلالات جديدة غير الدلالات السابقة ينهجها صاحبها قصد تحقيق الخفة في الكلام و دفع المتلقي إلى إعمال خياله وعقله معا قصد تحقيق غرض من الأغراض البلاغية "كالتفخيم والإعظام، لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه. ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، وخلص للمذكور؟"[3]

نال الحذف اهتمام الدارسين القدامى من نحويين وبلاغين، ومرد ذلك إلى ورود هذا النوع من الأساليب في أغلب آيات القرآن الكريم حيث يبدو ذلك وبجلاء في جل مؤلفاتهم ،وقد عقب الخليل بن أحمد الفراهدي (ت 175هـ.) على قوله تعالى: " ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ "سورة النساء الآية :

[1] _ البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، ص 221.

[2] _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج03، ص119.

[3] _ المصدرالسابق،ج03،ص119.

171. حين رأى أنَّ ذلك الحذف جعل الكلام أرصن نظما وأبين وأجلى بقوله كأنك تحمله على ذلك المعنى فقال:" كأنك قلت:انته وادخل فيها خير لك: فنصبته لأنك عرفت أنك إذا قلت له: انته أنك تحمله على أمر آخر ... فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه ... ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حين قال له أنت"[1].

وأسهب تلميذه سيبويه في الحديث عن الحذف في مواضع مختلفة في كتابه حيث قال: "واعلم أنهم يحذفون الكلم و إنْ كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون ويستغنون بالشَّيء عن الشَّيء الذي أصله في كلامه أنْ يستعمل حتى يصير ساقطا" [2] ويقول في موضع آخر "وما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير ومن ذلك هل من طعام ؟ أي: هل من طعام في زمان ومكان "[3]

وأشار في موضع آخر إلى الحذف الذي يكون اختصاراً للكلام لأنَّ في الذكر إطالة في بعض المواضع وفي الإطالة ملل للمتلقي وخصص له بابا فقال:" هذا باب ما يكون فيه المصدر حينا لسعة الكلام والاختصار وذلك في قولك : متى يسر عليه ؟ فتقول : مقدم الحاج وخفوق النجم ولكنه على سعة الكلام والاختصار" [4] بالإضافة إلى حذف الفعل لدلالة الحال إذا كان الفاعل له مباشراً أو ملتبساً فقال: "هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل وإظهاره إذا علمت أنَّ الرجل مستغن عن لفظك بالفعل وذلك في قولك : زيدا وعمرا ورأسه ، وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله فقلت زيدا أي : " أوقع عملك زيد" "[5].

كما أشار إلى حذف الفعل لقصر الزمان عن الإتيان به أو النهي عنه أو عليه: "أما النهي فإنه التحذير كقولك: الأسد الأسد، والجدار الجدار، والصبي الصبي، وإنما نهيته أن يقرب الجدار المخوف المائل أو يقرب الأسد أو يوطئ الصبي"[6].

[1] _ الكتاب، سيبويه، ج01،ص 283.
[2] _المصدر السابق ، ج01،ص 24.
[3] _المصدر السابق، ج.02، ص 128.
[4] _ المصدر السابق، ج01، ص 222.
[5] _الكتاب، سيبويه، ج01، ص253.
[6] _المصدر السابق، ج01،ص 251.

ونبه هذا الأخير أنْ يكون الحذف مطلقاً في الكلام أي أنْ لا نحذف متى أردنا ذلك، وإنما يكون إذا عَلِم المخاطب به أو أُشير إليه فيكون بذلك المتلقي عالماً بالكلام المحذوف مع مراعاة وجود قرينة يلمحها مع ملاحظته لفصاحة الكلام مع الحذف مع خلوه منها إذا كان تاما، ويقول ابن يعيش عن الحذف في باب المبتدأ والخبر: " اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعها،فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة فلابد منهما، إلاَّ أنَّه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالتها عليه"[1]. تنم نظرة ابن يعيش للحذف على وعييه التام للسمات الجمالية الكامنة وراءه، فيجوز حذف الأركان الإسنادية في التركيب إذا فهم الكلام دونهم وإنْ كان المحذوف عمدة .

من الأسباب الرئيسية التي دعت النحويين إلى تناول الحذف في مؤلفاتهم احتفاء النص القرآني به،إذ أنه ورد في أغلب آياته مستهدفا الكلام في مبانيه وصولا إلى الدلالة باعتباره أسلوبا يجمع بين النحو و الدلالة. وفكرةُ الحذف التي نمت في فترتها الجنينية في رحم كتاب سيبويه كتب لها أنء تولد على يد جهابذة الدرس البلاغي الذين نفخوا في روحها الحياة ،كما هو شأن البلاغة التي ترمي في مباحثها إلى الوصول إلى المعاني العميقة وتفضي بالدرس النحوي إلى بعد دلالي آخر يبحث في مرامي الكلام فكانت البداية مع أبي عبيدة الذي عدَّ الحذف من المجاز حيث قال في قوله تعالى: وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ يوسف 82. "فهذا محذوف فيه مضمر مجازه: واسأل أهل القرية، ومن العير، ومن مجاز ما كفَّ عن خبره استغناء عنه وفيه مضمر لقوله : وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ الزمر 73. ثم كفَّ عن خبره"[2]وكذلك الفراء الذي لم يذهب بعيدا عن المجاز في نظرته إلى أسلوب الحذف والحرصه الشديد على تعيين المحذوف في القرآن الكريم فيقول في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ﴾ سورة البقرة : 60. "معناه والله أعلم ـ فضرب فانفجرت فعرف بقوله فانفجرت ، فعرف بقوله (فانفجرت) أنه قد ضرب فاكتفى بالجواب،لأنَّه قد أدى عن المعنى"[3]. فأشار إذن كل من أبي عبيدة والفراء

[1]. _ شرح المفصل، ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي النحوي)، عالم الكتب، بيروت، دط، دت ،ج1، ص 94.

[2] _ مجاز القرآن،أبو عبيدة، ص68.

[3] _ معاني القرآن، الفراء، ج01، ص40

للحذف لانشغالهما بشرح النصوص القرآنية بعيداً عن التعمق في الظاهرة الأسلوبية، ولعل مرد ذلك إلى أنهما من أوائل البلاغيين الذين تعرضوا إلى هذا النوع من العدول فكانت بذلك ملاحظاتهما مجرد وميض و إشارة أولية إلى الموضوع.

وتناوله الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابة دلائل الإعجاز، وخصص له فصلا بعنوان: "القول في الحذف" مشيراً ومستخلصا ما ينتج عن الحذف من بدائع ولطائف وعجائب تعجب لها النفوس وتسحر لها القلوب إذ قال: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".[1]

وعزَّز هذا الأخير كلامه بالعديد من النماذج التطبيقية التي عكست مدى إدراكه وعلة تذوقه لجمال الحذف المنطوية تحته طلاوة القول في العديد من النصوص ولعل من أهم ما توقف عنده قول ابن النطاح:

العَينُ تُبْدي الحُبَّ والبُغضاَ وتُظهِر الإبْـرامَ والنَّـقـضـاَ

دُرَّةٌ مَا أنْصَفَتْني في الهَوى ولاَ رَحِمَتْ الجَسَدَ المضـــنى

غَضْبى،لاَ واللهِ يا أهْلَها لاَ أُطعمُ البارِدَ أوْ تَـرْضَـى[2]

قيلت الأبيات في جارية كان يحبها الشاعر، ومنعها أهلها عنه وتقدير:" غضبى" عند عبد القاهر "هي غضبى" أو "غضبى هي لا محالة "،وهو يرى أنَّ النفس تأبى إظهار المبتدأ المحذوف وتأنس إلى إضماره[3].

ثم ذهب إلى حذف المفعول وبيان مقاصده البلاغية مؤكداً على أنَّ "اللطائف كأنَّها فيه أكثر و ما يظهر بسبب من الحسن والرونق أعجب"[4]. حيث مثل على ذلك ببيت لعمرو بن معدى:

[1] _دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 146.

[2] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهلا الجرجاني، ص 152.

[3] _ ينطر: المصدر السابق، ص 152.

[4] _ المصدر السابق، ص157

فلَوْ أنَّ قَومي أَنْطَقَتْني رماحهم نَطَقتُ ولكِنَّ الرِمَّاح أَجَرَّتْ[1]

" الفعل "أجَّرتْ" في البيت متعد ومعلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم نحو "ولكن الرماح أجرتني" إلاَّ أنَّك تجد المعنى يلزمك أنْ لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك "[2]ويعقب على هذا المثال أنَّ الشاعر لم يعد الفعل البتة لأن ذكره قد يوهم ما هو خلاف ذلك وإنما الغرض هاهنا لإثبات الفعل للفاعل وهو لذلك لم يعد لأن التعدية تنقص الغرض.

وانطلاقاً مما سبق يتضح جليا أنَّ عبد القاهر الجرجاني قد اشتغل في معرض حديثه عن الحذف على توظيف الشواهد الشعرية مع تحليلها وتبيين القيمة البلاغية منها دون غيره من البلاغيين قبله الذين أشاروا إلي بعضها كشذرات في ثنايا مؤلفاتهم، إذ أننا لا نغالي إذا اعتبرنا أنَّ نظرة عبد القاهر امتازت بالجدة علاوةً على الدقة والعمق في دراسة الظاهرة فغدا بذلك أنموذجاً يتكأ عليه في دراسة وتحليل أساليب الحذف.

ولنا فما يلي وقفة متأنية مع أساليب الحذف التي وردت في القرآن الكريم، محاولين كشف أسرارها وسبر أغوارها وكنه أغراضها ومقاصدها التي يرمي إليها عبر تحويله الكلام من الأصل إلى أحد الفروع اللغوية الاستعمالية، وسنبدأ بحذف الحرف في الذكر الحكيم ثم حذف المفرد فحذف شبه الجملة وصولا إلى حذف التركب بأكمله.

المطلب الأول: حذف الجملة:

01 ـ حذف الجملة:

ورد حذف الجملة في القرآن الكريم بأصنافه المتعددة في العديد من المواطن في الذكر الحكيم نذكر منها:قوله عز وجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ سورة الزمر الآية:73 حذفت جملة جواب الشرط في الآية الكريمة، وذلك كي تبقى صورة الجنة في متخيل السامع فيدلَّ عليها الحذف ويبقى العقل يتصور حال الجنة والتي تفتح أبوابها على المتقين، قال الرماني في هذا الحذف:

[1] _ المصدر السابق، ص157.

[2] _ المصدر السابق، ص 157.

"في مثل هذا أبلغ من الذّكر، لأنَّ النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان"[1] والسامع على علم تام بحال الجنة التي تكمن ملاحتها في عدم معرفتها وهو بذلك يدرك المحذوف والغرض منه.

حذف جملة جواب الشرط:

قال الله تعالى في هذا النوع من الحذف:﴿ لَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ﴾سورة سبأ الآية31 ضيق المقام في الآية الكريمة أدى إلى حذف جواب لولا في التركيب كما أنَّه حذف "للتهويل وهو حذف شائع. وتقديره : لرأيت أمراً عجباً."[2]

وقال الله تعالى في نفس النسق:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ سورة الأنعام الآية 27 حذفت الجملة في التركيب ولعلَّ السر وراء هذا العدول كما قال أبو السعود: "ثقةً بظهوره وإيذاناً بقصور العبارة عن تفصيله. وكذا مفعولُ "ترى" لدِلالة ما في حيِّز الظرْفِ عليه. أي: لو تراهم حين يوقَفون على النار حتى يعاينوها لرأيتَ ما لا يسعه التعبير، وصيغةُ الماضي للدَلالة على التحقق أو حين يطّلعون عليها اطّلاعاً وهي تحتَهم أو يدخُلونها فيعرِفون مقدارَ عذابها، من قولهم: وقفتُه على كذا إذا فهَّمتُه وعرَّفته"[3]. فالحذف هنا يدعو إلى التفكير لأن التعبير يقف عاجزا أمام المشهد.

وقال عز وجل: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ سورة النعام، الآية: 93. حذف جملة الشرط يومئ إلى الاحتمالات التي تتبادر إلى الفكر.

[1] _ النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص77.

[2] _التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 22ج، ص203.

[3] _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ج:02ص190.

وفي قوله تعالى:﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾سورة الصافات الآية 103 هو محذوف تقديره: فلمّا أسلما وتلّه للجبين و ناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا[1] قال الزكشي في نكتة العدول:"قالوا وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطب به، وإنمَّا يحذف لقصد المبالغة، لأنَّ السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرَّح به فلا يكون له ذلك الوقع. ومن ثَمَّ لا يحسن تقدير الجواب مخصوصا إلا بعد العلم بالسياق"[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ سورة فصلت، الآية: 41. حذف الخبر في الآية الكريمة ليَتَصور الكفَّار كل أنواع العذاب التي قد تخطر على بال بشر حيث تختلف درجة التخيل بين الشخص والآخر فكل يتخيل العذاب على الشاكلة التي يكون فيها إيلامه أكثر وقال الطاهر بن عاشور: "وخبر "إنّ" محذوف دلَّ عليه سياق الكلام. والأحسن أنْ يكون تقديره بما تدل عليه جملةُ الحال من جلالة الذكر ونفاسته، فيكون التقدير: خسروا الدنيا والآخرة، أو سفهوا أنفسهم أو نحو ذلك مما تذهب إليه نفس السامع البليغ، ففي هذا الحذف توفير للمعاني وإيجاز في اللفظ يقوم مقام عدة جمل"[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ سورة الحج،الآية: 25. حُذف خبر إنَّ ما بعده عليه لأنَّ جزاء الكفر قال الزمخشري مفسرا سر هذا العدول: "وخبر إنَّ محذوف لدلالة جواب الشرط عليه، تقديره: إنَّ الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج03، ص307.

[2] _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج03ص 218.

[3] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 24، ص307.

02ـ حذف شبه الجملة:

تحذف شبه الجملة كذلك في التركيب وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ سورة الحج الآية 48 أي: ثم أخذتها بالعذاب وذلك لدلالة الكلام السابق عليه في قوله:﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾سورة الحج الآية 47"[1]. وقال الشاعر جعفر بن عبلة الحارث في هذا:

أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ[2]

"أراد: ألمّت بنا فحيتنا، ثم قامت عنّا فودعتنا، فلما تولت عنّا كادت النفس منّا تزهق. قال حذاق الكلام: إنَّه أجمع بيت للمعاني عند العرب"[3].

المطلب الثاني: حذف المفرد

1 ـ حذف المبتدأ (المسند إليه) :

يشكل المبتدأ الركن الأساسي في الجملة الاسمية " فهو الركن الأعظم، لأنه عبارة عن الذات والمسند كالوصف له، والذات أقوى في الثبوت من الوصف، وإذا كانت الإفادة تفتقر إليهما معا، فإنّ افتقارها وحاجتها إلى الدّال منهما على الذات الثابتة أشدّ في الحاجة عند قصد الإفادة من الدال على الوصف العارض"[4]. ويعدل عن الأصل المفترض لدواع بلاغية سعيا لتحقيق الخفة والإيجاز مع

[1] ـ ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1988، ج03،ص 433.

[2] ـ شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي،تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط :01، 1412هـ - 1992م،ص42.

[3] ـ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة،محمد بن علي الجرجاني، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 1997، ص132.

[4] ـ علم المعاني،البيان، البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ،دط،دت،ص11.

حضور قرينة نحوية دالة على المحذوف منه حيث يكتفى بالملفوظ من الكلام الذي يمثل "جلّ مقصود العرب، وعليه مبنى أكثر كلامهم."[1] ويقع ذلك في العديد من المواضع في القرآن الكريم

أ ـ بعد القول وما يقوم مقامه:

. و قد وضع الفراء للمحذوف المقدر قاعدة عامة وهي:"كل ما رأيته بعد القول مرفوعا ولا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم"[2]. مثال ذلك قوله سبحانه و تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ سورةالبقرة، الآية: 58. حطة خبر لمبتدأ محذوف تقديره :"سؤالنا" وحطة فعله من الحط كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف أي: مسألتنا حطة أو أمرك حطة "ويرى الزمخشري أنَّ المزية والحسن كامنيين في نصبها والمزية في رفعها على أنها خبر في أن الجملة الاسمية تكسب الكلام قوة ووقعا وثباتا أكثر من الفعلية التي لا توحي بالثبات[3].

ب – بعد الفاء جواب الاستفهام:

ذلك أنَّ المخبر عنه بعد الفاء هو الذي سئل عنه."إذا تقدم من ذكره ما يفهمه السامع."[4]فيحذف ولا يتكرر ذكره لمعرفة السامع به وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ سورة القارعة الآية:08،09،10،11

أي: هي نار حامية.

[1] _ الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي،تح: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط03، دت، ج01،ص38.

[2] _ معاني القرآن، الفراء، ج01،ص296.

[3] _ ينظر:الكشاف، الزمخشري، ج 1، ص 144.

[4] _ المقتضب المبرد، ج: 04، ص129.

ج- في جواب الشرط المقترن بالفاء:

يعدل عن ذكر المبتدإ بعد فاء جواب الشرط لدلالة السابق عليه ومنه قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ سورة البقرة الآية 283 "أي فالذي يُستوثق به أو فعليكم أو فليؤخَذ أو فالمشروعُ رهانٌ مقبوضة."[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سورة فصلت 46 أي: فعمله لنفسه.وإساءته عليها.

وقال تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سورةالبقرة، الآية : 178. حذف المبتدأ بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط وتقدير المحذوف "فليكن اتباع أو فالامر اتباع "[2] وحذف لأهمية المسند والتركيز عليه باعتباره أحد الأحكام الشرعية. هذا ما أدى إلى بتر المخبر عنه من التركيب لعلم المخاطب به.

وحَذْفُ المبتدأ في الآية أكسبها نوعا من الخفة والرشاقة في طرح الخبر مما جعله بارزا في التركيب وهو المراد من وراء هذا العدول.

د- اقتصار الخبر على المبتدإ حقيقة أو ادّعاء:

يحذف المبتدأ من الجملة إذا كان الخبر لا ينصرف إلاّ إلى معلوم لتفرّده به نحو قوله جلّ جلاله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ سورة الرعد: 09. "عالم" خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو عالم" ففي الآية عرض إلى انتهاء علم الغيبيات لله سبحانه فتعظيم شأن القدرة الإلهية في علم الغيب والشهادة أدت إلى حذف المسند إليه والتركيز على ذكر المسند لتعظيم الإله وبالتالي ترسيخ وتقوية الإيمان في نفس المخاطب.

[1] _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ج01، ص420.

[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 215.

الخبر منوط بالمبتدأ فلا يتوهم انشغال الذهن بغيره "في هذا الحذف إشارة إلى الوحدانية والجلال."[1] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ سورة غافر 24.23. المبتدأ محذوف في تركيب الآية تقديره: هذا ساحر، الكلام مقتصر على موسى عليه السلام ومعلوم أنَّ الخبر خاص به هو لا بأحدٍ غيرِه، فلا طائل من ذكره فحذف لدلالة الكلام عليه، لأنّ الحديث كان خاصّا بموسى عليه السلام وفي ذلك "إشارة إلى استخفافهم وقلّة اعتدادهم"[2] وفي النسق ذاته قال الشاعر ربيعة بن مقروم الضبّي:

شَمَّاءُ وَاضِحَةُ المِعَارِضِ طِفْلَةٌ كَالبَدْرِ مِنْ خِلَلِ السَّحَابِ المُنْجَلِي[3]

بالغ الشاعر في الوصف حتى يظن السامع للبيت أن الجميع يتفقون على هذه المواصفات التي خص بها ممدوحته.

هـ – المجاملة واللطف في الكلام:

يحقق حذف المبتدأ في التركيب اللطف الذي يعكس مدى تأدب المتكلم وحسن تعامله مع الآخر ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ سورة الذاريات، الآية25. تلطف سيدنا إبراهيم _عليه السلام_ أثناء تكلمه مع القوم لما لم يتعرف عليهم. فصور لنا الحذف مدى تأدب الأنبياء والرسل أثناء تعاطيهم مع الغرباء ومراعاة مشاعرهم. وقدّر السمين الحلبي المحذوف فقال: "هؤلاء قوم أو هم قوم. وتكون مقالته هذه مع أهل بيته وخاصته، لا لنفس الضيف، لأنّ ذلك يوحشهم"[4].

[1] _ خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص175.

[2] _ المرجع السابق، ص175.

[3] _ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط04، 1997. ج08، ص438.

[4] _ الدرّ المصون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح:أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،ج10، ص51

و– دلالة صفة المذكور على المحذوف:

يحفل النظم القرآني بحذف المبتدأ للوصول إلى دلالات التوبيخ والاستهجان فتدل الصفات على المحذوف ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ سورة البقرة الآية: 18.صم خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هم" و بكم خبر ثان له وعمي خبر ثالث. حيث حذف المبتدأ صيانة للسان لأنَّ غيابه في الآية لابد منه لأن الآية جاءت للتمثيل للذين اشتروا الضلالة بالهدى،فذهب الله بنورهم ولما أبوا الإنصات إلى الحق والنطق به أصبحوا كالذي يستأصل منه الإحساس والإدراك. كقول الشاعر:

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خَيراً ذُكِرتُ به وإنْ ذُكرتُ بسوءٍ عِنْدَهم أَذِنُوا

فعدل عن ذكر المبتدأ في بداية الآية لوضوحه وعلم المخاطب به. كما أنَّه ورد على شكل تشبيه بليغ في الآية مما يوحي إلى عدم الاهتمام بذكرهم احتقارا وتصغيرا لشأنهم[1] ففي حذف الخبر تصغيراً من شأنهم وتوبيخا لهم "وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفاً بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عُرِف للسامع فيقولون : فلان أو فتىً أو رجلٌ أو نحو ذلك على تقدير هو فلان"[2].

زـ تعجيل إلقاء الخبر:.

يضيق المقام عن ذكر المبتدأ في كثير من الأحيان، فيحذف إما لتحقيق السرعة في إلقاء الخبر إما لتصوير السخط الإلهي على المحذوف، أو إلقاء الخبر على عجالة لتبيين حال المرضي عنهم من الأتقياء و من ذلك قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾سورة التوبة، الآية: 01. حذف المخبر عنه المقدر بـ : "هي براءة " لأنها أُنزلت في مقام فضح المنافقين وغضب إلهي شديد فتبرأ الله والمؤمنين من المشركين المنافقين ما دعا إلى اختصار الكلام وحذف

[1] ـ ينظر: النظم القرآني في سورة البقرة، حسين الدراويش، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1986، ص 90.

[2] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص313.

المبتدأ والتركيز على الخبر لتحقيق السرعة في إلقائه، فمضمون السورة يعبر في مجمله عن العذاب والغضب الإلهي [1] وقال الشاعر:

قال لي كيف أنت ؟ قلت عليل سَهَرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طويل

أي: "أنا عليل" وفي هذا الحذف " تفجير لألمه الذي يكتمه، وسرعان ما وجد متنفسا في بيان علته التي امحت أمامها ذاته"[2] فالسرعة المتوخاة من طرف الشاعر أدت به إلى قذف الخبر دون مبتدأ.

وقال عز وجل في آية: ﴿أخرى:ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة يونس 63.الآية مكملة للآية التي قبلها في السورة والتي بينت حال أولياء الله بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيتبادر حينئذ سؤال ذهني بديهي من هم أولياء الله فتجيب الآية عن التساؤل : الذين آمنوا ثم يتبادر سؤال آخر وكيف هم الذين آمنوا حتى يختصوا بالولاية فتظهر الآية الكريمة حالهم وصفتهم على أنهم كانوا يتقون . فحذف المبتدأ في هذا الموضع فيه تحقيق للسرعة في إيراد صفة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [3].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾سورة البقرة، الآية :68 .فعوانٌ وردت نعت لبقرة مرفوع بالضمة وبقرة مسند إليه محذوف في الآية حذف مراعاة للاختصار، ولأن المسند إليه معروف لدى المخاطب فلا داعي لإظهاره. والغرض من الحذف التعجيل في رصد الخبر والصفات الخاصة بالبقرة

[1] _ المصدر السابق، ج2 ، ص 137

[2] _ فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط02، دت، ص81

[3] _ ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج 01، ص 172.

ح _الاحتراز من العبث بترك ما لا ضرورة لذكره.

وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾سورةالبقرة، الآية: 147. "الحق" خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" أي: " هو الحق " " فإن قلت : إذا جعلت الحق خبراً لمبتدإٍ فما محل من ربك قلت: يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا "[1].

ونستشعر الغرض من الحذف من فحوى الآيات السابقة لأنَّ كل ما ذكر فيها هو من الله سبحانه فكان هو الحق. فمن يأتيهم الكتاب ويعرفونه ومنهم فريق يكتمون الحق. فخصص الحق للكتاب و الذي هو عليه _النبي محمد صلى الله عليه وسلم_ والحق الذي يكتمونه. فالتركيز على الحق جعل السياق في غنى عن ذكر الكتاب، أو ضميره لتمام علم المخاطب به.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 4 حذف المسند إليه في الآية الكريمة وتقديره "هو هدى للمتقين " وسد الخبر مسده فهدى "خبر ثان أو ثالث للمبتدأ ذلك مرفوع بالضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر لأنَّه اسم منقوص أو حال للكتاب منصوب بالفتحة المقدرة، أو أنَّه خبر لمبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه [2]. وورد الحذف في التركيب للتعريف بالكتاب المنزل ف " ألم جملة برأسها ... وذلك الكتاب جملة ثانية ، ولا ريب فيه ثالثة ، وهدى للمتقين رابعة ... فجيء بها متناسقة ... وذلك لمجيئها متآخية بعضها بعنق بعض"[3]. حذف المبتدأ تفاديا للسآمة والضجر لأن المحذوف ماثل و واضح أمام الفكر.

ونلمس أسلوب الحذف في الآية لاحقتها ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾سورة البقرة، الآية:03. تركيب الآية منسق مع الآية السابقة لها، فالمنافقون هم الذين وقعت عليهم الهِداية وهم الذين يؤمنون بالغيب فحذْف المبتدأ (هم) وتقدير التركيب "هم

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 201.

[2] _ ينظر:إعراب القرآن الكريم، محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس، بيروت ،ط05، 2011،ص 02 . وينظر:الكشاف، الزمخشري،ج 1، ص50.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، ص 50.

الذين يؤمنون بالغيب " وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى، فإذا كان موصولاً كان الوقف على المتقين حسن غير تام " [1].

وقال الحق تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ سورة البقرة، الآية:117.بديع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: "هو بديع السموات والأرض". وسياق الكلام في الآية في غنى عن ذكر المسند إليه بل ويُتطلب حذفه تفاديا للتكرار المخل.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ سورةالبقرة، الآية: 154. "أموات" خبر لمبتدإ محذوف تقديره "هم" وكذلك حذف المسند إليه في بل أحياء تقديره "بل هم أحياء". فحذف المبتدآن في الآية الكريمة لعلم الخاطب بهما، لأنَّ الكلام قبلهما يدل عليهم "الذين قتلوا " وبل الإضرابية ما يرد بها يتمم ما قبلها [2] إضافة إلى قوة الاهتمام بالخبر: أموات وأحياء الذي جاء لتصحيح ما كان يعتقد في الشهداء، فأضرب عن المعتقد وركز عن حالهم الحقيقي دون ذكر المبتدأ لأنَّه معلوم ولا طائل من ذكره.

ط ـ التخصيص:

يحذف المبتدأ لتخصيص الخبر المذكور ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ سورةالبقرة ،الآية:185. تقدير الحذف في الآية "هو شهر رمضان " فسد الخبر مسد المبتدأ ووجب حذفه لأنَّ ذكره لايزيد في المعنى شيئًا بل يشينه كما أنَّ ذكره فيه تخصيص لشهر واحد فقط أما حذفه فإطلاق على عموم الشهر و"حذف المسند إليه جار على طريقة الاستعمال في المسند إليه إذا تقدم من الكلام ما فيه تفصيل وتبيين لأحوال المسند إليه فهم يحذفون ضميره "[3].

[1] ـ المصدر السابق، ج1، ص 50 .

[2] ـ ينظر : المصدر السابق،ج1، ص153.

[3] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2، ص 169.

وحذِف المسند إليه "هو" في نفس الآية أي: "هو هدى للناس". فورد الابتداء بهدى لبيان عظمة فضل شهر رمضان دون الأشهر الأخرى.

ي ـ جلب الانتباه:

يحذف المبتدأ في التركيب لجلب انتباه المتلقي وسمعه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ سورة البقرة،الآية: 116. حذف المسند إليه في التركيب لأنَّ الآية في مقام تنزيه لله من الذين افتروا على الله أنه قد اتخذ ولدا فأبطلت الآية ذلك الادعاء، وعدل عن ذكر المبتدأ لجلب انتباه السامع إلى الخبر وما بعده " بل له ما في السموات وما في الأرض" أي: هو الخالق والمالك لكل ما في الكون وكلهم له قانتون تابعون لمشيئته[1].

ك ـ إحداث عنصر المفاجأة:

يحذف المبتدأ في التركيب لإحداث عنصر المفاجأة التي لم يتوقعها السامع وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ سورةغافر، الآية : 45 46. حذف المبتدأ في الآية لبيان نوع العذاب المسلط على آل فرعون، فعدل عن ذكره لإحداث عنصر المفاجأة لإشعار السامع بقوة عذاب الله بهدف التنبيه والتحذير، حيث يقول الزمخشري: " أنَّ في هذا الوجه تعظيما للنار وتهويلا من عذابها "[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ سورة الواقعة الآية: 1،2،3. وقع الحذف المقدر بـ: خافضة رافعة للمفاجأة التي يحدثها قيام الساعة دون مقدمات فجاء الخبر في التركيب في حالة الابتداء تماما كحالها الحقيقي، إضافة إلى ضرورة تركيز الذهن في حال يوم القيامة و أهوالها "يرتفع فيها الناس إلى مراتب ويتضع ناس وإما لأن الأشقياء

[1] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 180.
[2] ـ المصدر السابق، ج4، ص 115.

يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى درجات ، وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا"[1].

فهذه الحالة المريبة والمهولة التي يكون عليها الناس يوم الواقعة عجلت في رصدها مستغنية في ذلك عن المبتدأ في التركيب.

2 ــ حذف الخبر:

مثل الخبر الركن الأساس في التركيب لأنَّه يخبر عن المبتدأ فتحصل بذلك الفائدة من الكلام وهو" الجزء المستفاد الذي يستفيده السامع، ويصير مع المبتدإ كلاما تامّا والذي يدلّ على ذلك أنه به يقع التصديق والتكذيب."[2]والأصل في الخبر الذكر لفظا، وقد يعدل لدواع فيقدر المحذوف مع حضور القرائن الحالية أو المقالية الدالة عليه، والعدول إلى الفرع إنما يكون لدواع بلاغية يفرضها المقام بالدرجة الأولى، وقد حفل النظم القرآني بظاهرة الحذف لما تحمله من زخم في المعاني تتفق في الإيجاز وإثارة حس السامع، ورعاية الفاصلة وجملة من الغايات الأخرى نوجزها فيما يلي:

أ ـ تخفيف الكلام وإيجازه:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ سورةالبقرة، الآية: 64. حذف الخبر في الآية الكريمة لدخول لولا التركيب وتقدير الخبر المحذوف:" لولا فضل الله عليكم ورحمته موجودان". وذلك لغنى المعنى عنه فتركيب الآية يدل عليه فـ"لولا" في التركيب تغني عن الخبر " فاتزان طرفي الآية الذين يشكلان طرفي المعادلة يفرضان حدوث الفضل والرحمة بالوجود، أي: أنَّ وجودهما هو الذي أحدث اتزان الطرفين وإلا اختلا "[3] فذلك التوازن المتولد عن فضل الله ورحمته وتوفيقه إلى توبتهم ببعث محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهم والذي خلقته لولا بدخولها التركيب لبقوا من الخاسرين المتخبطين في ضلالهم ومعاصيهم.[4]

---

[1] ــ المصدر السابق، ج04، ص390.

[2] ــ شرح المفصّل ابن يعيش ص01، ص169.

[3] ــبلاغة الحذف في التراكيب القرآنية حسين مصطفى غوانمة، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 70.

[4] ــ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص 186.

وفي قوله عز وجل: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سورةالبقرة،الآية: 140. "الله" مبتدأ لخبر محذوف في الآية يفسره الخبر الوارد قبله لأنَّ المبتدأ "الله" معطوف على الجملة التي قبله " أأنتم أعلم " تقديره " أم الله أعلم" . السامع للآية يعي تمام الوعي الخبر المحذوف، ويقدره في ذهنه تلقائيا بعد علمه لخبر المبتدأ الأول في الآية وبالتالي فإنَّ التركيب هاهنا في غنى عن ذكر المحذوف لعلم المخاطب به " إذ الخبر مدرك تماماً لأنَّ إدراك المتلقي قادر على تتبع الأخبار في الذهن"[1]. فالحذف هنا لا يؤثر في معنى الأية بل يزيد التركيب إيجازاً و هو نظم حسن من روائع النظم القرآني.

كما أن في هذا الحذف نكتة بلاغية أخرى نلمسها من خلال التأمل في تركيب الآية وذلك أنَّ التركيب الاستفهامي يحمل نوعا من الموازنة بين علم البشر وعلمه عز وجل فعلم البشر محكوم بحدود[2] أما علم الله عز وجل مطلق ففي حذف الخبر دلالة على استحالة مقارنة أو مقاربة علم البشر بعلم الخالق.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ القرة 163. حذف خبر لا النافية للجنس في الآية الكريمة وتقديره "لا إله كائن أو موجود" حيث يحذف خبرها في كل المواضع تقريبا لأنَّه يكون لفظ كون مطلق لأنَّ لا النافية للجنس يقصد بها في الأغلب نفي وجود ما دخلت عليه وهذا ما ذهب إليه الزركشي إذ قال: "الخبر محذوف وقدره النحاة بموجود ... إذ إن التقدير "في الوجود" يستلزم نفي كل إله غير الله مطلقا، فإن العدم لا كلام فيه، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة، ثم لا بد من تقدير خبر لاشتماله مبتدأ بلا خبر، ظاهرا أو مقيدا، وإنما يقدر النحوي ليعطي القواعد حقها"[3]. وفي هذا النفي الذي حذف فيه الخبر تقرير لوحدانية الله وإبعاد للذهن بأنَّ يتوهم أنَّ في الوجود إله وهو لا يستحق منهم عبادتهم.[4]

[1] _ بلاغة الحذف في التراكيب القرآنية، حسين مصطفى غوانمة، ص 71.

[2] _ ينظر: المرجع السابق، ص 71.

[3] _ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج03، ص 132.

[4] _ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج01، ص 116.

وقال تبارك تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾سورة البقرة، الآية: 193.في الآية الكريمة خبر محذوف تقديره " فلا عدوان كائن أو موجود". حيث نفت لا النافية للجنس وجود العدوان وهو نهي من الله عز وجل أي: " فلا تعدوا على المنتهين، لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ، فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين، أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين"[1].

وفي قوله تعالى:﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾263.حذف خبر "قول معروف" في الآية الكريمة لأنَّه معطوف على مبتدأ وخبره وحذف الخبر في التركيب للإيجاز لأنَّه نفس خبر الجملة المعطوفة عليها، والقول المعروف هو الرد الجميل أما المغفرة فهي"العفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول، أو نيل من الله بسبب الرد الجميل"[2].

وجعل خبر القول المعروف والمغفرة واحد لأنَّ الله تجاوز"عن الذنوب بسبب تلك الصدقة إذ كان معها قول معروف وفي هذا تعريض بأنَّ الأذى يوشك أن يبطل ثواب الصدقة "[3]، ففي حذف خبر الجملة الأولى توحيد له مع خبر "مغفرة" في الجملة الثانية، ليكون القول المعروف والمغفرة شرطين لقبول الصدقة وحصول الثواب.

قال عز وجل في آية أخرى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ سورةالتوبة، الآية: 62.حذف الخبر في الآية الكريمة والمقدر بـ "و الله أحق أنْ يرضوه رسوله كذلك"وقال بن عطية " وقوله الله مذهب سيبويه أنهما جملتان حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده" والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه وهذا لقول الشاعر:

نحنُ بمَا عندنا وأنت بما عند ك راضٍ والرَّأيُ مختلفُ "[4]

[1] _ الكشاف،الزمخشري، ج01، ص 229.

[2] _ الكشاف، الزمخشري،ج01، ص 291.

[3] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج03، ص 47.

[4] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج03، ص53.

وفي تخريج الآية قال الزمخشري:" إنما وحّد الضمير لأنَّه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانا في حكم مرضيّ واحد، كقولك : إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني. أو والله أحقّ أن يرضوه، ورسوله كذلك"[1].

ومثل علماء البلاغة على ذلك بقول ضابىء بن الحارث :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقيَّارٌ بهَا لَغَرِيبُ[2]

توحَّد الخبر في تركيب البيت وفي هذا العدول دلالة على اكتفاء الشاعر بخبر واحد بعد أنْ أدخل "قيار" في التركيب بين الجملتين. ويقول سعد الدين التفتازاني في هذه النكتة البلاغية: "إنَّه لو قيل: إنِّي لغريب وقيار لجاز أنْ يتوهّم أنَّ له مزية على قيّار في التأثّر بالغربة لأنَّ ثبوت الحكم أولا أقوى فقدمه ليتأتى الإخبار عنهما دفعة بحسب الظاهر تنبيها على أنَّ قيارا مع أنّه ليس من ذوي العقول قد ساوى العقلاء في استحقاقه الإخبار عنه بالاغتراب قصدا إلى التحسّر"[3].

ومن هذا النسق في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة التوبة:﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ سورة التوبة،الآية 01. "رسوله" مبتدأ خبره محذوف والتقدير: ورسوله بريء كذلك.

ومما حذف في القرآن الكريم تحقيقا لعنصر الاختصار نذكر قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ سورة ق،الآية:30. الخبر محذوف في الآية الكريمة مقدر ب " هل من مزيد هناك" وفي العدول عن الأصل لإيحاء لمدى تعطش جهنم، وعدم اكتفاءها بمن فيها لدرجة أنها تطلب المزيد بطريقة استفهامية موجزة لترهيب السامع حين يعلم أن جهنم تسأل بنفسها عن

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص160.

[2] _ النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط01، 1401هـ - 1981م.ص182.

[3] _ المطوّل، مسعود بن عمر التفتازاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2007. ج01، ص302.

المزيد" استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا لزيادة غيظا على العصاة"[1]

ونلمس نفس العدول في آية أخرى في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ سورة ق، الآية: 36. وتقدير المحذوف "هل من محيص لهم" فورد التركيب على طريقة الاستفهام لمراعاة الفاصلة تماشيا مع "هل من مزيد".

وحذف الخبر في الآية لتحقيق الإيجاز الذي يأخذ السامع مباشرة لتخيل المشهد فيصور له مدى فزع هؤلاء وقلقهم وحاجتهم الملحة إلى المحيص و ورود التركيب على هذه الشاكلة يحمل نوعا من التوكيد و"التوقيف والتقرير أي: لا محيص"[2] ومن ذلك قوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ سورة القمر، الآية: 17.ورد تركيب الآية بصيغة الاستفهام والعدول عن ذكر الخبر لرعاية الفاصلة التي اقتضتها السورة "وانشق القمر، سحر مستمر، شيء نكر ... إلخ". وتقدير محذوف الخبر "هل من مدكر منهم". فحذف الخبر ليقصد كل سامع للآية عبر كل زمان ومكان لتذكيرهم ووعظهم والاستفهام للترغيب في أخذ العبرة أي: فهل من "معتبر بتلك آية الحقيقية بالاعتبار"[3] والترهيب في الوقت نفسه الذي يصيب النفس عند قراءة هذا التركيب.

وقال عز وجل في آية أخرى:﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ هود 105. في الآية الكريمة خبر محذوف تقديره "ومنهم سعيد". وعلة العدول بالحذف هو دلالة الخبر الأول عليه والتركيب في هذه الآية غني عن ذكر المحذوف وفي ذلك تحقيق للإيجاز في الكلام. ويقول صاحب الكشاف: " ولم يذكروا لأن ذلك معلوم، والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة يوسف الآية: 75.حذف الخبر في الآية الكريمة والمحذوف تقديره "جزاؤه بين وواضح" والآية

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 330.
[2] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج05، ص 167.
[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05، ص 236.
[4] _ الكشاف، الزمخشري، ج 02، ص 289.

تحكي عن إخوة يوسف الذين جاؤوا إلى مصر طلبا للحنطة وتلقوا استقبالا حارا وإكراما من أخيهم النبي يوسف _عليه السلام_ حيث فوجئوا في طريق عودتهم بضياع سقاية الملك " وهم متهمون بسرقتها ولهم أبٌ شيخٌ _ النبي يعقوب عليه السلام_ ينتظر عودة ابنه بنيامين الذي ائتمنهم عليه بفارغ الصبر ولنا أن نتصور موقف هؤلاء من الحادثة. [1]

إجابتهم تحمل نوعا من الصدمة والحماسة مما استلزم أنْ تكون مركزة، ما دعا إلى ضرورة حذف الخبر ليتصور القارئ أو السامع الحدث وكأنه يراه. ثم إنَّ حالة القلق التي كانت تنتاب هؤلاء كانت تتطلب بالضرورة إجابةً سريعة ومختصرة لرد التهمة عن أنفسهم.[2]

ب ـ الإقرار والتوكيد:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ سورة العنكبوت،الآية: 61. الخبر في الآية الكريمة محذوف تقديره " الله خلقهن" وذلك تعظيما لاسمه عزَّ وجل وكأنَّ ورود المبتدإ دون خبر فيه إيحاء أنَّ الخبر معلوم بمجرد ذكر اسمه عز وجل ولا داعي لذكره.

وفي حذف الخبر إقرارُ توكيد وإقرارٌ للسائلين بأنَّه خالق السموات والأرض ويقول صاحب الكشاف "كيف يصرفون عن توحيد الله وألاَّ يشركوا به مع إقرارهم بأنَّه خالقُ السموات والأرض قدر الرزق وقتره"[3]

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورةالحج، الآية: 25. خبر إنَّ في الآية الكريمة محذوف ويرى البيضاوي أنَّ الخبر دلَّ عليه آخر الآية وهو مقدر بـ: "معذبون"[4]. وفي حذف الخبر تركيز على استمرار الصد لا على المعذبون وكأن الآية رسالة موجهة

[1] _ ينظر: الحذف بين البلاغيين والنحويين، حيدر حسين عبيد، دار الكتب العلمية، لبنان،ط01، 2013، ص110.

[2] _ ينظر: المصدر السابق، ص 111.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج03،ص 410.

[4] _ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج04، ص 69.

إلى كل من صدَّ عن سبيل الله ليكونوا عبرة للكل ويقول البيضاوي في تفسير الآية: يريد به استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي"[1].

وقال تبارك وتعالى في آية أخرى:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة هود،الآية: 17.حذف خبر " من" في الآية الكريمة والمقدر ب" كمن ليس كذلك" أو " أفمن كان على هذه الأشياء"[2] و" حذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة كثير نحو: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴿٨﴾﴾ فاطر 08 ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا﴿٩﴾ ﴾ الزمر 09 "[3] وأريد بالاستفهام والحذف في التركيب التقرير والتوكيد حيث "يريد أنَّ يبين أنَّ بين الفريقين تفاوتا والمراد من آمن من اليهود ... وهذا قاعدته من تقديره معطوفا بين همزة الاستفهام وحرف العطف وهو مبتدأ أيضا والخبر محذوف كما تقدم تقريره "[4] .

وهو رأي الزمخشري كذلك حيث قال: "معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ، ولا يقاربونهم ؟ يريد أن بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره. وكان على بينة"[5].والحال غنية عن ذكر المحذوف في الآية.

وقال الله تعالى في نفس النسق: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورةالزمر، الآية: 22، حذف الخبر في الآية الكريمة وتخريج الآية حسب مقتضى الظاهر كالآتي:" أفمن شرح الله صدره للإسلام كالقاسي أو المعرض " وقد دل على المحذوف آخر الآية " فويل للقاسية قلوبهم" والآية جارية مجرى التعليل لما قبله و "الهمزة الإنكار داخلة على محذوف على أحد القولين المارين آنفا والفاء للعطف

[1] _ أنوار التنزيل، البيضاوي ،ج04، ص 69.

[2] _ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج10 ص 456.

[3] _ المصدر السابق، ج10، ص 456.

[4] _ المصدر السابق، ج10، ص 456.

[5] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 253.

على ذلك المحذوف وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله تعالى صدره وخلقه مستعدا للإسلام فبقي على الفطرة الأصلية ولم تتغير بالعوارض المكتسبة القادح فيها"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ سورة الرعد،الآية: 35. "مثل" مبتدأ خبره محذوف دلَّ عليه ما بعده أي: "صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل"[2]، والتركيب في غنى تام عن ذكره وفي الآية حذف آخر وهو حذف خبر "أكلها" المقدر بـ " كذلك أو دائم" الذي دلَّ عليه الخبر الذي قبله "دائم" وفي حذف الخبر تقرير وتأكيد لاسمه علاوة عن إيحائه بديمومة ظلها واختلافه عن الظل المعهود، ويقول أبو السعود: "وظلها كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا"[3].

ج ـ التحقير:

ومن مواضع حذف خبر إن في القرآن الكريم تحقيراً واستهزاءً ما جاء في سورة فصلت في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ سورة فصلت،الآية: 41. الخبر المحذوف في الآية وتخريج الآية بما يتماشى مع الأصل "إنَّ الذين كفروا معاندون أو معارضون "والعدول بالحذف هنا إنما لعدم حاجة المقام إليه لأن الآية لا تذكر حالهم أو أخبارهم وإنما تتحدث عنهم فقط .

وفي الحذف تحقير لشأنهم وإيحاء بعدم الاهتمام بخبرهم وأنهم لن يستطيعوا مس الذكر وهو ـالقرآن الكريمـ بسوء بالرغم من طعنهم فيه ومحاولاتهم الفاشلة لتحريفه وتأويله[4].

[1] ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار التراث العربي،بيروت لبنان، دت، دط، ج23، ص 257.

[2] ـ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص229.

[3] ـ المصدر السابق،ج03، ص229.

[4] ـ الكشاف، الزمخشري، ج 04، ص 180.

د ـ التعجب:

يحذف الخبر في التركيب لتصوير منظر الاندهاش والتعجب ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ الصفات 16.17.عدل الله سبحانه وتعالى إلى حذف خبر " آباؤنا" والمقدر بـ" آباؤنا الأولون كذلك أو مبعوثون" فتعجبهم بطريقة استفهامية وكذلك حذف الخبر يعكس مدى تعجب واندهاش الكفار من موضوع البعث وفي الحذف كذلك تصوير للمبالغة في اندهاشهم واستبعادهم للبعث بالسؤال حتى عن آبائهم الأولين الغابرين ويقول الزمخشري في هذا: "وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون، والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام، والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد ؟ يعنون أنهم فبعثهم أبعد وأبطل."[1]

03 ـ حذف الفاعل:

يحذف الفاعل هو الآخر في التركيب فيبنى الفعل للمفعول لتحقيق مقاصد يتوخاها المتكلم لأنَّ:"العرب ينظرون إلى مقصود الإفادة في هذا الباب ونحوه. فإذا كان المقصود نسبة الفعل إلى الفاعل،اقتصروا عليه. فقالوا: فلانٌ يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، والله يحيي ويميت، لأنَّه ليس الغرض ذكر المعطى والممنوع، والموصول والمقطوع، و المحيا والممات، ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الأفعال، وإذا كان الغرض ذكر المفعول لاغير، لم يتعرضوا للفاعل"[2]. ومن الغايات التي يحققها حذف الفاعل في التركيب ورد في القرآن الكريم ما يلي:

أـ المباغتة والإبهام:

من مواطن حذف الفاعل في القرآن الكريم لإحداث المباغتة نذكر قوله تعالى:﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ سورة البقرة، الآية: 61.حذف فاعل الفعل

[1] ـ المصدر السابق، ج 04، ص 37.

[2] ـ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عزالدين بن عبد السلام،تح: رمزي سعد الدين دمشقية،دار النشر الإسلامية، ط01، 1987، ص36.

"ضرب" ولم يسم وذلك ببنائه للمجهول حيث قامت الذلة مقام الفاعل ويقول صاحب الدر المصون "ضربت مبني للمفعول" الذلة" قائم مقام الفاعل ومعنى ضربت أي ألزموها عليهم بها من ضرب القباب قال الفرزدق لجرير:

ضُربت عليك العنكبوتُ بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل[1]

إحاطة الذلة والمسكنة بهم من كل جانب جعلت فاعلها مبهم من طرف اليهود فحذف الفاعل لإحداث عنصر المباغتة المبهم صاحبها

ب ــ السرعة في تنفيذ الحكم:

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ سورة يوسف، الآية: 32. الفعل "ليسجنن" لم يسم فاعله في تركيب الآية الكريمة حيث استعملت امرأة العزيز نونيْ التوكيد لذلك حصل سجنه وهو ما تتيحه صيغة ما لم يسم فاعله وهو ما قال أبو السعود :" النون المثقلة آثرت ببناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك أو إيهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لأمرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل" [2]حيث أنَّ الجميع يمتثل لأوامرها وكأنَّ أمر سجنه يحدث دون فاعل.

كما أنَّ امرأة العزيز وعدت يوسف ــ عليه السلام ــ بالسجن أمام الملأ بمسمع منه [3]إرهابا له بحبسه بمجرد أن تأمر بذلك.

وقال عز وجل: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾ سورة الشعراء، الآية: 38. عدل عن ذكر فاعل الفعل"جمع" ببناء الفعل للمفعول إشارة سرعة الامتثال لأوامر فرعون حيث أنَّ هذه السرعة توحي للسامع أنَّ الفعل حصل دون فاعل كما أنّض "تعدد عامل الجمع لتعدد الغايات

[1] ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دت،دط، ج01 ص 396.

[2] ــ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص 140.

[3] ــ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 12، ص 264.

والنيات عند الناس، فمنهم من حضر للفرجة، ومنهم من قدم لنيل أعطيات فرعون، ومنهم من أراد بيان تمكنه من السحر وراء ذلك كله الله سبحانه وتعالى فهو الذي جمع السحرة ليروا آية سيدنا موسى ... ويكون ذلك بمرآى الناس"[1].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ سورة النمل، الآية: 36. في الآية الكريمة عدول بالحذف فاعل الفعل "جاء" المحذوف مقدرا بـ "الرسول"[2] الذي دل عليه معنى الآية السابقة "فناظرة بما يرجع المرسلون" والحذف يعكس رفض سيدنا سليمان للفعل "حتى كأنه لم ينظر إلى الرسول أو لم يعد له ذكر أمام سيدنا سليمان فكأنه بمجرد أن أتاه الخبر أجاب بسرعة"[3] .

و كما سبقت الإشارة في الآيات السابقة التي حذف فيها الفاعل لتصوير سرعة الامتثال لأوامر الملوك والحكام كذلك في هذه الآية حذف الفاعل لتأدية نفس الغرض على ما يبدو.

ج_الوعيد:

يسقط الفاعل من التركيب لتحقيق غرض الوعيد ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ سورةالحج، الآية: 19.20. لم يسم فاعل كل من الأفعال التالية الواردة في اللآية: "قطعت، يصب، يصهر"، وعُدل إلى الحذف لأنّ المقام استوجب ذلك فهو بصدد بيان جزاء الكفار وما سيصيبهم وليس إثبات فاعل هذه الأفعال. فالكفّار لا يستطعون رؤية فاعل ما سيصيبهم ولا كيفية إعداده وهذا في حد ذاته نوع من العذاب الذي سيلقونه يوم القيامة[4].

[1] _ المصدر السابق، ص 121.

[2] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 290.

[3] _ الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين، ص 126.

[4] _ ينظر: المرجع السابق، ص 120.

د ـ انحصار الدلالة دون الفاعل:

ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿قَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ سورة ص، الآية:32. فاعل الفعل "توارت" محذوف في تركيب الآية الكريمة والمقدر بالشمس التي دل عليه معنى الكلام. والسر وراء هذا العدول في تشبيهها بالمخبأة في الحجاب، فحذف الفعل لتقوية التشبية وقال أبو السعود في ذلك: "واستمر ذلك حتى توارت أي: غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها وإضمارها من غير دلك لدلالة العشي عليها وقيل الضمير الصافنات أي توارت بحجاب الليل أي بظلامه"[1].

هـ ـ علم المخاطب بالمحذوف:

يستغنى عن ذكر الفاعل في التركيب لغنى الكلام عنه ولتمام علم المخاطب بالركن المحذوف ومن ذلك نذكر قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤﴾ سورةالواقعة04 لم يسم فاعل الفعل "رجت" يقول أبو السعود في هذا:"أي زلزلت زلزالا شديدا بحيث يهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض"[2]. وانطلاقا من هذا القول يتضح لنا جليا السر وراء الحذف إذ إنَّ شدة وحدة الزلزال المفاجئ الذي يحل بالأرض لا يستلزم ذكر الفاعل لأنَّ الهدف هو تهويل السامع وليس ذكر الفاعل لأنَّه معلوم.

كما أنَّ في حذف الفاعل في تركيب الآية إيحاء لعنصر المفاجأة والدهشة الذي يترتب عن رج الأرض لدرجة أن عقل المشاهد للأفعال لا يستوعب الحدث العظيم ونلتمس نفس العدول في الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾ سورةالواقعة: 5. وبست تعني تفتت "وصارت مثل السويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت أو سيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها كقوله تعالى:" وسيرت الجبال" "[3] وعليه فإنَّ بس الجبال الذي يكون وقعه شديدا على الحضور دون شك استلزم أنْ يرد التركيب مختصرا لدرجة أنْ لا يولى فيه الفاعل أي اهتمام.

[1] ـ إرشاد العقل السليم،أبو السعود، ج04،ص 579.
[2] ـ المصدر السابق ، ج05،ص255.
[3] ـ المرجع السابق ، ج 05، ص 255، 256.

وكذلك في قوله عز وجل: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ سورةالزلزلة،الاية:01. الفعل "زلزلت" في الآية الكريمة لم يسم فاعله والحذف هنا يحمل سرين اثنين وراء حدوثه :

أولا: لأنَّه معلوم للقارئ أو للسامع وأنَّ الكلام مركز على الحدث بعينه لا على فاعله لأنَّه معلوم ومخصوص بالمشيئة الإلهية ويقول أبو السعود في ذلك" زلزلت أي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا ... والزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الإلهية المشيئة على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد"[1] فالأهم في الآية رصد مدى شدة الزلزال الذي ستتعرض له الأرض حيث قال ذو الإصبع العدواني:

وإذا دُعيتَ إلى المهـــ م فكن لفادحِه حمولا[2]

فلم يسم فاعل الفعل في البيت لأنَّ الشاعر يركز على أمر الدعوة لا على الداعي

ثانيا: البشرية موعودة بهذا الزلزال وهو من علامات قيام الساعة وحدوثه يكون أمرا جيولوجيا طبيعيا يقتضيه فناء الأرض ومن عليها وكأنه يحدث دون فعل فاعل، والألفاظ المختارة لتصوير هول يوم القيامة بالغة الإثارة قوية الوقع إما بعنفها أو وصف أدق تفاصيلها الإعجازية [3] والله أعلم بمراده. والأمر نفسه في الآيات اللاَّحقة لهذه الآية في نفس السورة التي لم يسم فيها فاعل كل من الفعل " تحدث" والفعل "ليروا" في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ ﴾سورة الزلزلة، الآية: 06.05.04

[1] _ المصدر السابق، ج05، ص 564.

[2] _ ديوان ذي الإصبع، تح: عبد الوهاب محمد علي، ومحمد نائف الديلمي، مطبعة الجمهور، الموصل،دط، 1973، ص74.

[3] _ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ط05، 1990، ج01، ص 81.

و- دلالة الكلام على حذف الفاعل المبني فعله للمعلوم:

يحذف الفعل ويبنى العامل للمعلوم وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾سورةالواقعة، الآية: 84.83 فاعل الفعل "بلغت" محذوف في الآية الكريمة ويبدو أنَّه حذف اختصارا لدلالة معنى الكلام عليه والمقدر ب " النفوس أو الروح. [1]

وقال أبو نواس:

رسولي قال: قد قرأوا الكتابا ولكـن ليس يعطون الجـــوابا

فقلت أليس قد قرأوا كتابي ؟ فقال بلى، فقلت: الآن طابا[2]

حيث حذف في الأبيات فاعل الفعل طاب فترك الفاعل مبهما في التركيب لغبطته وابتهاجه وترك تقدير الفاعل مفتوح لتحتمل كل حواس الشاعر[3] أنْ تكون هي المعنية بفعل الفعل طاب، وكذلك الأمر في الآية الكريمة التي ترك فيها الفاعل مبهما ليشمل كل الاحتمالات الواردة لسامع الآية. وقال حاتم الطائي في هذا النسق:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[4]

أي إذا حشرت النفس فإذا جاءت الموت أخذ المحتضر يلمح ويشير وفي هذا الحذف تصوير لشدة ألم سكرات الموت.

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 401.

[2] _ ديوان أبي نواس الحسن بن هاني، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي: دار الكتاب العربي، بيروت،ط01، 1953، ص 288.

[3] _ ينظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، ص 128.

[4] _ ديوان حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1411هـ - 1990م.ص21. وينظر: خزانة الأدب، ج04،ص212.

4 ـ حذف المفعول به:

يحذف المفعول به تماشيا مع نية المتكلم إذا ما أراد إثبات الفعل للفاعل دون غيره ونالت الظاهرة اهتمام عبد القاهر الجرجاني إذ قال: "لأنّ الحاجة إليه أمسّ، وهو بما نحن بصدده أخصّ،واللطائف كأنّ فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[1] وفي حذف المفعول نكت بلاغية ولطائف دقيقة وردت في النص القرآني سنحاول ذكرها أثناء محاولتنا تحليل ظاهرة الحذف في آيات الذكر الحكيم على سبيل العموم لا على سبيل الحصر والتحديد:

أ ـ حذف مفعول الفعل المتعدي إلى مفعول واحد:

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة البقرة،الآية: 17 حذف مفعول الفعل المتعدي "يبصرون" في الآية الكريمة وأُنزل منزلة الفعل اللازم والسر الكامن وراء هذا العدول هو نفي البصر كلياً عنهم بعد أنْ ذهب الله بنورهم بعد كفرهم وهو ما تفسره الظلمات وقال الطاهر بن عاشور في هذا العدول:"ومفعول لا يبصرون محذوف لقصد عموم النفي للمبصرات فنزل الفعل منزلة اللازم ولا يقدر له مفعول كأنَّه قيل لا إحساس بصرهم كقول البحتري:

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر وسمع واع[2]

ومنه قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة البقرة،الآية: 21. في الآية الكريمة عدول إلى حذف مفعول الفعل"تتقون" والملاحظ أنَّ الآية بدأت بلعل التي تفيد الترجي وهو مالا يليق به عز وجل حيث قال الزمخشري: "لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم، لأنَّ الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة ...خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف"[3]. وعليه فإنَّ ذكر المفعول في الآية غير لائق به عز وجل ولعل واقعة في الآية الكريمة للمجاز ليضعهم في صورة المرجو منهم أنْ يتقوا والله أعلم بمراده.

[1] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص118 .

[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 312.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 99.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ سورة البقرة،الآية: 24. حذف مفعول "لم تفعلوا" و"لن تفعلوا " في الآية الكريمة وعدل الله سبحانه وتعالى عن فعل الإتيان إلى الفعل بحد ذاته لتحقيق الاختصار والإيجاز فلو قال: فإنْ لم تأتوا " لاستلزم الأمر أنْ يفصل في الشرح فيقول بصورة من مثله ولن تأتوا بصورة من مثله لجأ إلى الفعل "تفعلوا" الذي يغنيه عن الشرح.

وقال الزمخشري في هذا: "فإن قلت لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة من تركه إليه؟ قلت: لأنَّه فعل من الأفعال تقول أتيت فلانا، فيقال لك: نعم ما فعلت و الفائدة فيه أنَّه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا و وجازة، ألا ترى أنَّ الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا و شتمته ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالا فتقول له بئسما فعلت، ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليك"[1].وعليه فإنَّ الفعل تفعلوا حقق الإيجاز والاختصار بترك المفعول به وهذا ما لا يتحقق مع غير هذا الفعل في هذا التركيب.

وقال عز وجل في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ سورة البقرة، الآية: 40. مفعول الفعل "أوفوا" و" أوف" محذوف في الآية الكريمة والتركيب فيها على طريقة المجاز لقبول التكاليف في الدين في العهد الأول أمَّا العهد الثاني فشمل الوعد بالثواب والنصر "فلا يقصروا في العمل ومن وعد الله إياهم على ذلك بالثواب بهيئة المتعاهدين على التزام كل منهما بعمل الآخر ووفائه بعهده ...فاستعير لهذه الهيئة الكلام المشتمل على قوله " وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم" وهو أحسن"[2].

والمحذوف تقدم معناه في قوله تعالى في نفس السورة "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه"[3] وحذف المفعول به في الآية لإضافة العهد إلى غير الفاعل أي: إلى المفعول وهذا ما استوجب حذفه في التركيب وقال أبو السعود معلقا على هذا: "والعهد في الموضعين مضاف للمفعول لأن إضافته إلى

[1] _ المصدر السابق، ج01، ص 108

[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص453

[3] _ ينظر: المصدر السابق،ج01، ص453

المفعول متعينة إذا تعلق به للإيفاء إذ لا يوفي أحد إلا بعهد نفسه فإذا أضيف العهد الذي هو مفعول أوفوا إلى غير فاعل للإيفاء تعين أن تكون إضافته للمفعول"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ سورةالبقرة، الآية: 58. حذف مفعول الفعل "نزيد" في الآية الكريمة والسر وراء العدول لتعميم الزيادة لتشمل كل الخيرات التي تخطر في بال البشر وهذا لا يتوفر إلا بالحذف لأن في الذكر حصر وتخصيص وهو ما رآه الطاهر بن عاشور إذ قال:" وعد بالزيادة من خيري الدنيا والآخرة ولذلك حذف المفعول "[2] ويبدو من خلال إمعان النظر في تركيب الآية أن الحذف يترك للقارئ فسحة تخيل الخيرات التي سيكافئ بها المحسنون بطرحهم التساؤل عن ماهية الخيرات فيكون المحذوف المبهم نوعه محفزا للاحسان لنيل ذلك الخير الذي وعد به الله سبحانه وتعالى.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ سورة البقرة، الآية: 71 حذف مفعول الفعل " يفعلون" المقدر ب يذبحونها والسر وراء هذا العدول _ الحذف_ في الآية يلتمس من فحوى الخطاب حيث أفاد الحذف تصوير مدى مماطلة هؤلاء في فعل الذبح وكأن الفعل وقع فجأة أي: فذبحوها الآن وما كادوا يفعلون قبل الآن وهو دليل على قلة مبادرتهم إلى الله تعالى[3].

وقال ابن عطية الأندلسي: "وكان ذلك خوف الفضيحة في أمر القاتل وقيل كان ذلك للمعهود من انقيادهم وتعنتهم على الأنبياء"[4]. والتأمل في قول المفسر يوصل إلى أنْ تحُفظ هؤلاء في قضية ذبح البقرة وعدم إصرارهم على عدم الانقياد لأوامر النبي دعا إلى حذف المفعول لأنَّ الحذف يعكس موقفهم من الذبح .

[1] _ المصدر السابق،ج01، ص 455. وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 135.
[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 516.
[3] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص557.
[4] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج01، ص 163.

وكذلك في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣﴾ سورةالبقرة،الاية: 93 حذف مفعول الفعل " اسمعوا" في الآية الكريمة ونكتة العدول أن الفعل " اسمعوا" على طريقة الكناية والمراد بها الامتثال وليس الإصغاء "كما تقول فلان لا يسمع كلامي أي لا يمتثل أمري إذ ليس الأمر هنا بالسماع بمعنى الإصغاء إلى التوراة ...وهي إشعار بانهم مظنة الإهمال والإخلال"[1]. فالكناية هنا مفادها تقوية بيان قوله تعالى في الآية الأولى " واذكروا ما فيه" وعليه فالفعل لم يتعد إلى مفعول لأنَّه أُريد به المجاز لتقوية وتأكيد الكلام السابق للقول في الآية الكريمة.

وحذف مفعول الفعلين "سمعنا وعصينا" في نفس الآية ومرد هذا العدول إلى أنَّ إجابة هؤلاء تحمل نوعا من الاستهزاء والتعنت والتهكم في آنٍ واحد ويقول الطاهر بن عاشور: " يحتمل أنَّهم قالوه في وقت واحد جوابا لقوله "اسمعوا" وإنما أجابوه بأمرين لأنَّ قوله اسمعوا تضمن معنيين معنى صريحا ومعنى كنائيا فأجابوا بالامتثال للأمر الصريح وأما الكنائي فقد رفضوه"[2] فحذف المفعول هنا حملا على الفعل "اسمعوا" الكنائي الذي حذف مفعوله.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾سورة البقرة،الآية: 132.حذف مفعول الفاعل "يعقوب" في الآية الكريمة والمقدر بـ: بنيه وهو ما دل عليه الكلام السابق " ووصى بها إبراهيم بنيه" وذلك أنَّ " القرآن الكريم أراد أن يبين لنا أن الأبناء وقعوا بين وصية كل من سيدنا إبراهيم _ عليه السلام _ وسيدنا يعقوب _عليه السلام_ ويظهر ذلك جليا من خلال تأمل موضع كلمة بنيه إذ تقع بين إبراهيم ويعقوب وكلاهما نبي"[3].

ولا يفوتنا كذلك أنَّ النبي إبراهيم _عليه السلام_ هو جد النبي يعقوب_ عليه السلام_ والأبناء أبناء كليهما فحُذف المفعول لأنَّ وصية إبراهيم كانت لأبنائه ولأبناء يعقوب _ عليه السلام

[1] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 610.

[2] _ المصدر السابق، ص 611

[3] _الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، ص 134.135.

ـ الذين هم أبناء النبي إبراهيم كذلك.كأن مفعول إبراهيم شمل أباء يعقوب معه بحكم القرابة التي تجمعهم والله أعلم بمراده.

ونلمس نفس العدول في قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ سورةالبقرة،الآية 182.حذف المفعول به في الآية الكريمة في قوله:"فمن خاف من موص جنفا" والسر وراء هذا العدول أنّ الخوف هنا لا يراد به الخوف بمعناه بل أريد به الظن والتوقع" لأنَّه ظن المكروه خوف فأطلق الخوف على لازمه وهو الظن والتوقع ... والقرينة أنَّ الجنف والإثم لا يخيفان أحدا، ومن إطلاق الخوف في مثل هذا قول أبي محجن الثقفي:

أَخـَافُ إذا مِتُ ألا أذوقـها

أي: أظن وأعلم شيئا مكروها. ولذا قال قبله:

تُروي عِظامِي بَعدَ موتي عُرُوقُها "[1]

وحذف المفعول هنا إنما ليشمل كل لوازم الخوف وهم الشك والظن والتوقع لأن الفعل وفاعله هنا محمولان على المجاز.

وقال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ سورةالبقرة،الآية:185. مفعول فاعل الفعل "تشكرون" محذوف في الآية الكريمة وذلك لأسباب نذكرها فيما يلي:

أولا: التركيب في غنى تام عن ذكر المحذوف لأنَّه معلوم للقارئ فاهتمت الآية برصد علة الترخيص والتيسير[2]. والمفعول به يدل عليه ما تقدم وهو الله و الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، والتي

[1] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج02، ص 153

[2] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 221.

ذُكر فيها المفعول " الله". "وهذا نوع من الحذف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تنبيه إلا النقاب"[1].

ثانيا: رعاية الفاصلة بما يتماشى مع كل فواصل السورة: " لعلمكم تتقون، كنتم تعلمون، لعلهم يرشدون ...إلخ."

وقال تعالى في سورة النحل:﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦﴾سورةالنحل، الآية: 06. حذف المفعول في الآية الكريمة لرعاية الفاصلة مع ما يتماشى وكل باقي آيات السورة "يشركون، يتقون، تعلمون". يقول أبو السعود عن علة هذا العدول: " تخرجونها بالغداة من حظائرها إلى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لأن ما يدور عليه أمر الجمال من تزيين الأفنية والأكناف إلى أربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر"[2]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ سورةالقصص،الآية: 23. حذف مفعول كل من الفعل يسقون"، "تذودان"،"لا نسقي"، وعلة العدول في الآية الكريمة هو تركيز الكلام على الأفعال بحد ذاتها للتركيز على الأحداث المهمة في قصة سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ. وهو ما رآه الزمخشري إذ قال:"فإن قلت لما : لم ترك المفعول غير مذكور في قوله " يسقون" و"تذودان" و"لا نسقي" قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهو على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهما إبل مثلا؟ وكذلك قولهما " لا نسقي حتى يصدر الرعاء" المقصود فيه السقي لا المسقي."[3]

وقال عز وجل في سورة الصافات: ﴿وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾ سورةالصافات، الآية: 179. حذف مفعول يبصرون في الآية الكريمة لتأدية غرضين اثنين: أولهما رعاية الفاصلة ليحصل التوافق مع فواصل باقي آيات السورة" منصرون، الغالبون، يبصرون، يصفون" وثانيهما لتعدد المفاعيل وأن ما

[1] ــ المصدر السابق،ص 221.

[2] ــ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص 337.

[3] ــ الكشاف، الزمخشري، ج03، ص 357.

سيبصرونه سيفاجئهم وقال الزمخشري في هذا الحذف هو " تأكيد لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معا عن التقييد يالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة "[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمْ ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ سورة النمل، الآية: 63. حذف مفعول الفعل " تمدون" المقدر بـ: الضمير " أتمدونني" وعلة الحذف هنا إنمَّا لإنكار النبي سليمان _عليه السلام _ الهدية وقلة اهتمامه بها أي: " إن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا مالا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به"[2].

كما أنَّ في حذف المفعول إشارة إلى اهتمام الكلام بالفعل والفاعلين أكثر من المفعول وفيه "خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب"[3]. وذلك ليوصل رسالته إليهم وبما أنعم الله عليه وأنَّ نعم الله لا تقارن بهديتهم البتة وهو ما وفره الحذف في التركيب.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورةالحجرات، الآية: 01 حُذف مفعول الفعل المتعدي "تقدموا" للاقتصار والاختصار وهذا لدلالة الفعل عليه، وقال صاحب اللباب:"حذف مفعوله إما اقتصارا كقوله" " يحي ويميت وكقولهم " هو يعطي ويمنع" و"كلوا واشربوا" وإما اختصارا للدلالة عليه أي لا تقدموا ما لا يصلح "[4].

وقال الله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ سورة الضحى،الآية: 1،2،3 حذف مفعول الفعل "قلى" وتقدير المحذوف" قلاك" وعلة الحذف في التركيب لرعاية الفاصلة ولنفي صدور الفعل عن الله عز وجل ولدلالة الكلام على المفعول في الكلام

[1] _ المصدر السابق، ج04، ص65.

[2] _ المصدر السابق ، ج03، ص 325.

[3] _ أنوار التنزيل، البيضاوي، ج04، ص 160.

[4] _ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998 ج17، ص 520.

السابق للآية وقال أبو السعود: "حذف المفعول إما استغناء عنه بذكره من قبل أو للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى مع أن فيه مراعاة للفواصل"[1].

وقال الله تعالى في نفس النسق: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ سورة الليل، الآية: 01 في الآية الكريمة عدل القرآن الكريم عن ذكر مفعول الفعل" يغشى" والمقدر بـ: يغشى النهار كله، أو يغشى الشمس، أو كل ما وجد على الأرض[2] والسر وراء هذا العدول هو تركيز الكلام على الفعل لا على المفاعيل وهو ما رأته عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ إذ قالت:" ونرى أنَّ القرآن الكريم في إمساكه عن ذكر متعلق يغشى أو يتجلى يصرفنا عن تأويل محذوف أو مقدر إلى أنَّ الغشية والتجلي من الليل والنهار هما المقصودان بالتنبيه والالتفات بما أغنى عن ذكر مفعول أو متعلق"[3].

ب ـ حذف مفعول المشيئة:

ذكر مفعول المشيئة في جواب جملة الشرط مستغرب في اللغة العربية، فيسقط من تراكيبها لدلالة الجواب عليه قال أبو حيان الأندلسي في هذا الصدد: "وتتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفاً إلا من جنس الجواب، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾ سورةالأنعام، الآية: 35 أي: لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه،وكذلك: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجَا﴾ الواقعة 70." ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ" سورة يونس، الآية: 99"[4]

كما ورد هذا الأسلوب في قوله تبارك وتعالى: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ سورة البقرة: الآية :220 حذف مفعول الفعل "شاء" في الآية الكريمة و تقديره: لو شاء الله إعانتكم لأعنتكم، ويحذف مفعول المشيئة "لأنَّ تركيب أداة الشرط

[1] _ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج05، ص 542.

[2] _ ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، ص 100.

[3] _ المصدر السابق، ج02، ص100.

[4] _ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج08،ص496..

والفعل شاء مع اللام والواقعة في جواب الشرط والجواب يقبل عدم وجود المفعول"[1]. فيحذف لوجود القرينة الواضحة فالجواب يسد مسده ويغني عن ذكره.

وحذف مفعول المشيئة في آية أخرى في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ سورةالبقرة، الآية: 70. وتخريج الآية مع الذكر:"إن شاء الله هداتنا لمهتدون" حيث حذف مفعول المشيئة وغاب عن التركيب مع غياب هدايتهم بسبب رفضهم وكفرهم وعنادهم[2].

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾سورة يونس، الآية: 25. حذف مفعول الفعل "يدعو" والتركيب هنا خارج عن النمط الأصلي للتركيب، حيث إنَّ تخريج الكلام وفق ظاهر الحال يكون الآتي: "يدعو كل واحد منكم" وعدل إلى الحذف لدلالة فعل المشيئة في الآية الكريمة على المحذوف فحذف للإيجاز في القول.

والدعوة هنا موجهة للجميع ولكل شخص وزيد في المبالغة بشمولية الدعوة بحذف المفعول لتكون أعم وهو ما رآه الطاهر بن عاشور فقال: "وحذف مفعول "يدعو" لقصد التعميم أي: يدعو كل أحد والدعوى هي الطلب والتحريض وهي هنا أوامر التكليف ونواهيه"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ سورة يونس، الآية: 99.حذف مفعول المشيئة في الآية الكريمة وتخريج الآية مع ما يتوافق والأصل " لو شاء ربك إيمان...". والعدول في الآية إنمَّا لتحقيق عنصر الإيجاز لأنَّ المفعول قد دَّل عليه فعله وقال أبو السعود: "ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا،وكون مفعولها مضمون الجزاء، أن لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور، أي: لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم أحدا"[4].

[1] _ بلاغة الحذف في التراكيب القرآنية، حسين مصطفى غوانمة، ص 76

[2] _ ينظر: المرجع السابق، ص76.

[3] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11، ص 145.

[4] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص177.

قال جل جلاله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ سورة الفرقان، الآية: 45

حذف مفعول المشيئة في الآية الكريمة لدلالة الكلام عليه وقال أبو السعود : " "ولو شاء لجعله ساكنا" جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وإنَّما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو شاء سكونه لجعله ساكنا أي ثابتا على حاله من الطول والامتداد "[1] وفي الآية الكريمة إشارة إلى تعلق كل الأشياء بمشيئته فامتداد الظل خاضع لمشيئته وكذلك سكونه.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الرعد 39. حذف مفعول الفعل "يثبت" لدلالة الكلام السابق علية والمفعول مقدر بـ "ويثبت ما يشاء وعلة الحذف هنا تأكيد وتقرير التدبر وإعمال عقل القارئ للآية لما يحمله عل المشيئة من احتمالات وأكَّد الأمر بالحذف للمبالغة في الدَّعوة إلى التدبر في مفعول التثبيت. وقال الطاهر بن عاشور: "وأبهم الممحو والمثبت بقولهّ "ما يشاء"لتوجه الأفهام إلى تعرف ذلك والتدبر فيه لأن تحت هذا الموصول صورا لا تحصى وأسباب المشيئة لا تحصى"[2].

ولعل الحذف في هذا الموضع يحمل سرَّاً آخر وهو أنَّ الله يثبت ما في الكتاب بمشيئته وهذا ما "يلوح في معنى الآية أنَّ ما في أمِّ الكتاب لا يقبل محوا فهو ثابت وهو قسيم لما شاء الله محوه"[3].

نلمس نفس الحذف في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ سورة يس، الآية:66. حذف مفعول المشيئة في الآية الكريمة والمقدر بـ:أنَّ نطمس على أعينهم "لدلالة الفعل نشاء عليه وفي حذفه تحقيقاً للإيجاز في التركيب وقال أبو السعود: "الطمس

[1] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود،ج04، ص 185.
[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج13، ص 166
[3] _ المصدر السابق، ج13، ص 166.

تعفية شق العين حتى تعود ممسوخة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أنْ نطمس على أعينهم لفعلناه" [1].

ج ـ حذف أحد المفعولين:

قد يُحذف أحد المفعولين في التركيب وهو الذي لا يركَّز عليه في الكلام عليه أو يكون التركيب في غنى عن ذكره لعلم المخاطب به وذلك كما في قوله تعالى:﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾سورة الكهف، الآية: 02 حذف المفعول الأول في الآية الكريمة والمقدر بـ: " الكافرين" "جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه، فوجب الاقتصار عليه"[2].

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ البقرة 200. في الآية الكريمة عدول بحذف المفعول الثاني للفعل المتعدي لمفعولين "آتنا" المقدر بـ الإنعام أو الجائزة لقرينة قوله "حسنة" بعدها[3] أو أنَّه أنزل منزلة المتعدي لمفعول واحد أي: "اجعل إيتاءنا أي عطاءنا في الدنيا خاصة"[4] لتفادي تخصيص المفعول ليشمل كل النعم حسب طلب كل داع أو طالب، وقال الطاهر بن عاشور معلقا على هذا الحذف: "ترك المفعول الثاني لتنزيل الفعل منزلة ما لا يتعدى إلى المفعول الثاني لعدم تعلق الغرض ببيانه أي أعطنا عطاء في الدنيا"[5].

ونرى نفس العدول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ سورة النساء، الآية: 05 حُذف المفعول الأول للفعل "جعل" وأُنزل منزلة المتعدي لمفعول واحد للمبالغة في تذكير المؤمنين بأهمية الحفاظ على أموالهم،وقال أبو السعود:" أي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف الأول فلو ضيعتموه

[1] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 516.
[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج02،ص380.
[3] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج02، ص247.
[4] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 239.
[5] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج02، ص247.

لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل مابه قياما فكأنَّها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم"[1]. وعلاوة على ذلك عبَّر عن الإخبار بالمصدر "قياما" لزيادة المبالغة وهذا مثل قول الخنساء: فإنما هي إقبال وإدبار.[2]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 44. حذف المفعول الأول للفعل"وعد" في قوله: " وعد ربكم حقا" المقدر ب" وعدكم ربكم حقا" من حرمانهم من شرف خطاب الله عز وجل، حيث قال أبو السعود: "حذف المفعول من الفعل الثاني إسقاطاً لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لأنَّهم ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره ومخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة فإنَّهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وإنْ لم يكن وعده مخصوصا بهم"[3]. فالوعد بنار جهنم لم يكن مخصوصا بالفئة التي دار معها الحوار مع أهل الجنة بعينها وإنَّما هو وعد من وعود الله المعلومة.

ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورةيوسف، الآية: 101. حذف المفعول الثاني للفعل "أتى" المقدر بـ :قدراً من الملك أو عظيماً من الملك. وفي ترك ذكر المحذوف إيحاء بأنَّ الملك كله لله وأتى يوسف قدراً من ذلك الملك كما أنَّ المقام مقام دعاء و تذلل لله ما يتطلب التواضع في طريقة الكلام وهو مادلت عليه "من للتبعيض وكأنَّه يقول بذلك: رب إنَّ جميع ما أعطيتنيه من الملك هو بعض مما يدخل تحت ملكك وكل ما علمتنيه من التأويل بعض ما يدخل تحت علمك فأجب دعائي"[4].

قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ سورة إبراهيم، الآية: 22. حُذِف المفعول الثاني للفعل "فأخلفتكم" الثاني

[1] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص648.
[2] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج04، ص236.
[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص345.
[4] _ الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، ص 135.

في الآية الكريمة وفي حذف المفعول تقرير و تأكيد على عدم حصول فعل الوعد في المستقبل دلالة أنَّ ما وعد به الشيطان لا يعتبر وعداً، وهذا ليَتَيقَّنَ القارئ ويتأكد أنَّه لن يتحقق وأنَّه مجرد وسوسة "وهذا دليل على أنَّ الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلاَّ التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين"[1]. وهو ما يبينه قوله تعالى بعد ذلك :"وما كان لي عليكم من سلطان".

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورةالقصص، الآية:27. حُذِف المفعول الثاني للفعل "تأجري" المقدر بنفسك والحذف هنا إنمَّا لاحترام والد المرأتين سيدنا _موسى عليه السلام _ لِما رأى فيه من صلاح وهو ما نلمسه في تعليق الزمخشري على الآية الكريمة حيث قال: " "تأجرني" من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته إذا كنت له أبا"[2] فصياغة الفعل ساعدت على تصوير مدى تأدب النبي شعيب _عليه السلام_ أثناء حديثه مع النبي موسى _ عليه السلام.

5 ـ حذف المفعول المطلق:

يحذف المفعول المطلق في التركيب هو الآخر حيث تنوب صفته عنه وذلك كما في قوله عز وجل:﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾سورة الجمعة، الآية: 10. تخريج الآية حسب مقتضى الظاهر " واذكروا الله ذكرا كثيرا" عدل التركيب عن الأصل تحقيقاً للخفة والاقتصاد في الكلام

6ـ حذف التمييز:

ورد حذف التمييز في العديد من المواضع في القرآن الكريم ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ سورةالبقرة،الآية: 196.

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 392.

[2] _ المصدر السابق ج03، ص309.

عدل عن ذكر تمييز " سبعة "في الآية الكريمة والمقدر بـ: وصيام سبعة أيام[1] وعلة الحذف إنمَّا لتحقيق عنصر الإيجاز في الكلام لدلالة الكلام السابق على المحذوف.

ولمعرفة علة الحذف تعين علينا الوقوف والتركيز في الآية حيث تبين لنا أنَّ الحذف هاهنا أفاد تأكيد حكم الصيام وتقريره حيث قال تعالى بعد ذلك: " تلك عشرة كاملة" فأفادت الفذلكة إزالة التوهم بأنَّ يكون العطف للتخيير بين السبعة والثلاثة أيام[2] ويظهر أنَّ في الحذف كذلك تأكيد للحكم بتوحيد التمييز لتكون السبعة أيام مكملة وتابعة للثلاثة أيام لتكتمل العشرة أيام في الصيام.

وقال عز جل: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾ سورة البقرة،الآية:259 حُذف التمييز في الآية الكريمة والمقدر بـ:"كم يوما أو كم سنة" تماشياً مع متطلبات المقام فالآية بصدد تبيين قدرة الله وعظمته فلم يخصص السؤال ولم يحدد لمعرفة ظن من طرح عليه السؤال عن المدة التي لبثها تمهيداً لإخباره بالحقيقة لإحداث عنصر المفاجأة والتشويق له وللسامع عنده وقال البيضاوي في هذا و هو" قول الظان وقيل أنَّه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوما."[3]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: 65 حذف التمييز في الآية الكريمة المقدر بـ " عشرون رجلا ومائة رجلا " وقد دَّل المقام على المحذوف فلا حاجة لذكره في التركيب هذا من جهة ثم إنَّ الآية تركز على العدد لا على المعدود لأنَّ المقام مقام تحريض للجهاد ووعد بالنصر من الله عز وجل وهي " عدة وبشارة بأنَّ الجماعة من المؤمنين إنْ صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده "[4].

[1] _ ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج01، ص 270.
[2] _ ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي، ج01، ص130
[3] _ أنوار التنزيل، البيضاوي، ج01، ص156.
[4] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 132.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ سورةالكهف، الآية: 19. في الآية الكريمة حذف التمييز المقدر بـ:"كم يوما لبثتم" ولم يذكر المحذوف لجهل أهل الكهف المدة التي لبثوها في الكهف ليتعرف السامع على ظنِّهم الغالب عن الفترة وليحصل على جواب "مبني على غالب الظنِّ، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظنِّ الغالب وأنه لا يكون كذباً وإنْ جاز أنْ يكون خطأ"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 179 عدل الله سبحانه عن ذكر التمييز في تركيب الآية الكريمة والمقدر بـ "أضلُّ سبيلا" الله سبحانه وتعالى يشبه الكفار من الإنس والجن بالأنعام "[2] في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر"فالأنعام رغم ضلالها إلاَّ أنهَّا لا تؤدي بنفسها إلى الهلاك عكس هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل ولم يحسنوا استخدامه في التأمل والتدبر وإصرارهم على المعاندة والإقدام على النار[3]. كما أنَّ صيغة المبالغة في "أضل" ساعدت على الاستغناء عن المحذوف لعلم المخاطب به.

7ـ حذف الحال:

تحذف الحال من التركيب إذا دلَّ الكلام المذكور عليه، وقد استفحلت الظاهرة في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى:ف﴿وَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ سورة البقرة،الآية: 79. حذفت الحال في الآية الكريمة والمقدرة بـ: "يكتبون الكتاب بأيديهم محرفاً" وحُذفت

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ، ج02، ص 524.

[2] _ المصدر السابق ، ج02،ص 85.

[3] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 85

الحال في الآية لشدَّة تأويلاتهم الزائغة [1]التي طغت على الكتاب المنزل والتي يظنها الناس غير محرفة، كما أنَّ كلمة أيديهم التي وردت لتأكيد الكلام دلت على المحذوف وأغنت عن ذكره.

وقال تعالى في نفس النسق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سورةالمائدة، الآية: 06. عدل عن ذكر الحال في قوله تعالى: "إذا قمتم إلى الصلاة" وتقدير المحذوف: "إذا قمتم إلى الصلاة محدثين " حذف الحال بناءً على الأصل لأنَّ الآية بصدد تعليم المسلمين لطريقة الوضوء وأحكامه فأُنزلوا منزلة غير المتوضئ لأنَّهم لا يعلمونه بعد[2].

كما أنَّ الحذف هنا يحمل إلغازاً وتعميماً في الوقت نفسه يجعل ظاهر الآية يوجب المحدث وغيره لا"ويُحتمل أنْ يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأنْ يكون للندب ..."[3]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ سورةالأنعام، الآية:68 تطلب المقام في الآية الكريمة حذف الحال المقدرة بـ:"وإذا رأيت الذين يخوضون وهم خائضون" والذي هو علة النهي والإعراض وذلك للمبالغة في التحذير والنهي عن مجالسة المستهزئين والخائضين في آيات الله. " فأمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــأنْ ينابذهم بالقيام عنهم إذا استهزؤوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء"[4].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ سورةالأعراف، الآية: 58. في الآية الكريمة حال محذوفة

[1] ــ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي،ج01، ص 90، و ينظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، ص 148.

[2] ــ ينظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، ص 148.

[3] ــ الكشاف،الزمخشري، ج01،ص 540

[4] ــ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج 02، ص 304.

مقدرة بـ:نباته طيبا بإذن ربه وعلة الحذف إنَّما لتحقيق الإيجاز في التركيب لدلالة "البلد الطيب" على المحذوف كما أنَّ ما قابله من بعده في قوله تعالى "لا يخرج إلا نكدا" دلَّ عليه كذلك.[1]

ومن البديهي أنَّ الأصل في النبات أنْ ينبت حسنا فبني الكلام بناءً على الأصل وحُذف حاله لعلم المخاطب به، ومن جهة أخرى لا ينمو النبات نكداً إلا لعلة ما وهي خبث الأرض في الآية الكريمة فذكر حالها لما خالف النبات أصل وطبيعة نموه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ سورةالنحل، الآية: 59.58. حذفت الحال في تركيب الآية الكريمة وتقديره "من سوء ما بشر به مفكرا متذبذبا" وقد دلَّ على المحذوف ما بعده والتركيب في عنى تام عن ذكر الحال.

ثم أنَّ حذف الحال يخدم حسن تصوير المبالغة في المعنى، وحالة الاضطراب التي يقع فيها الذي ولدت له أثنى الذي يكون في صراع ذاتي بين أبوته وما تمليه عليه عادات مجتمعه في هذا الموقف فيئدها وما سيتلقاه من تعييرٍ وذلٍ وهوانٍ منهم[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ﴾ سورة الصف، الآية: 14. في تركيب الآية الكريمة حال محذوفة وتخريج الآية تماشياً مع الأصل كالآتي: من أنصاري متوجها إلى نصرة الله [3]،والحذف هنا إنما لتحقيق الإيجاز في التركيب لدلالة الكلام عليه، علاوة على ذلك فإنَّ في حذف الحال إفضاء للمساحة لإبراز اسمه عز وجل لملامسة قلوب وأفئدة المخاطبين ولإثارة شعورهم بطريقة تركيبية مغايرة.

[1] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 325.

[2] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 02، ص 445.

[3] _ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05، 326.

8 ـ حذف الموصوف:

يحذف الموصوف وتحُلُّ الصفة مكانَه إذا كان الكلام في غنى عن ذكره[1] وقد استفحل هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ سورةالبقرة، الآية:04 حذف الموصوف في الآية الكريمة والمقدر بـ الحياة أو الدار، وأنِّث لفظه ليطابق مقابله الدار الدنيا في الصياغة. والحذف هنا إنمَّا لعلم المخاطب به ولكثرة استعمال صفته مكانه وقال أبو السعود: "الموصوف مؤنث اللفظ حذف لكثرة استعماله وصيرورته معلوما يقدر بالحياة الآخرة مراعاة لضده الحياة الدنيا أي القريبة بمعنى الحاضرة ولذلك يقال لها العاجلة ثم صارت الآخرة."[2]

وقال تعالى في آية أخرى من نفس السورة: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورةالبقرة،الآية: 130. أي: "في الدار الدنيا وإنَّه في الدار الآخرة "وقد دلَّ السياق وساعدت العادة في الكلام عليه.

وقال عز وجل: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة البقرة،الآية: 95. عدلت الآية عن ذكر الموصوف المقدر بالأشخاص الظالمين والمراد بهذا الوصف اليهود والعدول عن الذكر هنا على ما يبدو لدلالة الكلام عليه، وإذا أمعنا النظر في سياق الآية يتضح لنا أنَّ الحذف قد أفاد تأكيد صفة الظلم فيهم لتهديدهم[3] بطريقة صارمة تزعزع نفوسهم ونفوس السامعين للآية على حد سواء، وفيه كذلك " زيادة في تسجيل امتناعهم من تمني الموت "[4].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ سورة الإسراء، الآية: 59. حذف الموصوف في الآية الكريمة والمقدر بـ : آية مبصرة فقامت الصفة مقام الموصوف. [5]

---

[1] ـ ينظر: المقتضب، أبو عباس المبرد: ج04ص185.
[2] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج01،ص 240.
[3] ـ ينظر: المصدر السابق، ج 01، ص616، وينظر: الكشاف، الزمخشري ، ج01، ص 166.
[4] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 616.
[5] ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج02، ص 210

ولما كانت الناقة المبعوثة إلى قوم النبي صالح هي آية في حد ذاتها لم يحتج المقام إلى ذكر الموصوف فنسبت الصفة إلى الناقة لإسناد الإعجاز إليها، ويقول ابن عطية الأندلسي: "على جهة النسب أي معها إبصار ...ممن ينظر وهذا عبارة عن بيان أمرها ووضوح إعجازها"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾سورة القمر، الآية: 13أي:"حملناه على سفينة ذات ألواح ودسر" وعلَّة عدم ذكر الوسيلة التي كانت ذات ألواح ودسر إشارة إلى عظمة الفعل "حملناه" فصوَّر هذا التركيب المبتكر مدى قدرة الله تعالى رغم إمكانيات النبي نوح ــ عليه السلام ــ ومن معه البسيطة والمتواضعة كما أنَّ الكلام قد دلَّ على المحذوف في التركيب فقال صاحب الإكسير:""و حملت زيدا على كوماء" " وقلدته ماضيا "أي ناقة كوماء ، وسيفا ماضيا، وشرطُ حذفِه دلالة الكلام عليه "[2]

وقال الله تعالى في نفس النسق: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ سورةالنمل، الآية: 22. في الآية الكريمة عدول عن ذكر الموصوف والمقدر بـ: "فمكث زمان غير بعيد". حَذْف الموصوف إضافةً إلى قصر المدة المذكورة التي مكثها الهدهد "دلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف أنَّ الطير مسخرا له ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته"[3] وعليه فإنَّ ضيق المدة الزمنية التي دارت فيها الأحداث حالت دون ذكر الموصوف الذي دلَّ عليه الكلام في تركيب الآية.

وقال عز وجل: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ سورة الكهف، الآية:14. في الوصف بالمصدر في قوله تعالى:"قلنا إذا شططا" والاقتصار على الوصف دون ذكر الموصوف مبالغة على مبالغة أي قلنا قولا

[1] ــ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج03، ص467.
[2] ــ الإكسير في علم التفسير، الطوفي، ص222.
[3] ــ الكشاف، الزمخشري، ج 03، ص 317.

هو عين الشطط [1]وقال أبو السعود: " أي لو دعونا من دونه إلها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطاً في الظلم"[2].

9ـ حذف الصفة :

تحذف الصفة في التركيب إذا دل عليها الحال حيث يقول ابن جني: "وقد حذفت الصفة ودلَّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل. وكأنَّ هذا إنَّما حذفت فيه الصفة لما دلَّ من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك"[3]. ومن المواضع التي ورد فيها هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم نذكر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ سورة آل عمران،الآية: 173. في الآية الكريمة عدول بحذف الصفة والمقدرة بـ:الناس الذين يعادونكم"[4] والحذف على ما يبدو لغرض تحقيق الإيجاز لدلالة الكلام السابق عليه هذا من جهة ثم إنَّ في عدم ذكر صفة الناس قصد به الإبهام لتصور الرعب الذي أراد رسول أبي سفيان [5] أنْ يوقعه في نفس المسلمين أي: الناس كلهم من شتى الأقطار قد جمعتهم قريشا لينازلوكم في بدر كما توعدوكم وهو مراد أبي سفيان من الرسالة من جهة أخرى.

وفي الحذف علة أخرى نلمسها في استعمال كلمة الناس في التركيب التي تحدد جنس الذين بعثوا مبلغ رسالتهم أنَّهم من بني البشر فقال البيضاوي:"وأطلق عليهم الناس لأنَّه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وماله إلا فرس واحد"[6]. وفي استعمال لفظة الناس دون وصفها إبراز للمبالغة في

---

[1] ـ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص504.

[2] ـ المصدر السابق، ج03، ص504.

[3] ـ الخصائص، ابن جني، ج 02، ص370،371.

[4] ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج03، ص 156.

[5] ـ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج04، ص 49، وينظر: بدائع التفسير، بن القيم الجوزية،تح: يسري السيد محمد،صالح ابن أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1427،01،مج، 01،ص257.

[6] ـ أنوار التنزيل، البيضاوي، ج02، ص 49.

العداوة والحقد الذي يكنهما أهل قريش للمسلمين رغم قرابتهم، فاستعمل لفظ الناس ليدل على مقاطعتهم لهم وكأنهَّم جنس آخر من الناس غير جنسهم.

وقال عز جل في آية أخرى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ سورةالنساء، الآية: 79. حذفت الصفة في الآية الكريمة والتي تقديرها: "وأرسلناك للناس رسولا جامعا لأكمل الصفات"[1] والعدول عن الأصل أبلغ وأجزل ليترك للقارئ فسحة التفكير في الرسول الذي أرسل للناس، والتأمل في كل الصفات الحميدة التي جمعت فيه صلى الله عليه وسلم والآية تركِّز على لفظ الرسول تحديداً وكل ما تحمله من معان، "ومعناه الشرعي المعروف وهو النبي المبلغ عن الله تعالى فهو لفظ لقبي دال على هذا المعنى"[2] فالحاجة الماسة إلى جعل المخاطب والقارئ يتدبران ويبحثان عن مهمة المنوطة بالنبي محمد ــ صلى الله عليه وسلمــ التبليغية أدت إلى حذف الصفة وترك الموصوف وهو الرسول ليبرز لفظه في التركيب وبالتالي يحصل المطلوب.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية: 45 حُذفت الصفة في الآية الكريمة والمقدرة بـ: "إذا لقيتم فئة كافرة"[3] وعلة الحذف هنا إنما لعلم المخاطب بالمحذوف فمن المعلوم أنَّ الفئة المؤمنة لا تنازل إلاَّ الكافرة كما أنَّ في ذكرها إطناب مخل لا حاجة للمقام إليه. وهو رأي البيضاوي كذلك إذ قال:"لم يصفها لأنّ المؤمنين ما كانوا ليلقون إلاّض الكفار مما غلب في القتال"[4].

ويبدو أنَّ في حذف الصفة إبرازا للفعل الذي بعدها "فاثبتوا" لأنَّ الآية تهتم وتركز على موضوع الثبات والتوكل على الله سبحنه وذكره فالمسارعة إلى ذكر الأهم أدَّت إلى حذف الأقل أهمية.

وقال عز وجل: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ سورةالكهف، الآية: 79. في الآية الكريمة عدول بحذف

[1] ــ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج03، ص 156.
[2] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج05، ص 134.
[3] ــ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج03، ص 62.
[4] ــ المصدر السابق، ج03، ص 62.

الصفة وتقدير الكلام مع ما يتوافق مع الأصل:"ملك يأخذ كل سفينة سليمة "[1] وقد دلَّ على المحذوف قوله تعالى:" فأردت أنْ أعيبها" كما أنَّ لفظ السفينة عند الملوك لا يطلق إلا على السفينة الصالحة كاملة الموصفات وما هو دون ذلك لا يعتبر سفينة عندهم، وذلك باعتبارهم ملوكاً يطمحون لكل ماهو كامل فإذا أخذ الملك سفينة يجب أنْ تكون لائقة لتلبية مطامعه كملك ولهذا الغرض حذفت الصفة.[2]

وقال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ سورةالكهف، الآية: 105. عُدِل عن الأصل في الآية بحذف الصفة في التركيب المقدر ب:"وزنا نافعا". وعلة الحذف في التركيب أولا لعلم المخاطب به ودلالة الكلام السابق عليه، وثانيا لرعاية الفاصلة لتوافق فواصل باقي الآيات في السورة "صنعا، هزوا، حولا، مددا...إلخ". وفي حذف الصفة أيضاً إيحاء إلى أنَّ هؤلاء لا ميزان لهم يوم القيامة ولا قيمة " لأنَّ الميزان إنَّما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين"[3].

10- حذف المعطوف:

يحذف المعطوف في التركيب فيدلُّ الحال عليه ومن مواضع هذا الأسلوب في القرآن الكريم نذكر قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾سورة آل عمران الآية 26. حُذِف المعطوف الذي يلمح من الكلام وهو: "الشر" فقال الزمخشري: " لأنَّ الكلام إنَّما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكره الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، ولأنَّ أفعال الله تعالى من نافع وضارّ صادر عن الحكمة والمصلحة، فهو خير كلّه كإيتاء الملك ونزعه"[4]. و نكتة العدول في هذا الموضع هي أنَّ الله سبحانه وتعالى يأبى أنْ يعطف الشر على الخير في الآية الكريمة.

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص،551.
[2] _ ينظر: الحذف بين النحويين والبلاغيين، حيدر حسين عبيد، ص190.
[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص557.
[4] _ الكشاف، الزمخشري، ج:01،ص183.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ سورة النحل الآية 81،ذكر الخير دون الشر في تركيب الآية الكريمة لأن الكلام فيها في حالة دعاء [1] كما أن المذكور في الآية الكريمة دل على المحذوف وذلك نحو قول الشاعر:

دَعَانِي إِلَيْهَا القَلْبُ، إِنِّي لأَ مْرِهِ مُطِيعٌ، فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلابُهَا؟[2]

"ولم يقل: أم غيّ، ولا: أم لا، لأنّ الكلام معروف المعنى."[3]

11- حذف المضاف:

يحذف المضاف في اللغة لتحقيق العديد من الأغراض البلاغية ومن ذلك قوله تعالى:﴿سَآءَ مَثَلاً ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾ سورةالأعراف،الآية: 177 حُذف فاعل الفعل "ساء" وفسَّره التمييز " مثلا" وتخريج الآية مقتضى الظاهر "ساء مثلا مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا". وقد يكون مفعولاً كقوله عز وجل:﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ ﴾ سورة الأنعام الآية 92. أي أهل أمّ القرى. كما قد يكون اسما مجرورا كما ورد في قوله تعالى:﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ سورة الحج الآية 78 أي في سبيل الله.وقال الشاعر:

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَءًا وَنَارٍ تُوقَدُ بِاللَّيْلِ نَارًا[4]

تقدير المحذوف في البيت وكلَّ نارٍ توقد بالليل نارا.[5] "أراد وكلّ نار فحذف لما جرى من ذكر كلّ مع تقديمه المجرورين وحصول الرتبة في آخر الكلام واتصال المجرور بحرف العطف لفظا ومعنى"[1].

---

[1] _ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، السعودية،ط01 1423هـ -2003م، ج 04، ص55.

[2] _ تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد ابن هشام عبد الله بن يوسف، تح: عباس مصطفى الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط01 1986م. ص140.

[3] _ معاني القرآن، الفراء، ج01،ص231. وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ج02، ص361.

[4] _ ديوان أبي دؤاد الأيادي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط01، 1988م. ص353.

[5] _ ينظر: شرح ابن عقيل، ج03، ص79.

وقال سيبويه في هذا الحذف: "استغنيت عن تثنية "كل" كذكرك إياه في أول الكلام ولقلة التباسه على المخاطب"[2]

وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ ﴾ سورة يوسف الآية 82 المقصود أهل القرية فأطلق المكان وأريد به حالها

12– حذف المضاف إليه:

يحذف المضاف من التركيب هو الآخر وهذا كما يقول ابن هشام: "يكثر في ياء المتكلم مضافا إليها المنادى نحو: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾سورة نوح، الآية: 2. وفي الغايات نحو قوله تعالى:﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾سورة الروم، الآية:04. أي من قبل الغلب ومن بعده، وفي أيٍّ و كلٍّ، وبعضٍ،وغيرٍ بعد ليس وربّما جاء في غيرهن."[3]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾سورة الرعد الآية 30 حذفت ياء المتكلم في " متاب" والمراد "متابي" ودلَّت الكسرة على المضاف إليه المحذوف تحقيقا الإيجاز والاقتصاد، وفي نفس النسق قال تعالى:﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ سورة إبراهيم الآية: 40 حذفت ياء المتكلم في قوله:" دعاء" وتخريج الآية حسب الأصل: "دعائي".

13ـ حذف الفعل:

يسقُط الفعل من التركيب الإسنادي لتحقيق جملة من الغايات والمقاصد، وورد هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورةالبقرة الآية: 7. حُذف الفعل في الآية الكريمة "على تقدير

[1] _ تحصيل عين الذهب فيعلم مجازات العرب، الشنتمري، ج:01،ص45.

[2] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص66.

[3] _ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج03.ص140.

وجعل على أبصارهم غشاوة"[1] وعلَّة الحذف في الآية لأنَّ الجمل معطوفة على ما قبلها في قوله: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم "و الختم لا يناسب الأبصار فجعلت الغشاوة في تركيب مغاير لأنَّها تتماشى مع الأبصار وحذف الفعل لدلالة الكلام السابق له عليه وقال الطاهر بن عاشور في تفسير الظاهرة: "جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ للإيمان ... وجعل الأسماع في استكاكها عن سماع الآيات ...وجعل أعينهم في عدم انتفاع بما ترى من معجزات"[2].

وحُذف الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 72. عدل عن ذكر الفعل في الآية الكريمة في قوله: "وإذ قلتم" والمعنى " قلنا لهم أذكروا إذا قتلتم" [3]. وقد دلَّ على المحذوف الكلام الذي بعده والفعل الماضي "قتلتم" والحرف "إذ" الذي يدلُّ على الشروع في الحكاية. قال الطاهر بن عاشور: " تصديره بـ"إذ" على طريقة الحكاية ما سبق من تعداد النعم والألطاف ومقابلتهم إياها بالكفران و الاستحفاف"[4].

وعدل عن ذكر الفعل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يوسف، الآية: 111.في الآية الكريمة عدول بحذف الفعل المقدر بـ: "ولكن كان تصديق على إضمار معنى كان" والجملة استدراك معطوف على الجملة سابقتها في قوله:"ما كان حديثا يفترى" وهو ما دلَّ على المحذوف وقال ذو الرمة:

وما كان مالي من تراث ورثته ولا دية كانت ولا كسي مأثـــــم

ولكن عطاء الله من كل رحلة إلى كل محجوب السرادق خـــضرم[5]

أي: ولكن كان عطاء الله

[1] _ المحرر الوجيز،ابن عطية الأندلسي، ج01، ص 87.

[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 258.

[3] _ المحرر الوجيز،ابن عطية الأندلسي، ج01، ص165.

[4] _ التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور، ج01،ص559.

[5] _ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج03، ص 289.

وقال ابن جني : "ومنه قولهم قد مررت برجل، إما زيدا ،وإما عمرا أي: إن كان زيدا وإن كان عمرا "[1]. والغرض من الحذف تحقيق الإيجاز في التركيب لدلالة ما قبله عليه.

ومنه قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ سورةمحمد، الآية: 27.حذف الفعل المضارع في الآية الكريمة والمقدر ب كيف يفعلون إذا توفتهم الملائكة والحذف هنا إنما لتحقيق الإيجاز في الكلام لدلالة السياق على المحذوف "كأنَّه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون إذا توفتهم الملائكة"[2].

من عذاب أليم؛ وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك"[3]وقال الشاعر جميل:

وَقَالُوا نَرَاهَا يَا جَمِيلُ تَبَدَّلَتْ وَغَيَّرَهَا الوَاشِي فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا[4]

دلَّ الكلام الذي ورد قبل المحذوف عليه عكس ماورد في الآية السابقة الذكر وأراد الشاعر هنا لعلها تغيرت ورحلت والحذف في البيت نلفي فيه رشاقة وخفة تعكس فصاحة الشاعر بجلاء.

تحذف الجملة لتحقيق دلالة العناية ومنه قوله تعالى في سورة الشمس: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ سورة الشمس، الآية: 13. حذف الفعل وفاعله ونصب المفعول على التحذير وذلك نظرا " إلى ضيق الحال عن ذكره لعظيم الهول وسرعة التعذيب عند مسّها بالأذى"[5]. فالعجلة في الكلام والاهتمام بالمذكور اللاَّحق للمحذوف أدى إلى هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم.

المطلب الثالث:. حذف الحرف:

يعدل إلى حذف الحرف في التركيب لتحقيق أغراض بلاغية تفضي إلى كنه ما في النفس من أحاسيس ومرام يحققها هذا الأخير ومن نماذج حذف الحرف في القرآن الكريم نذكر قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا

[1] _ الخصائص، ابن جني، ج01، ص 284.

[2] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05، ص 150.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، :ج03،ص30.

[4] _ ديوان جميل،تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1413،02هـ - 1986م. ص62.

[5] _ نظم الدرر، البقاعي،ج 22، ص81.

مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ البقرة 25.حذف حرف الجر في الآية الكريمة في قوله تعالى:" أن لهم" والأصل " بأن لهم"[1]. فالعدولُ بحذف الخافض في التركيب إنما لتأكيد الخبر وبشرى الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، ونستطيع تصور ردة فعل سامع الآية في بلد تغلب عليه الحرارة في شبه جزيرة العرب، ولا يفوتنا كذلك "أنَّ الله أعد نعيم الصالحين على نحو ما ألفته أرواحهم في هذا العالم فإن للإلف تمكنا في النفوس و الأرواح"[2] وعليه فإن الله وعد الصالحين المؤمنين بما تشتهيه نفس السامع العربي وأكد ذلك بنزع الخافض ليبدأ جملته بالمؤكد "أن" وهو ما ساعد على خدمة المعنى المطلوب.

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ سورةالشعراء،الآية: 22. في الآية الكريمة عدول عن الأصل بحذف حرف الاستفهام "أ" والمعنى:" أو تلك نعمة تمنها "[3] وعلة حذف حرف الاستفهام إقرار من سيدنا موسى _ عليه السلام _ بالنعمة "كأنه يقول وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن ذلك لا يدفع رسالتي" [4]

كما أنَّ في حذف ألف الاستفهام ترك فسحة لاحتمال التأويل لاحتمال أن يكون الاستفهام لغاية إنكار النعمة (استفهام إنكاري) أو تأييداً لمجاراة خصمه في الكلام وقد اختلف المفسرون في تأويل الآية قال ابن عطية الأندلسي: " واختلف الناس في تأويل هذا الكلام فقال قتادة هذا منه على جهة الإنكار عليه أن تكون نعمة كأنه يقول أو يصح لك أن تعتمد على نعمة ترك قتلي من أجل أنك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم أي ليست نعمة لأن الواجب كان أن لا يقتلني .... وقال الأخفش قيل الألف للاستفهام محذوفة والمعنى " أو تلك" وهذا لا يجوز إذا عدلتها "أم" كما قال: " تروح من الحي أم تبتكر."[5]

وقال عز وجل : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا

[1] _ ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج01، ص 119.
[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص354.
[3] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج04،ص 228.
[4] _ المصدر السابق،ج04، ص 228.
[5] _ المصدر السابق، ج04، ص 228.

وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ سورة النساء،الآية: 75.حذف حرف النداء "يا" في الآية الكريمة في قوله " يقولون ربنا" أي: يقولون يا ربنا. وعلة الحذف هنا أن الدعاء كان من طرف المستضعفين الذين ظُلِموا أشد ظلم وقد دل على ذلك قوله : النساء والولدان في "ذلك تسجيل لإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم"[1] ولأن دعوة المظلوم قريبة من الله سبحانه وتعالى ولأن ياء النداء تستعمل لنداء البعيد حصل الحذف لتبيين مدى الظلم الذي تعرضوا له إضافة إلى مدى إخلاصهم وصدقهم في دعائهم. قال الشاعر:

قومي هُمْ قتلوا أميمَ أخي فإذا رَمَيْتُ يصيبني سَهمِي[2]

حذف حرف النداء في البيت الشعري والمقصود : "يا أميمة " حيث عكس هذا الحذف حالة الشاعر النفسية المتألمة.

وقال تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾سورة القصص، الآية:79.حذف حرف العطف في الآية الكريمة في قوله: "قال الذين يريدون" أي: وقال الذين يريدون، وعلة العدول على ما يبدو لتصوير مدى انبهار هؤلاء بزينة قارون "وقد أظهر قدرته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا"[3] مما أدى إلى الإسراع في قولهم لأنهم تمنوا أن يكون حالهم كحال قارون "على ما هو عادة الناس من الرغبة ...فتمنوا مثله"[4] ولتأدية مثل هذا الغرض يحذف حرف العطف حيث قال الزركشي: "الواو تحذف لقصد البلاغة فإنَّ في إثباتها ما يقتضي تغاير المتعاطفين، فإذا حذفت أُشعر بأن الكل كالواحد" [5]. وهو ما نلمسه عند قراءة الآية لاحقتها في قوله تعالى:" وقال الذين أوتوا العلم" حيث ذكر حرف العطف" الواو" لاختلاف تفكير الذين آمنوا وعدم اكتراثهم بزينة قارون وكنوزه.

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج01،ص 477.

[2] _ الأمالي، أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ج01،ص262.

[3] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي،ج04،ص 300

[4] _ أنوار التنزيل، البيضاوي، ج04،ص186.

[5] _ الزركشي، البرهان في علوم الإتقان،ج03،ص 210.

المبحث الثالث: الالــتـفــات:

يعد الالتفات من أكثر الظواهر الأسلوبية شيوعا في القرآن الكريم وأفشاها في اللسان العربي لما يحققه من نكت بلاغية ولطائف معنوية، وما يحدثه من تأثير في نفسية المتلقي بفعل تلوين الخطاب الذي يجري على أنماط شتى لأنَّه "مقصور على العناية بالمقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه"[1]. وهو من أهم التحولات الأسلوبية التي تحدث في التركيب اللغوي على مستوى الضمائر وصيغة العدد وأزمنة الفعل، إذ يتحول المتكلم من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب ومن المفرد إلى المثنى ومن الماضي إلى المضارع والعكس، خدمة لأغراض في نفس المتكلم والمتلقي والسياق على وجه الخصوص"كخاصية تتميز بطاقاتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول" .[2]

وردت مادة التفت في المعاجم العربية متفاوتة المعاني:" فاللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي، وصرف الشيء عن وجهته المستقيمة .لفت الشيء لويته ولفت فلان عن رأيه: صرفته،ولفت وجهه عن القوم صرفه والتفت التفاتا والتفت أكثر منه والتفت تلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه وصرف وجهه إليه في الحديث: (فكانت مني لفتة وهي المرة الواحدة من الالتفات)[3]

أما في الاصطلاح فهو " فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع... وهكذا الافتتان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستهشّ الأنفس للقبول"[4].وهو "لون من ألوان الترابط النصي عن طريق الضمائر" [5]وهو نقل الكلام " من حالة التكلم التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى حالة أخرى وهو نوع من الخروج عن المطابقة في الضمائر"[6] وقد عرّفه

[1]_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، ج02، ص 170.

[2]_ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 204.

[3]_ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة لفت، وينظر، ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة لفت.

[4]_ الكشاف، الزمخشري، ج01 ص44.

[5]_ النحو والنص، يوسف أحمد جاد الرب، دار غريب، القاهرة، دط، 2015، ص101

[6]_ اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1989، ص15.

عرّفه البلاغيون: "بالتعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[1]. والمقصود بالطرق الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة. ومن البلاغيين من لم يقتصر على هذا الضرب بل وسّع دائرة الالتفات لتشمل التنويع بين أزمنة الأفعال، وكذا الضمائر. وجعله القرطبي وأبو حيان الأندلسي من قبيل التلوين في الخطاب[2] قال أبو حيان الأندلسي: "وتلوين الخطاب في "يفترون" أقام المضارع مكان الماضي، إعلاما أنّهم مستمرون على ذلك"[3]

وانطلاقا من هذه التعاريف نرسو على أنَّ الالتفات، هو التحول والانتقال من صيغة إلى صيغة أخرى في الضمائر والعدد وصيغة الفعل، وبعبارة أدق هو خروج عن مقتضى الظاهر يخرج عنه صيغياً فيكتسب بذلك دوراً حيويا في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والالتفات عن المستوى المثالي للغة، يعتمد فيه المبدع إلى خرق نسق التعبير العادي، لينتقل إلى العدول بتغيير ضمائر الخطاب، فيكون الخطاب الجديد كمنبه يشد انتباه المتلقي فيدفع عنه الرتابة المألوفة في الكلام وكان العرب يراوحون بين أساليب الخطاب في كلامهم "ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه ...أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون بين لون ولون، وطعم طعم، ولا يحسنون قرى الأرواح فيخالفون بين أسلوب وأسلوب. وإيراد وإيراد فإنَّ الكلام المفيد عند الإنسان لكن بالمعنى لا بالصورة أشهى غذاء لروحه وأطيب قرى لها"[4]. و شدَّ أسلوب الالتفات انتباه النقاد منذ القدم حيث حيث قال الأصمعي للموصلي عن التفاتات جرير في بيته الشعري الذي قال فيه:

أَتَنْسَى إذْ تُودعُنا سُلَيْمىَ بِعُودِ بَشَامَة سُقِي البَشَامِ

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني،تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، ج02، ص86.

[2] ينظر الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمدالأنصاري القرطبي أبو عبد الله، ج14، ص327.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج03،ص134..

[4] مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي،تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط02 1987، ص86.

حيث قال: "ألا تراه مقبلا على شعري إذ التفت إلى البشام"[1]هذا القول ينم عن وعي القدماء بالظاهرة اللغوية والمصطلح ،وإن كانت مفهوميا مختلفة بعض الشيء عما استقر عليه المصطلح لاحقا.

بدأ وعي البلاغيين بالظاهرة يظهر جليا وتتضح معالمه مع أبي عبيدة، الذي تكلم عن القضية في كتابه مجاز القرآن تحت مصطلح المجاز حيث قال: "ومن مجاز ما جاء لفظه الواحد الذي له جمل منه ووقع معنى الواحد على الجميع قال: يخرجكم طفلا"سورة غافر، الآية:67. في موضع الأطفال... ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على الواحد كما في قوله تعالى: "والملائكة بعد ذلك ظهيرا" سورة التحريم، الآية: 04. في موضع ظهراء، ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب قال الله تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك و جرين بهم" سورة يونس، الآية: 22. أي بكم"[2]. حيث استعمل هذا الأخير لفظ المجاز ليتسع به في دلالته المقابلة للحقيقة الذي استعمله ليدل على كل الأساليب البلاغية في القرآن الكريم وعن سنن العرب وأساليبهم في الإبانة في التعبير.

والمتتبع لمصطلح الالتفات ومراحل تطوره إلى أن وصل إلى دلالته الوضعية،يجد أنَّ المبرِّد هو أول من أشار إليه "وخصَّ الالتفات وأخرجه من دائرة العموم لكي يخصه بتلوين الخطاب بالانتقال بالأسلوب من صيغة إلى أخرى من صيغ الخطاب أو الغيبة أو التكلم"[3] لما علَّق على قول الشاعر:

وَأَمْتَعَتْني على العَشَا بِوَليدَةٍ فَأُبْتُ بخيرٍ مِنْكَ يا هَوْذُ حَامِدا

فقال:"كان يعبر عنه ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد والمتكلم ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب."[4]*

ظهر مصطلح الالتفات أول ما ظهر على يد ابن المعتز في كتابه "كتاب البديع" حيث عرَّفه فقال:" هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما شبه ذلك ومن

[1] _ العمدة في الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، ج02، ص 37.38

[2] _ مجاز القرآن، أبو عبيدة ، ج01، ص 10،09.

[3] _ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص206.

[4] _ الكامل،المبرد، ج03، ص 23. *_ ظل القصور في ضبط المصطلح بمصطلح المجاز تارة ومصطلحات أخرى تارة أخرى وقد سار عليها كل من أبي عبيدة، والفراء والمبرد وابن قتيبة.

الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر قال الله تعالى :"حتى إذ كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة " سورة يونس، الآية: 22 وقال جرير:

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام

أتنسى يوم تصقل عارضيها بعود البشامة سقي الشام[1]

والملاحظ في نص ابن المعتز أنَّه اتسع في دلالة الالتفات فذهب إلى الانصراف من معنى إلى معنى وكأنَّه " كان متأثرا بإشارة الأصمعي السابقة، ومما يدعم ذلك لدينا أنَّ البيت الذي ينطبق عليه هذا النوع من بين الأمثلة لابن المعتز وهو البيت الثاني من أبيات جرير"[2]، إلاَّ أنَّ هذا لا ينفي أنَّ المصطلح لديه تناسب تام والظاهرة و ذلك أنَّه تكلم عن الانتقال بين الضمائر في الكلام .

ونقل السكاكي ظاهرة الالتفات من البديع إلى علم المعاني وذلك أنَّه رأى أنَّ فيه من خصائص التراكيب التي يلجأ إليها المتكلم لمراعاة مقتضى الحال، وذلك بعد إدراكه لظاهرة العدول التي تحدث على مستوى التركيب، ورأى ذلك في أبيات لمرئ القيس حيث قال:

تطـاول ليلـك بالأثـمد ونـام الخلـي ولـم ترقـد

وبـات وبـاتت لـه ليلـة كليلة ذي العـائـر الأرمـد

وذلك من نـبـأ جاءنـي وخبـرتـه عـن أبـي الأسود[3]

عدل الشاعر عن ضمير المتكلم، لأنَّ الأصل هنا مقتضى حال الكلام تطلب ذلك وعليه فإنَّ العدول الحاصل هنا لا يقاس على كلام سابق تحول فيه الشاعر من ضمير إلى ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب، وإنَّما قيس العدول على أصل الكلام أو ظاهر الحال الذي يقتضي ورود الكلام بضمير المتكلم فيقول "تطاول ليلي" بدلا من "تطاول ليلك" هذا في البيت الأول أما البيت الثاني فإنَّه يحوي تحولا أسلوبيا من الخطاب إلى الغيبة فقال: "وبات وباتت له ليلة" ثم تحول من الغيبة في البيت الثاني إلى التكلم "من نبأ جاءني"، والشاعر في بنيته العميقة يعي تمام الوعي أنَّ الأصل في

[1] _ البديع، عبد الله بن الأثير، تح: عرفان مطرجي، ط01، 2012 ص 58.59

[2] _ أسلوب الالتفات حسن طبل، ص 20.

[3] _ ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص 86، 87.

كلامه أنْ يرد بصيغة التكلم إلاَّ أنَّه عدل عنها واختار صيغة أخرى تماماً لحاجة يقتضيها الحال والمقام.

وذهب جمهور البلاغيين إلى أنّ التحول الحاصل في البيت الثاني والثالث من أبيات امرئ القيس من الالتفات، لأنَّه انتقال من صيغة إلى أخرى، وأنَّ البيت الأول يبتعد كل البعد عن أسلوب الالتفات، لأنه غير محول عن صيغة قبلية وهو خاضع للتقدير الوضعي للغة.

ولمحمد عبد المطلب رأي آخر في ذلك حيث قال: "وظاهر الحديث كان يقتضي البدء بلسان المتكلم فالعدول هنا ليس لالتفات عن كلام سابق، وإنمَّا بالنسبة للأصل الذي كان يجب أن يكون عليه الكلام وبهذا يدخل التجريد في مجال الالتفات"[1].

والحق أننا نميل كل الميل إلى رأي عبد المطلب في قضية الالتفات في البيت الأول لامرئ القيس،وذلك أنَّ الالتفات إلى جانب التحول الصيغي في الضمائر عدول تركيبي يخضع ويعود إلى أصل تقتضيه المواضعات اللغوية كخلفية وهمية يقاس على موجبها العدول .ثم إنَّ العدول لا يكون عدولا إلا إذا عدل عن أصل كان يفترض أن يكون عليه . وعليه فإنَّ التغير الأسلوبي الحاصل في "تطاول ليلك " هو عدول عن أصل وضعي يقتضي وضع ضمير المتكلم، وبالتالي هو من قبيل الالتفات ومثله في القرآن الكريم كثير .

أما عن دواعي الالتفات، فالزمخشري يرى فيه إيقاظا للسامع وتطرية له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر فالسامع قد يمل من الأسلوب الأول فيغير المتكلم صيغة الخطاب بنقله إلى أسلوب آخر لتنشيط المستمع واستمالته، وذهب بن الأثير إلى معارضة الزمخشري في أنَّ الكلام الفصيح البليغ لا تصحبه الملالة والسأم وأنَّه ليس هناك ضابط للعدول إلى الالتفات في الكلام. أما العلوي فقد ناصر الزمخشري في رأيه وذلك أنَّ الالتفات يزيد من بلاغة الكلام وحسنه حيث يكون أوقع وأكشف عن مكامن النفس وميولها[2].

[1] _ البلاغة والأسلوبية، عبد المطلب، ص206.

[2] _ ينظر: الطراز،العلوي، ج02، ص135

ويقول الزمخشري في الالتفات:"الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على واحد"[1]. وعليه فإنَّ أسلوب الالتفات يحقق فائدة إمتاع المتلقي وجذبه للإنصات للكلام عن طريق التحولات غير المتوقعة إضافة إلى ما تحمله كل صورة محولة من دلالات وإيحاءات معنوية جديدة لا يمكن حصولها إلا عن طريق الالتفات والانتقال.

تضاربت أراء البلاغيين حول تقسيم الالتفات فمنهم من اقتصر على المخالفة بين الضمائر،وتتسع دائرته عند بعضهم الآخر الذين أضافوا إلى جانب الصنف الأول التنويع بين صيغ الخطاب والتكلم والغيبة وشمل أزمنة الأفعال كذلك وبناء على ذلك يمكننا تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

المطلب الأول: التنويع بين صيغ الخطاب والتكلم والغيبة:

1 ـ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

يقف القارئ للكتاب الحكيم على العديد من نماذج الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وذلك لأغراض بلاغية يرمي إلى تحقيقها هذا الأسلوب ولنا وقفة متأنية على التحول من الغبية إلى الخطاب فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 83. ورد الكلام بصيغة الغيبة "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل" إلى الخطاب في قوله: " ثم توليتم" وهو ما يراه الزمخشري من الالتفات إذ يقول: " ثم توليتم على طريقة الالتفات: أي: توليتم على الميثاق ورفضتموه"2 تولى بنو إسرائيل عن ميثاق الله الذي أجراه مجرى القسم، فجاء بالخطاب بعد الغيبة لفظاعة ذنبهم بعد رفضهم للميثاق، ويرى ابن عطية الأندلسي أنَّ الخطاب في "توليتم" موجه للمسلمين إذ يقول:"ثم توليتم الآية خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وأسند إليهم تولي أسلافهم إذ هم كلهم بتلك السبيل"[3].

[1] _ الكشاف،الزمخشري ، ج01، ص 10.

[2] _ الكشاف،الزمخشري، ج1، ص 161.وينظر: المثل السائر، ابن الأثير، ج02، ص 173.

[3] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج1، ص173.

ونجد نفس الالتفات في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ سورة البقرة، الآية: 196.تحول الخطاب من الغيبة في قوله "تمتع" إلى الخطاب في قوله:"إذا رجعتم " وبلاغة الالتفات في الآية أنَّ بعد الاستمتاع بالعمرة إلى وقت الحج، أي إذا انتفع بالتقرب بها إلى الله وإذا فرغ منها وأتم الحج بعدها وفرغ منه ورجع إلى أهله والرجوع محبب والاستباحة بما كان محرما محببا لدى الجميع، انتقل الخطاب إلى الخطاب لشدة فرح الحاج برجوعه إلى أهله وكأنَّ الخطاب موجه إلى كل المسلمين في كل زمان ومكان فيتذكر متعة الحج والعمرة ثم يعود إلى الغيبة مرة أخرى في قوله تعالى: " ذلك لمن لم يكن" ويلتفت إلى الخطاب إذ يقول: "واتقوا الله" والالتفات هاهنا ورد بغرض تحذيرهم من الله وليحافظوا على أجر ثواب الحج والعمرة. [1]

ومن مواطن الالتفات قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: البقرة 272. وموضع الالتفات في الآية في قوله تعالى: " وما تنفقوا" بعدما ورد الخطاب صيغة الغيبة في قوله:" ليس عليك هداهم" في الالتفات إلى الخطاب مواجهة مباشرة للناس وتحذيرهم من الوقوع في المن والأذى مما ينفقون على أنَّ ما ينفقوه لأنفسهم ولا ينتفع به غيرهم ابتغاء وجه الله.وبيان لأجر النفقات فعدل إلى الخطاب لشدة اهتمام الله عز وجل بالانفاق والتصدق [2].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ سورة

[1] ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج1،ص233، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، أبو السعود بن محمدالعمادي الحنفي، تح: عبد القادر أحمد عطا، ج1، مكتبة الرياض،الحديثة ، دط،دت، ص125.

[2] ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج1، ص 296. و، التحرير والتنوير،الطاهر بن عاشور ، ج3ص 73.

آل عمران،الآية: 28. يتمثل العدول في الآية بالالتفات من الغيبة في " لا يتخذ" إلى الخطاب في قوله: " إلا أن تتقوا" ونكتة الالتفات إلى الخطاب أنَّ الله رخَّص لهم موالاة الكافرين لاتقاء شرهم ودون الميل إلى دينهم والتعامل معهم دنيويا كالتجارات والعهود والمصالحات بعدما نهاهم عن موالاتهم دون المؤمنين في بداية الآية بصيغة الغيبة.[1]

وقال تعالى في نفس السورة: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية: 55. الالتفات في الآية من الغيبة "من الذين كفروا" إلى الخطاب في قوله" ثم إلي مرجعكم" الكلام في الآية بين الله وعيسى عليه السلام عن تطهيره من خبث الذين كفروا وجوارهم وصحبتهم، ورافعه إليه فوردت عبارة من الذين كفروا بأسلوب الغيبة لأن الكلام عنهم عرضي، ثم عدل إلى الخطاب واكتسب طابع الخصوصية عند الحديث عن الذين اتبعوا النبي عيسى فغلَّب الله سبحانه وتعالى المخاطبين على الغائبين ولأنَّ الخطاب يحمل أمر الرجوع إلى الله ورد بأسلوب الخطاب الذي يكون أخص من أسلوب الغيبة.[2]

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة آل عمران، الآية: 179. ورد أسلوب الالتفات بعد الغيبة في قوله تعالى:" ما كان الله ليذر المؤمنين إلى الخطاب في قوله: على ما أنتم عليه"ونكتته البلاغية أن الخطاب موجه لكافة الناس بكل أديانهم واختلاط المؤمنين بالمنافقين فالخطاب "للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص كأنَّه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض، وأنَّه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم"[3]. والنفاق ليميز الخبيث من الطيب وهذا ما تفيده "ما" الموصولة ليخرج الخطاب من الخصوص إلى العموم ليخاطب كافة الناس في كل زمان ومكان.

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 321، و التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور، ج3، ص 220.
[2] _ ينظر: تفسير البيضاوي،ج1، ص 19، و الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 337.
[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 405.

ونرى أسلوب الالتفات في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة آل عمران،الآية: 180. بدأت الآية بأسلوب الغيبة في قوله تعالى:"ولا يحسبن "ثم التفت إلى الخطاب في قوله: "بما تعملون" والبلاغة فيه أنَّ الخطاب في مقام الوعيد فالخطاب في هكذا موضع أبلغ من الغيبة ورآه الزمخشري كذلك إذ قال: "وقرئ بما تعملون بالتاء والياء والتاء فالتاء على طريقة الالتفات، وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر."[1] وفي الخطاب كذلك إيحاء بشمول علم الله بكل أعمال عباده والبخلاء منهم الذين سيلزمون وبال ما بخلوا به من الزكاة حية تطوق أعناقم يوم القيامة للذين بخلوا عليه من ملكه، وله سبحانه وتعالى ميراث السموات والأرض[2].

ومن مواطن الالتفات في نفس السورة قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ سورة آل عمران، الآية: 195.بدأ سياق الآية الكريمة بأسلوب الإخبار بالغيبة في قوله تعالى: "فاستجاب لهم ربهم" ثم عدل عن ذلك إلى بمخاطبة كل عامل من الذكور و الإناث في قوله تعالى: "عمل عامل منكم". وورد الخطاب لمواجهة المخاطب بتوجيه الخطاب إليه مباشرة سواء كان ذكراً أو أنثى ولبيان شركة النساء مع الرجال في هذا الأمر و فيما وعد الله عباده العاملين.[3]

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء، الآية: 80.وردت الآية الكريمة بأسلوب الخطاب في قوله تعالى:" فما أرسلناك " بعد أسلوب الغيبة في قوله تعالى: " من يطع الرسول ". للدلالة على أنّه ليس رجلاً عادياً كما يزعمون، وإنما هو صاحب رسالة.

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج1 ، ص 406.
[2] _ المصدر السابق،ج1، ص 406.
[3] _ ينظر: المصدر السابق، ج1 ، ص 415.

والسِّر كذلك في هذا مرتبط بسبب نزول الآية، عندما قال الرسول _صلى الله عليه وسلم_ "من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله" فرد عليه المنافقون بعد سماعهم إياه: ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل؟ لقد قارف الشرك وهو ينهى أنْ يعبد غير الله، ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى، فخاطب المولى تعالى رسوله بخطاب يحمل نوعا من الخصوصية على أنه لا ينبغي الخروج عن طاعتك واتباعك لأنَّك لا تأمر إلاَّ بما يأمر به الله عز وجل وينهى عما نهى عنه فكانت طاعته لله وحبه لله كذلك.[1]

ويظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة النساء، الآية: 83. موضع الالتفات إلى الخطاب في قوله تعالى: "ولولا فضل الله عليكم" وحصل الالتفات لإبراز فضل الله وإنزال الكتاب وامتنان بإرشادهم إلى أنواع المصالح بعد عتاب الله على المؤمنين في التسرع بالإذاعة فورد العتاب بالغيبة، أما أسلوب الفضل والامتنان عدل فيه إلى الخطاب وهذا من عظيم الإعجاز في النظم القرآني.

ويظهر الالتفات في آية أخرى من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 06. العدول يتجلى في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله "ما لم نمكن لكم" لمواجهة أهل مكة بضعف حالهم تصغيراً من شأنهم وتكبرهم أي: لم نعطيكم كما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من أهل عصر من الأعصر، من بسطة الأجسام وسعة الأموال التي لا يتعاظمها، فهو القادر على تخريب بلادهم وإنشاء قرنا آخرين يعمر بهم بلادهم[2]. وقال أبو السعود: " أي مكنَّاهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال ومزيد بيان لشأن الفريقين"[3].

[1] _ ينظر: المصدر السابق، ج1، ص 480

[2] _ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج1،ص 212.

[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج2، ص 172.

والمتأمل في الآية الموالية يلتمس نفس النوع من الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 145.يظهر أسلوب الالتفات في التحول من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: "فخذها بقوة" فالخطاب هنا موجه إلى موسى عليه السلام وضمير الغائب له في بداية الآية عائد عليه.

يدور سياق الآية عن ألواح التوراة التي رفعت، وقد روي أنها كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت* فرفع ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيها رفع تفصيل كل شيء وكتب فيها كل ما يحتاجوه في دينهم من مواعظ وتفصيل الأحكام، ففي الخطاب استحضار للموقف للقارئ لتقويه درجة التأثر لديه[1].

وفي الآية التفات آخر، فعاد المولى عزَّ وجل إلى الغيبة بعد الخطاب في قوله:"وأمر قومك يأخذوا" ثم عاد إلى الخطاب مرة أخرى لتحقيق غرض بلاغي آخر في قوله:" سأوريكم" ويرى أبو السعود أنَّ في هذا الالتفات "تلوينا للخطاب وتوجيها له _ عليه الصلاة والسلام_بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ سورة الأنفال، الآية:35 نلحظ في الآية الكريمة التفاتا من الغيبة في قوله عز وجل : "وما كان صلاتهم"إلى الخطاب في قوله:" فذوقوا العذاب" والحال اقتضى هذا العدول لتعظيم عذاب الله الساري في الكفار و لمواجهتم به بسبب كفرهم وأفعالهم التي لا يقدر عليها إلا الكفرة [3].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج2، ص ص 64،68، و المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج2، ص 452.

*_ الألف واللام في الألواح عوض عن الضمير الذي يقدر وصله بين الألواح وموسى عليه السلام وتقديره في ألواحه وهذا كقوله تعالى:" فإن الجنة هي المأوى" النازعات :41، ينظر: تفسير المحرر ا الوجيز ، ج03، ص 452.

[2] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج3، ص 402.

[3] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج2، ص 118.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورةالتوبة، الآية: 03. أمر عظيم كالتوبة لا يناسبه إلا أسلوب الخطاب والمواجهة وذلك في قوله:" فإن تبتم" من الكفر والغدر أو ثبتم عن التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء أي: تبتم "عن الكفر ووعدتم مع شرط التوبة وتوعدهم مع شرط التولي وجاز أن تدخل البشارة في المكروه لما جاء مصرحا به مرفوع الاشكال."[1].

ويلتفت الأسلوب القرآني من الغيبة إلى الخطاب في آية أخرى من سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة التوبة، الآية:61. الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الآية يتجلى في قوله تعالى "أذن خير لكم "فالمقام يتطلب الخطاب فهو يرد على المنافقين الذين وسموا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم بالأذن * ومواجهتهم أي أنَّه "رحمة لمن آمن منكم أي: أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم، ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من مصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أن أذن خير لكم لا أذن سوء" [2].

وموضع آخر للالتفات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ سورةالتوبة، الآية: 111. انتقل الكلام إلى خطاب المؤمنين المجاهدين في سبيل الله في قوله تعالى "فاستبشروا" أي: وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة بعد صيغة الغائب التي وردت قبل الخطاب والمراد من هذا الالتفات ترغيب المؤمنين في الجهاد الذي عبر عنه في الآية بالبيع والشراء على طريقة الاستعارة التبعية والمبيع هو أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن هو الجنة، ويرى أبو السعود أنَّ في الالتفات إلى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة سرورهم على سرور واستبشار.[3]

---

[1]_ المحرر الوجيز،ابن عطية، ج03، ص 07،. وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج2، ص140.

*_ الأذن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع وأذن خير ك: رجل صدق وقرأ حمزة ورحمةٍ أي: أذن خيرٍ ورحمةٍ بالجر ثم فسر أنه أذن رحمة بأنه يصدق بالله. ينظر الكشاف، الزمخشري، ج2ص 172..

[2]_ الكشاف،الزمخشري، ج2، ص 172.

[3]_ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02،ص 609. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج03، ص83.

وقال الله تعالى في آية أخرى. ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ سورة يونس، الآية: 21. فقد جاءت لفظة تمكرون بصيغة المخاطب،* وقد ورد الكلام بصيغة الغيبة قبله ،لأنَّ سياق الموقف في الآية يكون فيه الخطاب أبلغ للماكرين في آيات الله، وأسرعوا إليه بعد أنْ مستهم رحمته عز وجل ودلَّت على ذلك إذا التي تدل على المفاجأة " كأنَّه قيل وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاء وقوع المكر منهم: وسارعوا إليه قبل أنْ يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ....فالله دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام"[1]. فعدل إلى الخطاب ليعلمهم بأسلوب مباشر على أنَّ مكره أسرع من مكرهم الذي لا يخفى على الله وهو منتقم منهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة يونس،الآية: 23. ورد الخطاب بصيغة الغيبة في قوله تعالى: "هم يبغون" والتفت إلى الخطاب في قوله:" يأيها الناس إنما بغيكم "وفي العدول إلى الخطاب سخرية من الذين يبتغون الفساد في الأرض،تقليلاً من شأنهم و تذكيراً لهم في نفس الوقت بشناعة ما يفعلون معناه: إنمَّا بغيكم وبال على أنفسكم وقال _صلى الله عليه وسلم_ :أسرع الخير ثوابا صلة الرحم، وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة.

ومن مواضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَـٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة يونس، الآية: 68. التفت الله سحانه وتعالى في الآية الكريمة من الغيبة في قوله تعالى:"قالوا اتخذ الله ولدا" إلى الخطاب في قوله تعالى: "إن عندكم من سلطان" إلى آخر الآية، ويرى المفسرون أنَّ مقام التوبيخ والإقراع يستدعي مخاطبة هؤلاء على اختلافهم وجهلهم وأنَّ العقائد لابد لها من قاطع وأنَّ التقليد فيها غير سائغ وفي قوله "أتقولون على الله ما لا تعلمون" دليل على أنَّ كل

*_ وقرأت تمكرون بالتاء والياء، وقيل مكرهم: قولهم سقينا بنوء كذا " وعن أبي هريرة " إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم،فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا" ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 216.

[1]_ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 216.

قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم فالله يتوعدهم بزوال نعمه عليهم وهو حال من يصير إلى العذاب.[1]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ سورة يوسف، الآية: 109. الالتفات إلى الخطاب في الآية يتجلى في قوله تعالى: "أفلا تعقلون" وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء والمقام هاهنا يستدعي الخطاب، فهو فيه أبلغ لأنَّه موجه إلى كافة الناس في كل مكان وزمان بغرض التأثير فيهم ودعوتهم إلى الله تعالى وأخذ العبرة من الأمم السابقة.[2]

وقال اله تعالى في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 28. العدول بالالتفات في الآية الكريمة يتجلى في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : "الذين تتوفاهم الملائكة"إلى الخطاب في قوله" الله عليم بما كنتم تعلمون" لأنَّه مقام الشماتة التي تستدعي خطابهم الذي يحمل معنى أن هذا أوان الجزاء، والرد عليهم لما نفوه وأنكروه بعد موتهم، والله أعلم بما في صدورهم لأنهم "جاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا "ماكنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من كفر"[3]

وفي قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ النحل47.

التفت الكلام في الآية الكريمة من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: "فإن ربكم"،والمتأمل في الآية يجد أن الخطاب ورد في مقام حلم الله عن عباده مع استحقاقهم لها ولا يعاجلهم بالعقوبة، وهذا

[1] _ينظر: ، الكشاف الزمخشري، ج02،ص231.وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج03، ص119، المحرر الوجيز، ج03، ص 131.

[2] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 357.

[3] _ المصدر السابق، ج02، ص 426

ما استدعى مخاطبتهم بعد تخوفهم من عذاب اللهو أو ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأحوالهم حتى يهلكوا كما هلك من قبلهم وهو خلاف "من حيث لا يشعرون" سورة الزمر، الآية: 25 [1] .

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 55. الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: "فتمتعوا" فظاهر الحال يقتضي ورودها بصيغة الغيبة إلاَّ أنَّ مقتضاه تطلب خطاب الكفار لأنَّه أمر تهديد ورآى المفسرون أنَّ "فتمتعوا" مبنيا للمفعول عطفاً على "ليكفروا" وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد والفاء للجواب فالله يتوعدهم بمخاطبتهم بسؤالهم يوم القيامة وأنَّ الله سيخذلهم يوم القيامة لأنَّهم قصدوا بشركهم نكران النعمة [2].

قال الله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ سورة النحل، الآية:56. في الآية عدول عن الغيبة في قوله" ويجعلون لما لا يعلمون" إلى الخطاب في قوله "تالله لتسألن عما كنتم تفترون" وقال الزمخشري: " ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تنفع وتضر وتشفع عند الله و"لتسئلن" وعيد وعما كنتم تفترون من الإفك في زعمكم أنه آلهة وأنها أهل للتقرب منها "[3] فالله سبحانه وتعالى في مقام توعد للكفار على افترائهم أن ما يقدم للأصنام سنن م الحق الذي أمر الله به فواجههم بالوعيد بأسلوب الخطاب المباشر[4] .

02ـ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

المتأمل للآيات لبعض الآيات القرآنية يلمس فيها العدول بالالتفات من الخطاب إلى الغيبة وذلك لتحقيق مرام بلاغية كإسناد الفعل لفاعل معين أو التهكم التحقير أو لسرد واقعة أو قصة ما ولأغراض أخرى نوردها فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ سورة الفاتحة، الآية: 07. في الآية الكريمة التفات من الخطاب الوارد في بداية الآية في قوله :"صراط الذين

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02،ص 441، وتفسير أبي السعود،ج03ص 368.
[2] _ ينظر: المصدر السابق، ج02ص 443، وتفسير البيضاوي، ج03، ص230.
[3] _ المصدر السابق، ج02، ص 443.
[4] _ ينظر: تفسير بن عطية، ج03،ص 401.

أنعمت عليهم" إلى الغيبة في قوله تعالى: غير المغضوب عليهم ولا الظالين" حيث أسندت النعم في البداية إلى الله عز وجل وهم الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام، وقيل هم أصحاب موسى عليه السلام، وقيل هم الأنبياء وغير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعم الله عليهم، وسلموا من غضب الله[1] فنسب الغضب والسخط والانتقام نسب إلى فاعل مجهول.

قال أبو السعود: "والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على مناهج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخير إليه عز وجل دون أضدادها وذلك كما في قوله تعالى:(إنا لا ندري أشر أريد بأهل الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)"[2]* فجاء أسلوب الخطاب لما كان الكلام عن النعمة والتفت إلى الغيبة لما كان عن الغضب الإلهي وانتقامه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 57 أبى الله سبحانه وتعالى مخاطبة الظالمين فذكرهم بصيغة الغيبة في الآية الكريمة في قوله تعالى : وما ظلمونا، بعد أنْ خاطبهم وعدَّد لهم نعمه عليهم في الدنيا في بداية الآية، والسر وراء هذا العدول كذلك يكمن في التهكم بهؤلاء الظالمين "الذين لم يقابلوا النعم بالشكر والمعنى ما وضعوا فعلهم في موضع مضرة لنا ولكن وضعوه في موضع مضرة لهم حيث لا يجب"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ سورالبقرة، الآية: 61. خاطب الله عز وجل اليهود في بداية الآية الذين استبدلوا الذي

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص 23.

[2] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج1،ص 33.

*_الفرق بين عليهم الأولى في أنعمت والثانية في المغضوب عليهم أن الأولى محلها النصب على المفعولية، والثانية الرفع على الفاعلية فأسندت النعمة إلى الله والغضب إلى الضالين والعصاة من اليهود والنصارى،ينظر: الكشاف،ج1، ص 35.

[3] _ أنوار التنزيل وأسرارالتأويل، البيضاوي، ج1، ص82.

هو أدنى بالذي هو خير، فجعلت الذلة محيطة بهم وضربت عليهم و وردت بصيغة الغيبة بعد الخطاب لأسباب بلاغية نعددها فيما يلي:

1 ـ عدلت الآية عن الخطاب إلى الغيبة في ضرب الذلة والمسكنة على اليهود، لتدخل في أسلوب السرد وتكون قصتهم عبرة لمن يعتبر في كل زمان ومكان.

2 ـ العدول إلى الغيبة نستشف منه أنَّ الذلة والمسكنة على كل اليهود المخاطبين منهم والغائبين،فالخطاب لا يقتصر على اليهود في وقت موسى فقط وإنمَّا اليهود الذين عاصروا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كذلك.

3 ـ ولأنَّ الكلام في مقام ذل ومسكنة وغضب إلهي على اليهود فإنَّ سياقًا كهذا لا يتناسب وأسلوب الخطاب فكانت الغيبة أنسب وأبلغ .[1]

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ سورةالبقرة، الآية: 108. الآية الكريمة سياقياً تابعة للآية سابقتها التي تكلمت عن النسخ في القرآن والتي نزلت في طعن الكفار واليهود في القرآن الكريم فقالوا:" ألا ترون محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا "[2] فحذَر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بخطابهم بعدم التأثر بأقاويل الكفرة.

وتحذيرهم كذلك من سؤال رسولهم كما سئل موسى عليه السلام من قبل من طرف اليهود لَّما طلبوا أمورا كانت وبالاً عليهم كقولهم " اجعل لنا إلها" و" أرنا الله جهرة" مخاطبا إياهم أنَّه هو مدبر أمرهم ومصالحهم وهو يجريها حسب ما يصلحكم، فأوصاهم في الثقة بما ينزل على رسولهم ثم عدل عن خطابهم إلى أسلوب الغيبة عندما تعلق الأمر بترك الثقة في آيات الله المنزلة والشك فيها،وفي ترك الخطاب إيحاء إلى أنَّ في تبدلهم غضب إلهي عظيم، وأنَّه سيلحق بهم كما ألحق بيهود موسى ولن ينظر الله إليهم فاستعمل أسلوب الغيبة الذي يعتبر الأنسب في هكذا موضع.

[1] ــ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 148.

[2] ــ المصدر السابق، ج01، ص 174.

وفي العدول إلى الغيبة كذلك تحذير و وعيد لهم من سؤال نبيهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما سُئل موسى، فصيغة "من يفعل" هي تحصيل للسؤال أي ومن يترك الثقة بالآيات المنسوخة فقد جار من حيث لا يدري على الطريق الموصل إلى معالم الحق[1].

وقال تعالى في نفس السورة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ سورة البقرة، الآية: 143. خاطب المولى تبارك تعالى رسوله الكريم ــصلى الله عليه وسلم ــ فقال : "القبلة التي كنت عليها "ثم التفت إلى الغيبة فقال: " لنعلم من يتبع الرسول" ،ولمعرفة السر وراء هذا الالتفات، وجب علينا الوقوف عند الآية الكريمة التي تتكلم عن قضية تغيير القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة التي جعلها كما في قوله تعال: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها" إلاَّ ليَعْلَم عزَّ وجل ويستثني، أي وما جعلنا ذلك إلاَّ لنمتحن الناس ونعاملهم معاملة الممتحن، ونَعلم من يتبع الرسول ومن لا يفعل[2]. فقلب الكلام إلى الغيبة ليكون بمثابة رسالة إشعارية للأتباع الرسول.

يقول أبو السعود: "جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا إلى أنَّ مضمون الكلام من الأسرار الحقيقية بأنَّ تخص معرفته بها عليه السلام ... وفي التوجه إلى ما أمر به من الدين أو القبلة أو الالتفات إلى القبلة مع إيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع"[3].

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ سورة البقرة، الآية: 200. ورد الكلام في الآية الكريمة بأسلوب الغيبة " فمن الناس" بعد الخطاب في قوله: فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله" وأكثروا وبالغوا في ذكره مثلما تفعلون مع آبائكم عند ذكر مفاخرهم وأيامهم فكانوا يذكرون أيام آبائهم ووقائعهم إذا فرغوا من تأدية مناسك الحج فدعاهم الله بمخاطبتهم بأنَّ

[1] ــ ينظر:الكشاف، الزمخشري ،ج01، ص 175، وينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص 237.

[2] ــ ينظر: إرشار العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص278.

[3] ــ المصدر السابق،ص 278.

يذكره أشد من مما يذكرون آباءهم[1]. ثم عدل إلى الغيبة والله أعلم ليعمم الرسالة على المخاطبين الذين يكثرون الذكر والدعاء وغيرهم المقللين في الدعاء المقصرين في حق أنفسهم في الإكثار من الدعاء. في ذلك الموضع وتلك الفترة أي"فإن الناس بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا، ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين"[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ سورة البقرة،الآية: 270. واجه الله سبحانه وتعالى عباده المنفقين في سبيل الله أو في سبيل الشيطان فإن الله يعلمه ولا يخفى عليه ما تفعلون، ثم خص الظالمين منهم بالكلام بأسلوب الغيبة فحرمهم شرف مخاطبتهم لأنهم منعوا الصدقات وينفقون أموالهم في المعاصي ولا يفون بالنذور وهو الأليق بجزالة النظم القرآن الكريم.[3]

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ سورة آل عمران، الآية: 40، النكتة البلاغية في الالتفات إلى الغيبة الوارد في الآية الكريمة في قوله :"كذلك الله يفعل ما يشاء " "لأنها صفة من صفات الله تعالى، وهو في مقام الإخبار بصفة من صفاته عز وجل أنَّ الله سبحانه وتعالى"[4] يفعل ما يشاء من الأفعال العجيبة ... ويفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات وعليه فإنَّ بيان صفات الله عز وجل يتناسب مع الغيبة لا الخطاب .

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ سورة النساء، الآية: 47.خاطبت الآية الكريمة الذين أوتوا الكتاب وأريد بهم اليهود وأسلوب المخاطبة ينم عن ابتغاء الوصول إلى التأثير النفسي الذي لا يتأتى إلا بالمخاطبة، ولأن المقام

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01،ص 239.
[2] _ المصدر السابق، ص 239.
[3] _ ينظر: المصدر السابق، ص 295.
[4] _ المصدر السابق، ص 330.

مقام ترغيب كذلك للوصول إلى قوارع الموعظة والإرشاد وهو شأن الحكماء والناصحين والخطباء وذلك قصد هدايتهم ووعظهم [1]ثم عدل إلى الغيبة لما تعلق الأمر بالوعيد والترهيب واللعنة.

والغيبة في هذا المقام أليق وأنسب قال الزمخشري: "من الراجح في قوله أو نلعنهم قلت:للوجوه إن أريد الرجاء أو لأصحاب الوجوه لأنَّ المعنى من قبل أنْ نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات، واللعنة أن نجزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت"[2].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ سورة النساء، الآية: 64 ورد الخطاب بأسلوب الغيبة في قوله تعالى:" واستغفر لهم الرسول" بعد مخاطبة الرسول في قوله:"جاءوك "عادلين عن نفاقهم تائبين عن كل المعاصي التي ارتكبوها ،حتى كان الرسول _عليه صلوات الله_ شفيعا ومستغفرا لهم عند الله، والنكتة البلاغية في هذا العدول "تفخيما وتعظيما بشأن الرسول،_صلى الله عليه وسلم_ وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على شفاعة من اسمه الرسول من الله بما كان "[3].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ سورة النساء، الآية: 78.ورد الكلام بمخاطبة المنافقين الذين يرهبون القتال في سبيل الله خوفا من الموت ويخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية منها، فأخركم أنَّ الموت سيدرككم وإنْ كنتم في بروج مشيَّدة أي: أينما كنتم فسيدرككم الموت وموضوع صارم كموضوع الموت يتطلب أسلوب الخطاب، والظاهر يقتضي أن يتم كل الكلام بهذه الصيغة إلا أن المقام تطلب العدول عنه بالاتفات إلى الغيبة عند الحديث عن نفاقهم وفي ذلك استهزاء بهم وتقليل من شأنهم بحرمانهم من شرف الحضور في القرآن الكريم[4].

[1] _ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج05، ص78.
[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص465.
[3] _ المصدر السابق، ج01 ص472.
[4] _ ينظر: المصدر السابق، ص 478.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 15.في الآية الكريمة التفات من الخطاب في قوله تعالى: "أو تقولوا" إلى الغيبة في قوله تعالى:"فمن أظلم "، والسر كامن في أنَّه خاطبهم في بداية الآية فواجههم بأنَّه يعلم ما في قلوبهم بكفرهم بعد قيام الحجة عليهم،"ومخاطبتهم وقطع تعلقهم في الآخرة ...وأنهَّم غافلون عن الدراسة والنظر في الشرع وأنهم لو نُزِّل عليهم الكتاب لكانوا أسرع إلى الهدى ...فقيل لهم قد جاءكم بيان من الله وهدى ورحمة "[1] ثم عدل عن الخطاب بعد إقامة الحجة عليهم فحسن التقرير بقوله " فمن أظلم ممن كذب بآيات الله " بصيغة الغائب في الضمير الموصول أي: فمن أظلم وأظل من المكذب الذي علم بصحة صدق آيات الله في قرارة نفسه ثم أعلن كفره فالمقام مقام خزي لكل المكذبين لا يناسبه الخطاب البتة والله أعلم بمراده. [2]

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 26.حصل الالتفات في الآية الكريمة من الخطاب في بداية الآية الذي أريد به تعظيم لباس التقوى فخاطب القارئين عند التكلم عنه وفي ذلك تفضيل له على لباس الزينة وإشعارا بأن التستر من عظيم التقوى،إلى الغيبة في قوله عز وجل: "لعلهم يذكرون" عندما عاد إلى تذكير الناس بعظيم نعمة لباس التقوى وضمير الغائب عائد على أصحاب السوأة ومن كان يتعرى في طوافه بالبيت والغيبة أنسب في هذا المقام.[3]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا

[1] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج02،ص 365.

[2] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01،ص 271.

[3] _ ينظر: المحرر الوجيز، تفسير ابن عطية، ج02،ص390، وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 14.

ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 160. في الآية انتقال من الخطاب في قوله: كلوا من الطيبات إلى الغيبة في قوله تعالى: "كانوا أنفسهم يظلمون" وفي هذا الالتفات تحقيق لأغراض بلاغية وهي أن الله سبحانه وتعالى يترفع عن مخاطبة الظالمين بطريقة استهزائية أي: أن ضررهم ما رجع إلينا ولكن بكفرانهم ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بأنفسهم وفي الغيبة كذلك إشارة إلى أن الكلام وجه إلى كل من ظالم عبركل زمان ومكان وهذا من بديع نظمه عز وجل[1].

والتفت الله تعالى عن الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ سورة الأنفال، الآية: 01.موضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في الآية الكريمة يتجلى في قوله تعالى:"الأنفال لله والرسول" بعد قوله تعالى: " يسألونك" بصيغة الخطاب ولعل سبب هذا العدول راجع إلى كون الكلام المعدول ردا على سؤال الرسول عن الأنفال * بعد أن اختلف المسلمون في غنائم بدر وفي قسمتها ومفاد الرد بالغيبة ذكر لفظ الرسول تعظيما لشأنه أي: " حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول _ صلى الله عليه وسلم_كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه أحد ... وأنها لرسول الله ولا حق فيها للمنفل كائنا من كان." [2]

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ سورة التوبة، الآية: 61 موضع الالتفات في الآية إلى الغيبة في قوله تعالى: " يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين" بعد الخطاب في قوله: "قل" والمتأمل في هذا العدول يرى أن في الغيبة توصيف لرسول صلى الله عيه وسلم بالإيمان، وهو تتمة للكلام السابق الوارد بصيغة الخطاب أي: قل نعم أنا أذن وأنا خير لكم ثم يصف الله عز وجل رسوله الكريم وذلك قصد تعظيمة بأنه وإن كان أذن حسب رأييكم فهو رسول الله يؤمن به ويحمل رسالته[3].

[1]_ ينظر : الكشاف،الزمخشري، ج02، ص 74

*_ الأنفال: الغنيمة لأنها من فضل الله تعالى وعطائه ، والنفل ما ينفله الغازي. ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج02، ص 95.

[2]_ إرشاد العقل السليم، أبي السعود، ج02، 460ص. وينظر: الكشاف،الزمخشري، ج02، ص 95.

[3]_ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 525.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ سورة يونس، الآية: 22. العدول في الآية الكريمة بالالتفات من الخطاب في الآية وذلك بعد أن أعقب عز وجل الكفران بذكر نعمه عليهم وخاطبهم بأنه منجيهم في البر والبحر وفي هذا كذلك إيحاء بأن الله يمهلهم ولا يهملهم بعذابه وقال الطاهر بن عاشور: " في كل ذلك امتنان عليهم بالنعمة وتسجيل لكفرانها ولتوارد الآيات عليهم ولكيلا يغتروا بالإهمال فيحسبوه رضى بكفرهم أو عجزا عن أخذهم "[1] ويرى أن الإتيان بضمير الغيبة تصريح بأن النعمة مستهم والمراد منها تخويفهم وهو تمهيد لقوله تعالى " وجاءهم الموج من كل مكان" [2]. فعدل إلى الغيبة لما أراد ذكر الضراء لتلوين الكلام ليخلصه إلى ما يخص المشركين في قوله: "وجرين بهم" فصرف الكلام إلى الغيبة " للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ سورة هود، الآية: 03. العدول حاصل في الالتفات من الخطاب الظاهر في بداية الآية إلى الغيبة في قوله تعالى: ويؤت كل ذي فضل فضله فمقتضى الظاهر كان يستوجب ورد الكلام بالخطاب على هذه الشاكلة: يؤتيكم فضله والحكمة وراء هذا أن يأمر عباده بالاستغفار والتوحيد والتوبة إليه عز وجل ليمتعهم في الدنيا ويعطي من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله في الثواب والدرجات في الجنة تتفاضل وتتفاوت حسب الأعمال فالفضل ليس للجميع وإنما مخصص لأصحابه[4]وهذا من رشاقة نظم الكتاب الحكيم.

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 01. بكان يقتضي الظاهر قوله " عما تشركون" فالتفت إلى الغيبة في قوله

[1] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11، ص 135.
[2] _ ينظر: المصدر السابق، ج11،ص 135.
[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 216.
[4] _ ينظر: المصدر السابق، ج02،ص 247.

تعالى" وتعالى عما يشركون" بعد مخاطبته لهم عن أمر الساعة، ونكتة العدول هي ترفع الله سبحانه وتعالى عن مخاطبة المشركين الذين يستعجلون الساعة ويستهزئون بالله تبارك وتعالى وهو من الشرك "ففي الغيبة إيذان باقتضاء ذكر قباحتهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب ولحكاية شنائعهم"[1].

وفي نفس النسق قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ سورة الإسراء، الآية: 64.خاطب المولى تبارك وتعالى الشيطان بمواجهته بأن يستخفف ويخدع من استطاع خداعه كي يقع في إرادته ووعدهم بالمواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة ثم يعدل إلى الغيبة وعن مخاطبته لذكر اسم الشيطان فذكر اللفظ تصوير لشناعته وقبحه ولعونته التي يدركها السامع بعد سماع اسمه الملعون والذي لا يعد إلا كذبا،و في الغيبة كذلك توصيف للشيطان بأنَّه يغرر بمن يتبعه [2]

وقال الله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ النور 12. انتقل الكلام من الخطاب الواضح في بداية الآية إلى الغيبة في قوله : "ظن المؤمنون" ليبالغ في لوم المؤمنين لمن ساءهم ما أفك بهم على عائشة ــ رضي الله عنها فأخبرهم عن عتابه بعد أن خاطبهم في قوله: " إذ سمعتموه" أن هذا خيرلهم إذ كسبوا فيه ثوابا. [3]

03 – الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

يلتفت من التكلم إلى الغيبة وورد هذا الأسلوب كثيرا في القرآن الكريم وذلك لتحقيق أغراض بلاغية نحصرها في: ذكر اسم الجلالة لتعريف به أو لإحداث هزة نفسية تثير السامعين، وللتفسير والتنبيه، والتخصيص ونرى هذا فيما يلي:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 23. الالتفات في الآية إلى

[1] ــ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص332.
[2] ــ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02،ص 498.
[3] ــ ينظر: المصدر السابق،ج03، ص192.

أسلوب الغيبة في قوله تعالى: "من دون الله" بعد صيغة التكلم على لفظ التنزيل في قوله "مما نزلنا" والتكلم هنا لإسناد التنزيل إليه وحده ودعوتهم لأنْ يأتوا بسورة واحدة مما نزل على عبده مما هو في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم "فادعوا شهداءكم من دون الله" "ومعنى "دون " أدنى مكان من الشيء ومنه الدون وهو الدني الحقير...يقال هذا دون ذاك "[1]. ففي العدول إلى الغيبة ذكر لاسمه جلَّ جلاله مع لفظ دون تجاوز من حد إلى حد أي: ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله، وفي هذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وخزيهم أمام الحجة التي أبهرتهم [2].

وقال الله تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ سورة آل عمران، الآية: 11. في الآية الكريمة عدول من التكلم في قوله تعالى: كذبوا بآياتنا" إلى الغيبة في قوله "فأخذهم الله" والسِّر وراء هذا العدول عن مقتضي الظاهر أنَّه إظهار للفظ الجلالة لإحداث هزة نفسية في السامعين وأنَّ الله الواحد الأحد سيتولاهم أي سيكون حالهم كحال آل الفرعون وغيرهم الذين كذبوا آياتنا [3]

وفي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقَا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهَا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ سورة النساء، الآية: 47. العدول إلى الغيبة في قوله تعالى: "وكان أمر الله مفعولا" بعد صيغة التكلم في قوله : "بما نزلنا ، ومن قبل أن نطمس ، ونلعنهم كما لعنا" وفي هذا التحول نكتة بلاغية وهي أن الله يتوعدهم بالطمس واللعنة إن لم يؤمنوا وفي ذكر لفظ الجلالة دلالة على تحقق وعده بلعنة اليهود والله أعلم بمراده [4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ سورة الأنعام، الاية: 34. تحول الكلام في الآية من صيغة التكلم في قوله تعالى: " أتاهم نصرنا" إلى الغيبة في قوله تعالى: "لا مبدل

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج01،ص 106.
[2] _ ينظر: المصدر السابق، ص 106.
[3] _ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1، ص 405.وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 314.
[4] _ ينظر : الكشاف، الزمخشري، ج01،ص 456.

لكلمة الله" و كان ظاهر الحال بأن يقول: "لا مبدل لكلماتنا" إلا أنَّ مقتضى الحال تطلب العدول عن التكلم وذكر اسمه عز وجل لبيان عظمته و هيبته وأنَّه لا مبدل لكلمات الإله الله الواحد الأحد.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 26.خاطب الله عزَّ وجل الناس وكلَّمهم بصيغة التكلم فقال:"وقد أنزلنا" ليبيِّن أنَّه هو وحده المنزل لكل ماهو خير لهم،ثم عدل إلى الغيبة في قوله تعالى: " ذلك من آيات الله" ففي الغيبة ذكر للفظ اسمه عز وجل وفي ذلك دلالة على فضله ورحمته على عباده .[2]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ سورة المؤمنون، الآية: 14. أسندت الأعاجيب الإلهية في خلق الإنسان ومراحل تكوينه في رحم أمه إلى فاعلها وهو الله عزَّ وجل بصيغة التكلم في قوله تعالى:"ثم خلقنا، فكسونا ، ثم أنشأنه"، ثم التفت إلى الغيبة في قوله "فتبارك الله"، "والالتفات إلى اسمه الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأنّ ما ذُكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية وللإيذان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عزَّ وعلا أو يلاحظه إلى التكلم به إجلالا وإعظاما لشأنه تعالى"[3].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة فصلت، الآية: 40. الالتفات في في الآية الكريمة من التكلم في قوله عز وجل: "إنَّ الذين يلحدون في آياتنا " إلى الغيبة في قوله: "إنه بما تعملون بصير"، والسر في العدول أنَّ الذين كفروا بالقرآن حرفوا تأويله وطعنوا فيه فجاء إخبارهم أنَّ الله بكل شيء بصير بصيغة الغيبة:

[1] _ ينظر: المصدر السابق، ص 615.

[2] _ ينظر: المصدر السابق، ج02، ص 14.

[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 53.

1: لمراعاة توافق الجانب الصوتي في السورة والتي تكرر فيها لفظ: "إنه" في أكثر من موضع "إنَّه هو السميع العليم، إنَّه على كل شيء قدير، وإنَّه لكتاب عزيز..."

2: في صيغة الغيبة رسالة موجهة من الإله عبر رسوله الكريم أي :قل لهم يا محمد أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا وقل لهم كذلك إن الله يتوعدهم وأنه بما تعملون بصير.[1]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ سورة الجاثية، الآية:06. ومن الالتفات تحول الخطاب في الآية الكريمة من التكلم في قوله تعالى:" نتلوها"وقرئ يتلوها بالياء إلى الغيبة في قوله تعالى :" بعد الله وآياته"، وذلك أنَّه عاد إلى نمط الكلام الوارد بأسلوب الغيبة في بداية الآية في قوله :" تلك آيات الله" أي فبأي حديث بعد آيات الله يؤمنون[2].

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ سورة الحجرات، الآية: 13 تتحدث الآية الكريمة عن ترك التفاخر والتفاضل بالأنساب لأن الله خلق كل واحد من أب وأم وهما _آدم وحواء_ ،وقد خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتناسبوا، وهذه الحكمة التي من أجلها جعلهم شعوبا وقبائل، وكل هذا ورد بصيغة التكلم، ثم عدل عنها إلى الغيبة في قوله: "إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم"، وهو بمثابة شرح وتوضيح لسبب عدم التفاخر"كأنَّه قيلَ لِمَ لا يتفاخر بالأنساب ؟ فقيل لأنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنْسبَكم" [3].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ سورة الحديد، الآية: 22. في الآية الكريمة التفات من التكلم في قوله تعالى: "قبل أن نبرأها" إلى الغيبة في قوله تعالى:"ذلك على الله يسير" ،وفي هذا تخصيص التيسر لله وحده أي: إنْ كان عسيراً على العباد فإنَّه يسيرٌ على الله فقط.[4]

[1] _ ينظر: المحرر الوجيز،تفسير ابن عطية، ج05، ص 18.
[2] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 248.
[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 323.
[4] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 409.

ونرى نفس الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ سورة التحريم ، الآية:12.في هذه الآية عدول بالالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: "وصدقت بكلمات ربها" ،أي صدقت الكلمات والكتب الصادقة وكلمات ربها تعني صحفه التي أنزلها على إدريس وغيره وبكتبه الأربعة،وفي الغيبة تعريف للإله الذي تعبده مريم وهو رب الأنبياء والمرسلين. [1]

04 ـ الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

يعدل عن الغيبة إلى الخطاب لتحقيق العديد من الأغراض البلاغية منها التأكيد والتخصيص وأغراض أخرى نعرضها من آيات القرآن الكريم فيما يلي:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ سورة البقرة، الآية: 197. تكلم الله سبحانه وتعالى مع أولي الألباب المتقين بصيغة التكلم، وذلك بعد مخاطبتهم بصيغة الغيبة في قوله تعالى: "وما تفعلوا من خير يعلمه الله"، والسِّر وراء إسناد ضمير التكلم عند حديثه عن التقوى، ولأنَّ الخطاب موجه إلى أولي الألباب عنده تعالى فخاطبهم مباشرة وأمرهم بأنْ يتقوه بضمير المتكلم، أي خافوا عذابي يا أولي الألباب، وقضية اللب هي تقوى الله ومن لم يتقه من الأولياء فكأنَّه لا لب له. [2]

كذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ سورة النساء، الآية: 37. نزلت الآية "في شأن اليهود الذين كتموا صفة الرسول ــصلى الله عليه وسلمــ، وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله " فعدل الله سبحانه وتعالى عن الغيبة في قوله:"ويكتمون ما آتاهم الله من فضله" إلى التكلم في قوله تعالى: "واعتدنا للكافرين" وبلاغة هذا العدول أنَّ الله يتوعَّدهم شخصياً بإسناد

[1] ــ ينظر: المصدر السابق،ج04، ص 487.

[2] ــ ينظر: المصدر السابق، ج01، ص 235.236.

ضمير المتكلم إلى الفعل، وذلك لشناعة صنيعهم لما كتموا فضل الله عليهم أي أنَّ الله العظيم هو المشْرف على عذابهم، وسيكون عذابهم مهين لأنَّه منه .[1]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّ مُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة المائدة، الآية:03 خاطب الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا وحرم عليهم ما يجب تحريمه من أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله، وورد اسمه عز وجل بصيغة الغيبة ثم عدل إلى التكلم في قوله تعالى: "فلا تخشوهم واخشون"، وكان ظاهر الحال أنْ يرد اسمه بالغيبة تبعا للكلام السابق فيقول: فلا تخشوهم واخشوا الله واليوم أكمل الله لكم دينكم إلى آخر الآية.

وعدل إلى التكلم ليهب المخاطبين وهم الذين آمنوا والصحابة رضوان الله عليهم شرف حضوره في الخطاب، ولأن مقام الآية مقام يكتسيه الطابع التأثري بإكمال الدين ونعمته عز وجل وهي الإسلام، استوجب العدول إلى التكلم الذي يجد فيه القارئ للآية أو السامع لها أمام حالة تأثرية وجدانية رائعة، وروى عن أبي بكر الصديق أنَّه بكى عند سماعه الآية وهذه الروعة لا يمْكنها أنْ تتحقق بصيغة الغيبة.[2]

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 61. أسند ضمير المتكلم للفظ الجلالة إلى الرسل في قوله تعالى: "إلى رسلنا" وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: "وهو القاهر فوق عباده"،والسر وراء هذا الالتفات للإشارة أن من يقبض أرواحهم هم رسل من عند الله " لا تتوانى ولا تتأخر عن الجد ...ولا ينقضون مما أمروا به ولا يزيدون فيه" وذلك لأنهم مرسلون من طرف الله". [3]

[1] _ ينظر: المصدر السابق، ج01،ص 458.459.

[2] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 536.وينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 10.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 633.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ سورة يوسف، الآية: 24. ورد لفظ الله عز وجل بصيغة الغيبة "وربه" ثم التفت إلى التكلم سبحانه وتعالى فقال: لنصرف عنه"*، والنكتة البلاغية في هذا العدول إشارة إلى أنَّ يوسف عليه السلام في عصمة ربه وأنَّه هو وحده من سينجيه لأنَّه من عباده المخلصين، فأسند صرف السوء إلى الله بصيغة المتكلم لأنَّه هو من يتولاه وينجيه أي: أنَّه كذلك في عصمتنا لنصرف عنه السوء.[1]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ سورة مريم، الآية: 09. الالتفات في الآية يتجلى في قوله تعالى بصيغة الغيبة " كذلك قال ربك"،والعدول عنها إلى صيغة التكلم في قوله تعالى: "هو علي هين" وذلك أنَّ في الأسلوب الأول "إشارة إلى مبهم يريد الله أن يفسره"، وهو أنَّ كل شيء هين على الله فأسند إلى ضمير المتكلم، أي ذلك يهون علي لأني خلقتك أنت من قبل وكنت منعدما فأسند الخلق لعظمته إليه بصيغة التكلم أي أسند الشيء العظيم للعظيم وهو عليه هين[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ سورةطه، الآية: 53.خرج الكلام عن الغيبة والتفت إلى التكلم في قوله تعالى: " فأخرجنا به"، والسر وراء هذا العدول أنَّ "كلام موسى تم عند قوله "وأنزل من السماء" ثم وصل الله تعالى كلام موسى بإخباره لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمراد الخلق أجمع فهذه الآيات منبه عليها "[3] فتكلم بصيغة الغيبة لما كان الكلام عن موسى لأنَّه غائب وأحداثه قد مضت، ثم عدل إلى التكلم لما خصَّ الكلام محمد ـصلى الله عليه وسلم ـ باعتباره حاضر.

وقال الله عزَّ وجل في آية أخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ سورة الفرقان، الآية: 48.عدل عن الغيبة في قوله تعالى: هو الذي أرسل الريح"

*ـقرأ الأعمش" لنصرف "بالياء على الحكاية عن الغائب: ينظر: تفسير بن عطية، المحرر الوجيز، ج03، ص 235.

[1] ـ ينظر: المحرر الوجيز، تفسير بن عطية، ج03، ص 235.

[2] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 03، ص 08.

[3] ـ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج04، ص 47.

إلى التكلم في قوله: " وأنزلنا"، والمتأمل للآية يجده يتكلم عن رحمته سبحانه وتعالى بصيغة الغيبة ولما تعلق الأمر بأعظم نعمه سبحانه وتعالى آلا وهي نعمة الماء عدل إلى التكلم لأنَّه وحده من ينزلها فتوصيف الماء وإسناد النزول إليه سبحانه وتعالى "إشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فإنَّ الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه"[1] فلما كان الماء نعمة على بني آدم تم إسناد النزول إليه تبارك وتعالى ليعلم عباده أنه هو المنعم دون سواه.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ سورة النمل، الآية: 60. عدل الله سبحان وتعالى عن الغيبة في قوله : "أمن خلق السموات والأرض" إلى التكلم في قوله تعالى:" فأنبتنا" ليخص ذاته بفعل الإنبات دون غيره، وقال البيضاوي: "عدل به من الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أنَّ إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره" [2]وهذا من عظيم نظمه تبارك وتعالى.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ سورةالسجدة، الآية: 02 انتقل الله عزَّ وجل إلى صيغة التكلم في قوله تعالى : "إنا من المجرمين منتقمون"، وفي هذا العدول دلالة على أنَّ الله هو من سيتولى أمر الانتقام من الظالمين أي: "كل من اتصف بالإجرام وإنْ هانت جريمته، فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشدَّ جرما من كل مجرم"[3].

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ سورة الصف، الآية: 14 الالتفات في الآية الكريمة من الغيبة الواضحة صيغتها في بداية الآية إلى التكلم في قوله تعالى:"

[1] _ أنوار التنزيل، تفسير البيضاوي، ج04، ص 125.
[2] _ أنوار التنزيل، تفسير البيضاوي ، ج04، ص 162.
[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 395.

فأيدنا الذين آمنوا"، وبلاغة العدول أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى تولى تأييد المؤمنين بذاته وذلك بإسناد التأيد إليه عزَّ وجل أي أنَّه أيدهم على كفارهم " فظهروا عليهم" [1].

05 ـ الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

ورد أسلوب الالتفات من التكلم إلى الخطاب في القرآن الكريم تلبية لحجات المقام ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 60.عدل الله سبحانه وتعالى عن التكلم إلى الخطاب في قوله "كلوا واشربوا من رزق الله"، وذلك أنَّه حين استعمل صيغة الغيبة كان في مقام كلَّم فيه موسى وأمره أنْ يضرب بعصاه الحجر، وعدل عنها لأنَّه أراد أن يخاطب ويحاور الناس بأسلوب مباشر بأنْ يأكلوا من رزق الله كما خاطبهم وأمرهم بعدم إفساد ما رزقهم الله إياه. [2]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 164. عدل عن التكلم في قوله تعالى: " أغير الله أبغي ربا" إلى الخطاب في الآية الكريمة في قوله تعالى: "ثم إلى ربكم مرجعكم " لحاجة المقام لذكر كلمة ربكم وإسنادها لضمير المخاطبين لما تحدثه من هزة نفسية تثير السامعين وتدعوهم وترشدهم إلى التوبة والتقوى [3].

وفي قوله عز وجل:وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 145. عدل الله سبحانه وتعالى عن التكلم في قوله تعالى: "وكتبنا له في الألواح " وأسندت الكتابة إليه عزَّ وجل، لأنَّ الألواح كانت منقوشة على الحجر وليست من صنيع الإنسان، ثم عدل إلى الخطاب في قوله تعالى " فخذها بقوة"، ويقول الطاهر بن عاشور في هذا الالتفات:" تعين أن يكون قوله فخذها

[1] ـ الكشاف، الزمخشري، ج04،ص449.

[2] ـ ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج01، ص 83.

[3] ـ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج01، ص 674.

بدلا من قوله " فخذ ما آتيتك بدل اشتمال لأنَّ الأخذ بقوة يشتمل عليه الأخذ المطلق وقد اقتضاه العود إلى ما خاطب الله به موسى إثر صعقته إتماما لذلك الخطاب فأعيد مضمون ما سبق ليتصل ببقيته فيكون بمنزلة أنْ يقال خذ ما آتيتك بقوة وكن من الشاكرين "[1].

المطلب 02: التنويع بين أزمنة الفعل:

يشمل هذا النوع من الالتفات التنويع في أزمنة الفعل في التركيب الواحد فيعبر بالحاضر عن الماضي وعن الماضي بالحاضر قصد تحقيق مقاصد وغايات بلاغية ومن أقسام الالتفات في أزمنة الفعل مايلي:

01 ـ الالتفات من الماضي إلى المضارع:

يعدل عن الماضي إلى المضارع في القرآن الكريم لاسترجاع أحداث ماضية ولتحقيق غرض الاستمرارية في الدلالة التعبيرية للكلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 87 ورد الفعل في آخر الآية بصيغة المضارع في قوله تعالى "وفريقا تقتلون"، وذلك بعد صيغة الماضي في كل أفعال الآية وإنما عدل عن الماضي إلى المضارع لفظاعة فعلهم واستعمل المضارع لاستحضاره في نفوس السامعين.

يقول الزمخشري في هذا العدول: "هلا قيل وفريقا قتلتم ؟ قلت: هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لأنَّ الأمر فظيع فأريد، فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأنْ يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون فوق قتل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لو لا أني أعصمه منكم، لذلك سحرتموه وسممتم له الشاه"[2] فالعدول إلى صيغة المضارع يحتمل تفسيرين اثنين: أولهما أنْ يراد استحضار الحدث لتصوير شناعته وثانيهما أن يراد تعميم القول على المتحدث عنهم في الآية وعن أعداء الرسول محمد ــصلى الله عليه وسلم ــ.

[1] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج09، ص 99.
[2] ــ الكشاف،الزمخشري، ج01، ص 163.

وفي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ سورة البقرة، الآية: 212. عدل عن صيغة الماضي في قوله تعالى:"الذين كفروا" إلى صيغة المضارع في قوله تبارك وتعالى: "و يسخرون من الذين آمنوا"، ليصور حدث السخرية للسامعين وكأنَّهم يشاهدون صنيعهم الشنيع وهم يستهزئون و يسخرون من المؤمنين الفقراء كابن مسعود وعمار وصهيب وممن لم يسعفه الحظ في دنياه ومن الذين يترفعون عن الدنيا ويطلبون غيرها[1].

وقال عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 99. استعمل الله سبحانه وتعالى صيغة الماضي لأنَّه في مقام سرد لمراحل كيفية نمو النبات، ثم عدل إلى صيغة المضارع فجأة داخل التركيب في قوله تعالى: نخرج منه".

ولعل النكتة البلاغية وراء هذا العدول والله أعلم هي أنَّ الحب المتراكب هو أهم مرحلة ينتظرها الناس من النبات وهي مرحلة ظهور الثمار على الشجر والنبات[2]، ولما كانت كذلك جاءت بصيغة المضارع وبصيغة التكلم ليؤكد الله سبحانه وتعالى على أنَّه هو وحده من يخرج الحب والثمر من النبات وهذا لما تحمله عملية الإثمار من إعجاز علمي يعجز غير الله أنْ يأتي به فرد الكلام بصيغة المضارع وأسند الخروج إليه عز وجل.

ومنه قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 131.السر وراء العدول إلى صيغة المضارع في قوله تعالى : "يطيروا بموسى" أن الله سبحانه وتعالى يخبر عن حال هؤلاء الذين إن جاءتهم سيئة قالوا " هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ، ولم نزل في

[1] _ ينظر: المصدر السابق، ج01، ص244.

[2] _ ينظر: المحرر الوجيز،ابن عطية الأندلسي، ج02، ص327.

النعمة والرفاهية"[1] ثم إذا أصابتهم سيئة تطيروا بموسى نبي الله، ويخبر السامعين في زمن محمد _صلى الله عليه وسلم_ أنهم المخبر عنهم في الآية فعلوا بموسى عليه السلام مثلما تفعلون أنتم الآن مع نبيكم وتنسبون السوء إليه وأن كلاً من عند الله[2] .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ سورة الأنفال، الآية: 47. ورد الفعل "يصدون" في الآية الكريمة بصيغة المضارع وهذا بعد عدوله عن صيغة الماضي التي جيء بها في بداية الآية.

نستنتج سبب العدول بعد التأمل في الآية التي نزلت في " أهل مكة حين خرجوا لحماية العير،فآتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة* أن ارجعوا فقد سلمت عيركم ، فأبى أبو جهل وقال: حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور، وتعزف علينا القيان"[3] فجاءت صيغة المضارع لاستحضار حدث صد الناس عن تقوى الله وهذا لشناعة صنيعهم، فأخبر عن الخروج بالماضي لأنَّه حدث عادي ولما تعلق الأمر بالصَّد عن سبيل الله و جاء بالمضارع لفظاعته عند الله تعالى "فنهاهم أنْ يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأنْ يكونوا من أهل التقوى "[4]

وفي قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ سورة هود، الآية: 74 سرد الله لنا قصة إبراهيم _ عليه السلام_، وكما هو معلوم السرد تناسبه صيغة الماضي لأنَّه يخبر عن قصة مضت إلا أنَّه عدل إلى المضارع ليصور لنا حال إبراهيم _عليه السلام_ وهو يجادل رسل الله إليه في قوم لوط عليه السلام.

ويقول الزمخشري في هذا: "قيل في يجادلنا.هو جواب لما ، وإنما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل معناه:أخذ يجادلنا، وأقبل يجادلنا، والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال: أرأيتم إن كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا: لا قال فأربعون؟ قالوا

[1] _ الكشاف،الزمخشري، ج02، ص 53.

[2] _ ينظر: المصدر السابق، ص 54.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 125. *الجحفة: ميقات أهل الشام على بعد اثنين وثمانين ميلاً من مكة

[4] _ المصدر السابق، ص 125.

لا ...حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إنْ كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا: لا فعند ذلك قال: " إن فيها لوطا" " [1] .

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾ سورة النحل، الآية: 42.عدل عن صيغة الماضي الواردة في بداية الآية في قوله تعالى عندما أخبرنا عن : الذين صبروا" أي الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن مكة المكرمة مسقط رؤوسهم إلى المضارع في قوله تعالى:"يتوكلون،أي أنَّ فعل التوكل لازمهم في كل وقت في حياتهم في الماضي والحاضر والمستقبل[2] ونفس الآية في قوله تعالى في سورة العنكبوت:﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾العنكبوتالآية:59.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ سورة الحج، الآية: 63. استعمل فعل تصبح للدلالة على المستقبل بعد استعماله صيغة الماضي في قوله تعالى " الله أنزل" لمفاجأة السامع للآية كأنَّه قال الله أنزل من السماء ماء وفجأة يسمع السامع وتصبح الأرض مخضرة، وفي العدول عن صيغة الماضي كذلك دلالة على الاستمرارية فتصبح "بمنزلة قوله فتضحي أو فتصير عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء واستمرارها" [3].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ سورةالروم، الآية: 10 .عدل الله سبحانه وتعالى عن صيغة الماضي في قوله تعالى" ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى وكذبوا" إلى صيغة المضارع في قوله عز وجل: "يستهزئون"،والمضارع هنا يضمن استمرار وتجدد الفعل وهو الأليق في هكذا مقام بجزالة النظم القرآني[4].

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠﴾ سورةالأحزاب، الآية: 10 تفسير العدول عن الماضي إلى المضارع في قوله : "وتظنون" ، هو خطاب مباشر بصيغة الحاضر للمؤمنين بأسلوب مباشر "أي تكادون تضطربون وتقولون ما هذا الخلف للموعد، وهذه عبارة عن خواطر

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 276.

[2] _ ينظر: المصدر السابق، ج02، ص 440.

[3] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج04، ص 131.

[4] _ ينظر : إرشاد العقل السليم، أبو السعود ، ج 04، ص 353.

خطرت للمؤمنين لا يمكن للبشر دفعها وأما المنافقون فجلحوا ونطقوا بها "[1]. وظنَّ المؤمنون أنَّه ابتلاء في حين ذهب ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون.[2]

وقال عز وجل جلاله: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾سورةسبأ،الآية: 25. عدل عن الماضي إلى المضارع في قوله تعالى: "عما تعملون" ،فهو أولا يخاطبهم بعد أن أسند الإجرام إلى ضمير المتكلين ليختصوا بالإجرام أكبر الكبائر فقط ويترك مطلق الأعمال للمخاطبين، واستعمل صيغة المضارع ليوسع عليهم دائرة زمان حدوث أعمالهم واستمرارها[3].

و يقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ سورة الزمر، الآية: 21.عدل الله سبحانه وتعالى عن الماضي في قوله تعالى:" الله أنزل" إلى المضارع في قوله تعالى: "ثم يخرج"، لاستحضار المستمع ليحضر ويقف على روعة خروج الزرع ونباتة من الأرض باعتبار العملية من الإعجاز العلمي الذي يستوقف العقول بالتأمل والتدبر في القدرة الإلهية[4]

وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾سورةغافر، الآية: 12. ورد الخطاب بصيغة المضارع في قوله تعالى: "تؤمنوا" وذلك بعد وروده بصيغة الماضي في بداية الآية وفي هذا العدول دلالة على دوام حالهم،وقال أبو السعود في هذا العدول "وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم حيث كان حالكم كذلك" [5].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ سورة

[1] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج04ص 373.
[2] _ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج 03، ص 468.
[3] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 458.
[4] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 04، ص 111.
[5] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05،ص 09.

الشورى، الآية: 48. عدل عن الماضي الوارد في بداية الآية إلى صيغة المضارع في قوله تعالى:"إن تصبهم"، لإثارة انتباه السامعين إثر التحول الصيغي الذي طرأ على التركيب، وذلك للتنبيه على أنَّه لا يريد في هذا التحول إلاَّ المجرمين "لأنَّ إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم والرحمة والنعمة من الصحة والغنى والأمن والسيئة والبلاء من المرض والفقر والمخاوف"[1].

وقال عز وجل: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ سورة الحديد، الآية: 20 الخطاب في الآية موجه إلى الكفار فتكلم بصيغة الماضي لما أخبرهم عن الدنيا وحالها في نظرهم ثم عدل إلى صيغة المضارع عندما أخبر عن حقيقتها، وأن هذه الحقيقة هي الباقية أما الأولى فهي فانية رغم إعجابهم بها " فشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم ...فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾سورةالبروج، الآية: 08 ورد الكلام بصيغة المضارع في قوله تعالى: " أن يؤمنوا وذلك عدولا عن صيغة الماضي الواردة في بداية الآية الكريمة، وذلك أنَّ المخبر عنهم حالهم الإيمان وهم مستمرون فيه فكان المضارع أليق " ما نقموا منهم أصحاب الأخدود وما عابوا منهم وما أنكروا إلاَّ الإيمان كقول الشاعر:

مـَا نَقَمُوا مِنْ بني أُمـيَّة إلاَّ أَنهَّـم يحَلِمُـونَ إنْ غَضَبُوا[3].

02ـ الالتفات من المضارع إلى الماضي:

استفحل أسلوب الالتفات من المضارع إلى الماضي في القرآن الكريم لتوكيد وقوع الأفعال كما هو ماثل في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ

[1] ـ ا الكشاف،الزمخشري ، ج04،ص 206.

[2] ـ الكشاف، الزمخشري، ج04، ص 408.

[3] ـ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج 04، ص 626.

وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ سورة البقرة، الآية: 215. عدل في الآية الكريمة عن المضارع الواضح في الآية الكريمة "ينفقون" إلى الماضي في قوله تعالى: "ما أنفقتم" للحث على الفعل لدرجة وكأنَّه قد حصل "والمراد به الاستقبال كما هو مقتضى الشرط وعبر بالماضي لإظهار الرَّغبة في حصول الشرط كالحاصل المتقرر"[1].

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ سورة هود، الآية: 98.في الآية الكريمة عدول عن صيغة المضارع الواردة في بدايتها إلى الماضي والسر وراء هذا العدول دلالة على أنَّ الفعل حدث وهو موجود وقال الزمخشري: "فإن قلت لم جيء بلفظ الماضي ؟قلت: لأنَّ الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به"[2]

قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ سورة النحل، الآية: 89.يدور سياق الآية حول بعثة الأنبياء فبعد أن بعث الله سبحانه وتعالى لكل أمة شهيدا عليهم من جنسهم حيث شهادة أنبيائهم عليهم بمحضر منهم فجيئ بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ شهيدا على هؤلاء وعدل الله سبحانه وتعالى عن المضارع إلى الماشي في قوله تعالى: "وجئنا بك " لتأكيد تحقق الفعل في المستقبل وكأنَّه حصل في الماضي[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾سورة الكهف، الآية: 49. عدل الله سبحانه وتعالى عن المضارع إلى الماضي في قوله تعالى: "إلا أحصاها" أي لا يترك شيئا من المعاصي إلا أحصاها وضبطها، وفي العدول دلالة على تمام الإحاطة وتقرير وقوعها فالكتاب سيحصي أعمال المجرمين لا محالة، وفي صيغة الماضي إيحاء لتأكيد حصول الشيء وكأنه حصل.[4]

[1] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج02،ص 318

[2] ــ المصدر السابق،ج02، ص 286.

[3] ــ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبوالسعود، ج03،ص 393.

[4] ــ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 02، ص538.539.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾سورة النمل، الآية: 87. ورد الفعل "فزع"في الآية الكريمة ومقتضى الظاهر أن يقول:"فيفزع " وعدل إلى الماضي دون المضارع لنكتة بلاغية وهي: الإشعار بتحقق الفزع وتأكيد ثبوته وكأنَّه كائن لا محالة، والمقصود فزعهم عند مشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات وعند النفخة الأولى بعد سماع صوتها الصاعق.[1]

قال عز وجل:﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمَا﴾ سورةالأحزاب، الآية: 08 جيء بالفعل " أعدَّ" بصيغة الماضي وذلك بعد عدوله عن المضارع الذي ورد في بداية الآية في قوله تعالى: "ليسئل"، وسبب العدول تقرير بأنَّ العذاب قد أعدَّ لهم حين وعدهم الله به وفي ذلك إشعار لهم وتأكيد وقوع العذاب الذي أُعدَّ لهم حتى من قبل أنْ يسألوا وذلك جزاء لهم على كفرهم[2]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾سورة فاطر، الآية: 18. سبب العدول عن المضارع إلى الماضي في قوله تعالى: "وأقاموا الصلاة" أن المقصودين هم الصحابة " الذين كانوا مع الرسول _صلى الله عليه وسلم _ ...فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً " فالفعل الماضي مسند إلى أصحاب الرسول الذين ثبتت عنهم إقامة الصلاة ورسخت الصفة فيهم فعبر عنهم بالماضي وهو أليق في هكذا مقام.[3]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الممتحنة، الآية: 02. عدل الله سبحانه وتعالى عن المضارع الوارد في بداية الآية إلى الماضي في قوله تعالى: "وودوا" فجرى الماضي مجرى المضارع في

[1] _ ينظر: المصدر السابق، ج03، ص 343. وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، ج20، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ص32.

[2] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج03،ص 466.

[3] _ ينظر: المصدر السابق، ج03، ص544.

باب الشرط، ونكتته البلاغية فكأنَّه قال: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم " يعني أنهم يريدون أنْ يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أنَّ الدين أعز عليكم ... والعدو أهم شيء عنده أنْ يقصد أعز عند صاحبه"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾سورة التغابن، الآية: 06.استعمل الله سبحانه وتعالى صيغة المضارع في الآية: " أبشر يهدوننا " لاستحضار الحدث أمام السامعين لأنهم أنكروا أنْ تكون بشرا ولم ينكروا أنْ يكون الله حجرا ثم عدل عن المضارع إلى الماضي ليقرر فيهم صفة الكفر والتولي عن دين الله عز وجل: "حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولو لا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك."[2]

وقال عز وجل: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ ﴾سورة المزمل، الآية: 14.عدل الله سبحانه وتعالى عن المضارع في قوله: "ترجف" ثم عدل إلى صيغة الماضي فقال "وكانت" ومقتضى الظاهر أن يقول: تكون الجبال كثيبا مهيلا والسر وراء هذا العدول أن في صيغة الماضي إقرار بحدوث هذا الأمر الذي يرهب الناس بمجرد سماعه وهو أن تكون الجبال بصلابتها وارتفاعها كثيبا مهيلا. [3]

03ـ الالتفات من المضارع إلى الأمر:

لم يشع هذا اللون من الالتفات في القرآن الكريم وورد في قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ ﴾سورة هود، الآية: 54. في الآية الكريمة تأكيد على براءة هود من آلهة قومه وشركهم وقررها بشهادة الله وشهادة العباد وهو ما جرت العادة عليه في سنن العرب وعاداتهم فيقول الرجل: الله شهيد على أني لا أفعل كذا

[1] _ المصدر السابق، ج04، ص432.

[2] _ إرشاد العقل السليم، أبوالسعود، ج05، ص 339. وينظر: الكشاف،الزمخشري، ج 04، ص465.

[3] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05، ص114. وينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج05، ص 256.

ويقول لقومه كونوا شهداء على ما أفعل، وعدل عن المضارع إلى الأمر وبلاغته استهزاءً بدينهم ودلالة على أنَّه لا يبالي بهم فيقال: اشهد على أني لا أحبك استهزاء بحاله .[1]

المطلب الثالث ـ التنويع بين الإفراد والتثنية والجمع:

يتجسد العدول بالالتفات في العدد كثيراً في الأساليب القرآنية فيحدث الالتفات في (الإفراد والتثنية والجمع) ولنا وقفة فيما يلي لأهم الأساليب الالتفاتية في القرآن الكريم:

01ـ من الجمع إلى الإفراد:

من نماذج الالتفات عن الجمع إلى الافراد في القرآن الكريم نذكر مايلي:قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾سورة البقرة، الآية: 07.جملة الآية الكريمة استئنافية تزيل الإبهام الحاصل لدى السامع عن سبب عدم إيمان هؤلاء، وهي في مقام التعليل للآية سابقتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾وذلك لإزالة التعجب من "استواء الإنذار وعدمه عندهم ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله ، فإذا علم أنَّ على قلوبهم ختماً وعلى أسماعهم وأنَّ على أبصارهم غشاوة علم سبب ذلك كله وبطل العجب "[2].

وقد التفت الكلام من الجمع "قلوبهم" إلى الإفراد "سمعهم" ثم عاد إلى الجمع في "أبصارهم" ويرى الزمخشري أنه التفات لطيف وحد فيه السمع للدلالة على شدة الختم كما وحد البطن في قول الشاعر:

كُلُوا في بَعضِ بَطْنكم تَعفُّوا فإنَّ زَمانَكم زمنُ خَميصٍ

ويرى أنهم يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك: فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجميع رفضوه كما أنَّ السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع وأنْ يكون مضافاً تقديره "وعلى حواس سمعهم" فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه[3] كما أنَّ الأبصار والقلوب تحمل العديد من

[1] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 02، ص 229.

[2] ـ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص254.

[3] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري ، ج1،ص 37.و ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي.

الوظائف لذا ورد جمعها في الآية الكريمة، فالبصر ما يُرى بالعين وبالقلب أي البصيرة ونور القلب هو ما به يدرك الإيمان أمَّا السمع فمهمته إدراك شيء واحد وهو السمع دون غيره، لذا ورد مفرداً فالرؤية قد تختلف من شخص لآخر أما السمع يحتكر على صوت محدد يسمعه الجميع بالطريقة ذاتها.

ومن مواطن التحول من الجمع إلى الإفراد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾سورة البقرة، الآية: 38. العدول في الآية متجلٍ في الالتفات من الجمع في "قلنا" إلى الإفراد "مني هدى" فأفرد الضمير لتخصيص الإيمان بالله وحده دون غيره أي إما يأتيكم مني هدى برسول أبعثه إليكم، أو وقد جاء كذلك بكلمة الشك للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يحتاج إلى بعثة رسول وإنزال كتاب وأن الإيمان به واجب حتى وإن لم يبعث رسولا، فأفردت لفظة مني للفت الانتباه أنَّ الله وحده الهادي وهو وحده الأحق بالإيمان دون غيره[1].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾سورة البقرة، الآية:40.39 عدل عن الجمع "بآياتنا" إلى المفرد في الآية التي بعدها فقال:"التي أنعمت" ففي الآية التفات عن ضمير الجمع للمعظم نفسه إلى ضمير المفرد.

وهذا الالتفات إنما لإضفاء نوع من التخصيص وإسناد النعمة إليه وحده "وأراد بها ما أنعم به على آباءهم مما عد عيهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ... والتوبة عليهم وغير ذلك"[2] فدعا الله سبحانه اليهود إلى تذكر النعمة بصيغة المفرد لأنهم يؤمنون بالكتاب وبالله عكس المشركين الذين تخلوا قلوبهم من الإيمان، فدعا اليهود أهل الكتاب لتذكر نعمه التي أنعمها عليهم بصيغة الإفراد التي تحمل نوعا من التخصيص.

ومن مواضع الالتفات العددي من الجمع إلى الإفراد في القرآن الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾سورة مريم،الآية: 81،82 العدول حاصل هاهنا في خبر كان حيث ورد الضمير العائد على الآلهة والذي

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري ، ج1، ص 134.

[2] _ المصدر السابق، ج1، ص 135.

هو اسم كان في الآية الثانية بصيغة الجمع. وورد خبره بعد ذلك مفردا "ضدا" ووردت على ما يبدو تماشيا مع ما يتطلبه الإيقاع الموسيقي في الآية لتتناسب مع فاصلتها، و"عزا" في الآية الأولى وما قبلها "جندا مردا ولدا عهدا ..إلخ".

ونكتة العدول العددي في الآية أنَّ الآلهة التي عبدوها في الدنيا ستكفر هي بهم مثلما كفروا بالحق ووحدت بدل الجمع " توحيد قوله عليه السلام: "وهم يد على من سواهم "، لاتفاق كلمتهم وأنهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الملائكة عون عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولأنهم عذبوا بسبب عبادتها ...ويكونون عليهم أي أعداءهم ،ضدا أي بعد أن كانوا يعبدونها"[1].

ويتجلى العدول إلى الإفراد في الآية أخرى من آيات الذكر الحكيم قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ سورة الحج، الاية:05 ذهب جمهور المفسرين في تفسير ظاهرة العدول في العدد في الآية إلى أنَّ طفل اسم جنس مصدر والمصادر لا تجمع فقال البيضاوي في تفسير توحيد الجمع أنها " عطف على "نبين" كأن خلقهم مدج لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف ... وهي حال أجريت على تأويل كل واحد أو للدلالة إلى الجنس أو لأنَّه في الأصل مصدر"[2].

أما ابن جني فقد ذهب إلى أنَّ توحيد لفظ الطفل يحمل دلالة التصغير والتحقير من شأن الإنسان حيث قال: " فحسن لفظ الواحد هنا لأنَّه موضع تصغير لشأن الإنسان وتحقير لأمره، فلاق به ذكر الواحد لذلك لقلته عن الجماعة ... وهذا مما إذا سئل الناس عنه قالوا:وضع الواحد موضع الجماعة اتساعا في اللغة، وأنسوا حفظ المعنى لتقوى دلالته عليه، وتنضم بالشبه إليه"[3].

[1]_ الكشاف، الزمخشري،ج3 ص 40.

[2]_ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج03 ، ص48.

[3]_ المحتسب، ابن جني ، ج2، ص 267.

فلطافة العدول في الآية حسب ابن جني كامنة في المقاربة بين عنصر القلة والمتمثل في الإفراد الحاصل في التركيب في كلمة "طفلا" وبين عنصر التصغير والتحقير من شأن ابن آدم الذي خلقة الله من نطفة ثم من علقة ثم شاءت مشيئته أن يقر في الأرحام ثم خرج إلى الدنيا وبلغ وكبر ثم عاد إلى الله وكأنه لم يعش فيها إلا عشية وضحاها، وفي ذلك على ما يبدوا والله أعلم تذكير للإنسان أنَّه سيعود إلى الله تعالى لا محالة كما خرج إلى الدنيا طفلاً صغيراً لا حول له ولا قوة.

02ـ الالتفات من المفرد إلى المثنى:

من الآيات التي تجلى فيها العدول بالالتفات من المفرد إلى المثنى نذكر قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ سورةالمائدة 64. وردت كلمة "يد الله" في الآية الكريمة بصيغة المفرد، وهي عبارة عن البخل فدعا الله عليهم بالخذلان الذي تقسوا به قلوبهم فيزيدون بخلاً على بخلهم، ثم عدل عن المفرد إلى المثنى لما تعلَّق الأمر بإثبات كرم الله وبسطه فوقع البسط عقب البخل حيث لا تصلح اليد مفردة كقول الشاعر:

جادَ الحِمى بَسْطُ اليَدَيْن بِوابِلٍ شَكَرَتْ نَدَاه تِلاعُه وَ وِهَادُه [1]

وجيء بصيغة المثنى في قوله تعالى "بل يداه مبسوطتان" كذلك " ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك غاية ما يبذله السخيُّ بماله بنفسه أنْ يعطيه بيديه جميعا" [2]

وقال الله تعالى في نفس النسق:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ

[1] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 01، ص 576.

[2] ـ ينظر: المصدر السابق،ج01، ص 577.

ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾سورة النساء، الآية 135. في الآية الكريمة التفات عن المفرد إلى المثنى في قوله تعالى "" أولى بهما" وقال الزمخشري: "فإن قلت: لم ثنى الضمير في " أَوْلَىٰ بِهِمَا " وكان حقه أن يوحِّد ، لأن قوله :" إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا " في معنى إن يكن أحد هذين؟ قلت : قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله : "إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً " لا إلى المذكور ، فلذلك ثنى ولم يفرد ، وهو جنس الغنيّ وجنس الفقير ، كأنه قيل : فالله أولى بجنسي الغنيّ والفقير، أي بالأغنياء والفقراء ، وفي قراءة أبيّ : فالله أولى بهم وهي شاهدة على ذلك." [1]

وكذلك في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾سورة يونس، الآية: 78. في الآية الكريمة التفات عن المفرد في قوله تعالى:" أجئتنا" أي أجئتنا أنت إلى المثنى في قوله: "لكما" ونكتة الالتفات في الآية أنَّ موسى عليه السلام هو المخصوص بالرسالة فلما سعوا إلى تيئيسه من الإيمان بدعوته أضافوا معه أخاه هارون. قال أبو السعود: "وتثنيةُ الضمير في هذين الموضعين بعد إفرادِه فيما تقدم من المقامين باعتبار شمولِ الكبرياءِ لهما عليهما السلام، واستلزامِ التصديقِ لأحدهما التصديقَ للآخر ، وأما اللفتُ والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى عليه السلام خاصة"[2]

03ـ الالتفات من المفرد إلى الجمع: ويعدل أسلوب القرآن الكريم عن المفرد إلى الجمع في العديد من المواضع نذكر منها قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ سورة البقرة، الآية: 17 ورد الاسم الموصول في بداية الآية بصيغة المفرد في قوله تعالى " الذي استوقد ناراً" حين ضرب الله لهم مثلاً عن نفاقهم ثم عدل إلى صيغة الجمع عند قوله تعالى: "ذهب الله بنورهم" علامة على لزيادة الدلالة، ويقول الزمخشري: " ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد، وقصد جنس المستوقدين، أو أريد الجمع، أو الفوج الذي استوقد نارا

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص304.

[2] – إرشاد العقل السليم،أبو السعود، ج02،ص698.

على أنَّ المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد "[1] فليس المقصود من التشبيه تشبيه الذوات وإنما شبهت حالتهم بحالة المستوقد لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاؤوا بنوره ولما افتقدوا مادة من قلوبهم من نور الإسلام طفئ عليهم فذهب الله بنورهم [2]

وقال عز وجل في هذا النسق: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾سورة آل عمران، الآية: 13 عدل الله سبحانه وتعالى عن المفرد في قوله :" فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة" إلى الجمع في قوله تعالى " يرونهم" وقرأها نافع ترونهم بالتاء، ونكتة العدول هاهنا في جمع المفعول لتكثير المسليمين في عين العدو يوم بدر.[3]

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ سورة الحجر،الآية: 05. عدل الله سبحانه وتعالى عن المفرد في قوله: " أمة" إلى الجمع في قوله "يستأخرون" حملا على المعنى لأنَّ المقصود بالكلام هم أهل الأمة فوجه الكلام إليهم مباشرة، ثم إنَّ في العدول إلى الجمع رعاية لفواصل السورة تماشيا مع ما سبقها فسبق الآية قوله تعالى: "يعلمون ،معلوم" وما بعدها " مجنون...إلخ " [4].

وقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾سورة النحل، الآية: 97. ورد الكلام بصيغة المفرد في الآية في قوله تعالى من "عمل صالحا ... وهو مؤمن فلنحيينه" ثم عدل إلى الجمع في قوله تعالى: "ولنجزينهم" وفي ذلك دلالة على كرم الله الذي يسع جميع الصالحين والمؤمنين من الذكور والإناث والله أعلم بمراده.

وكذلك في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ سورة المؤمنون، الآية:78. عدل الله سبحانه وتعالى عن المفرد في قوله تعالى:"السمع"

[1] _ الكشاف،الزمخشري، ج01، ص 84.

[2] _ ينظر: بدائع التفسير، بن القيم الجوزية، ج01، ص 99.

[3] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 315.

[4] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص292.و ينظر:الكشاف، الزمخشري، ج01، 410.

فوحَّده ثم عدل عن ذلك إلى الجمع في قوله "والأبصا" لأنَّ الأبصار تضم كل من البصر بالعين المجردة والبصيرة بالقلب أما السمع فهو واحد وهو ما يسمع بالأذن لا غير، ومن هذه الوسائل الإدراكية تتكون المبادئ التي يفاضل العقل بينها حتى يستقر على مبدأ معين يسمى العقيدة [1].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾سورة الجن، الآية: 14. جيء بالمفرد في الآية الكريمة وذلك في قوله تعالى : فمن أسلم" ثم عدل إلى الجمع في قوله : فأولئك " حملا على المعنى لأنه لن يسلم الشخص الواحد وإنما الكلام موجه إلى الجماعة المسلمة فعبر عنهم بالجمع فقال: أولائك تحروا رشدا[2].

04ـ الالتفات من التثنية إلى الإفراد:

قال الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ سورة التوبة، الآية: 62 وحد الضمير في الأية بدلا من تثنيته لأن رضا الرسول صلى الله عليه وسلم من رضا الله عز وجل قال الزمخشري:" وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد كقولك: إحسان وإجماله نعشنى وجبر منى، أو الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك"[3].فالآية الكريمة في مقام الرد على المنافقين الذي افتروا على الرسول أنه أذن والذين راحوا يحلفون للمؤمنين قصد إرضائهم فنصت الآية أن الله ورسوله أحق بالرضا إن كانوا حقا مؤمنين فاقترن رضا الله برضا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .فالآية تفضح المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾سورة طه، الآية: 117 .أفرد الشقاء وأسند إلى آدم في الآية لسببين اثنين :

1/خدمة للجانب الصوتي الذي اقتضى ذلك لمراعاة الفاصلة تماشيا مع فواصل السورة (أبى،وتعرى،ولا تضحى)

[1] ـ ينظر: تفسير الشعراوي، ص 10108.

[2] ـ ينظر : إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05، ص 406.

[3] ـ الكشاف،الزمخشري، ج 02، ص 173.

2/إسناد الشقاء لآدم دون حواء لأن الرجال قوَّامون على أهلهم وكذلك آدم قوام على زوجه حواء فقال الزمخشري: " إنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم ، كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة"[1].فعدل عن التثنية إلى الإفراد بعد أنْ أشرك بين آدم وزجه في الخروج وخص آدم بالشقاء لأن الاشتغال بالكسب من مهامه في حين تمكث المرأة في خدرها [2].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾سورة النور، الآية:51. ورد الكلام في بداية الآية بهذه الشاكلة " إذا دعوا إلى الله ورسوله" ثم قال ليحكم بينهم وظاهر الحال يقتضي قوله ليحكما بينهم والسر وراء هذا العدول هو أن قوله الله ورسوله إنما قصد بها رسول الله كقولك أعجبني زيدا وكرمه أي أعجبني كرم زيد فعدل إلى الإفراد حملا على معنى إذا دعوا إلى رسول الله[3].

وقال الله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ سورة الشعراء، الآية: 16.عدل الله سبحانه وتعالى عن التثنية في قوله:" فأتيا...فقولا " إلى الإفراد قي قوله تعالى: إنا رسول..." والسبب في هذا العدول: "إفراد الرسل إما باعتبار رسالة كل منهما والاتحاد مطلبهما أولأنه مصدر وصف به"[4]والرأي المرجح من بين الأراء السابقة هو اتحاد مصدرهما فكليهما من الله وكأنهما واحد لاتحاد رسالتهما ومطلبهما والله أعلم.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾سورة الجمعة، الآية: 11.عدل الله سبحانه وتعالى عن المثنى في قوله تعالى: " وإذا رأوا تجارة أو لهوا" إلى المفرد في قوله تعالى: " انفظوا إليها" ولم يقل انفضوا إليهما والسر وراء هذا العدول أن الضمير هنا عائد على التجارة لأن المصلين أسرعوا بالخروج إليها

[1]_ الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 83.

[2]_ ينظر: ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، تح: صالح أحمد الشامي، مج:02 دار ابن الجوزي، مصر، ط1، 1427، ص189.

[3]_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 03، ص 217.

[4]_ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص 206.

وترك خطبة الجمعة مع رسول الله إلا نفر قليل من المصلين، فخص التجارة بالكلام أكثر من اللهو لأنها سبب قيامهم عن الصلاة ،وإذا كان الانتفاع بها يوم الجمعة مذموما فما بالك أنهم انفضوا من الصلاة لأجلها [1].

05ـ الالتفات من التثنية إلى الجمع:

وقال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ سورة النحل،الآية: 75. عدل الله سبحانه وتعالى عن التثنية والتي هي الأصل إلى الجمع في قوله: وهل يستوون والمقصودان هما المملوك من غير قادر على التصرف ومن رزقه الله رزقا حسنا وإنما وردت كلمة هل يستوون لدلالة على أن الأحرار لا يستوون والعبيد فكان الكلام عن كل العبيد وإنما ضرب المفرد لكل منها مثلا أي على سبيل التمثيل ولكن القصد هو جميع العبيد والأحرار [2] .

وقال عز وجل: ﴿۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ ﴾سورة الحج، الآية:19 المقصود بخصمان في الآية الكريمة فريقين اختصموا في ربهم وهم أصحاب الأديان فكل من الفريقين يعطي الأحقية لدينه وعدل إلى الجمع في قوله تعالى: فالذين كفروا المقصود بهم الذين كفروا من الفريقين وهو فصل الخصومة فأعدت لهم نيرانا على مقادير جثثهم[3].

ومثله قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾سورة يس، الآية: 40 مقتضى الظاهر أن يقول: كل منهما يسبح في فلك وعدل عن هذا إلى الجمع وقال: كل في فلك يسبحون والمقصود بالجمع والله أعلم الكواكب المنتمية إلى المجموعة الشمسية التي تسبح وتسير سيرا انسيابيا متتابعا. [4]

[1] ـ ينظر: إرشار العقل السليم، تفسير أبو السعود، ج05، ص 133.
[2] ـ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 453.
[3] ـ ينظر: المصدر السابق، ج 03، ص133.
[4] ـ ينظر: تفسير الشعراوي ص 12665.

وقال الله تعالىّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ سورة فصلت، الآية: 11. تخريج الآية تماشيا مع مقتضى الظاهر: "قالتا أتينا طائعتين" وعدل الله سبحانه وتعالى عن الإتيان بالمثنى إلى الجمع فقال: "قال أتينا طائعين" والسبب أن الله خلق سموات و أرضون، ويرى الزمخشري أن ضمير الجمع مبهما مفسرا بسبع سموات والنصب إما على الحال أو على التمييز[1].

06 ـ الالتفات من الجمع إلى المفرد: يعدل عن الجمع إلى المفرد لتحقيق جملة من المقاصد التي يقتضيها المقام ومن نماذج هذا النوع من الالتفات في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ سورة البقرة، الآية: 38. عدل الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة عن الجمع في قوله تعالى: قلنا اهبطوا إلى المفرد: " يأتينكم مني هدى" وذلك لدخول الكلام في حوار مع الكفار "وهو الشرط الثاني مع جوابه كقوله: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى فإما يأتيكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله:" والذين كفروا وكذبوا بآياتنا " في مقابلة قوله:" فمن اتبع هداي""[2] أي من أقبل إلي وعلى رسلي وكتبي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون. [3]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ سورة النساء، الآية: 69.أفردت "رفيقا" في نهاية الآية بعد أن أورد الكلام عن المؤمنين بصيغة الجمع في قوله تعالى:"فأولئك مع الذين أنعم الله عليم" والناظر في سبب نزول الآية يتضح له سبب العدول فنزلت في ثوبان الذي كان الحب لرسول الله وكان يشتاق إليه كثيرا حتى يلقاه فقال له مرة: يارسول الله مالي وجع غير أني إذ لم أرك اشتقت إليك ...فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأنك ترفع مع

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج4، ص 170.

[2] _ المصدر السابق، ج01، ص 134.

[3] _ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971،دط، ص 78.

النبين وأنا منزل دون منزلك فنزلت الآية وأفرد رفيقا لبيان الجنس أي: ستجمعهم علاقة الرفقة و أن المؤمنين هم رفقاء الذين أنعم الله عليم في لجنة [1]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ سورة النحل،الآية: 66. في الآية الكريمة جاءت كلمة " بطونه" بصيغة المفرد بدل بطونهم وذلك وبعد الجمع في قوله تعالى: " الأنعام" وفي ذلك توحيد للجنس أي نسقيكم ما في بطون جنس الأنعام .

وقال الله تعالى في آية أخرى:و﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ سورة الكهف، الآية:50 استعمل الله سبحاه وتعالى كلمة "عدو" بصيغة المفرد بدل أعداء وذلك بعد استعماله صيغة الجمع في قوله تعالى: "وهم لكم" والسر وراء هذا العدول أنهم عدو واحدا وغايته واحدة لأن الأعداء تختلف غاية كل واحد منهم وهدفه أما إذا كانوا عدوا واحد فإن غايته واحدة وهي التضليل عن طريق الله وعبادته والله أعلم.

قال عز وجل في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾سورة الفرقان، الآية: 74. جيء بكلمة "إماما"مفردا بدل أئمة وذلك بعد عدوله عن الجمع الوارد قبل الكلمة وهو " اجعلنا" بصيغة الجمع والعدول هنا إنما ورد أولا لمراعاة الفاصلة " سلاما مقاما، مهانا، متابا، وإماما" ويرى ابن عطية الأندلسي في هذا العدول انه" مفرد اسم الجنس أي اجعلنا يأتم بنا المتقون وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة وهو قصد الداعي" [2].

ونلحظ نفس الالتفات في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ سورة القمر، الآية 54. عدل الله عز وجل عن الجمع فقال "نهرا" وكان مقتضى الظاهر أن يقول: "في

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 474.

[2] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي، ج 04،ص 222.

جنات وأنهار" وإنما اكتفى باسم الجنس ليدل عليه ويقال النهر: الضياء والسعة من النهار عكس الأشقياء وما هم فيه من الضلال ونار جهنم التي وعدهم بها الله [1]

وقال تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ ﴾سورة التحريم، الآية: 04 وردت كلمة ظهيراً مفردة والأصل أن ترد بصيغة الجمع والمقصود بظهير هنا الفوج الواحد وكأنهم يد واحدة وقيل كذلك ظهير للرسول _صلى الله عليه وسلم_ وإيذانا بعلو شأن مظاهرتهم[2].

[1] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج04،ص 378. وينظر: تفسير بن كثير، ج04، ص 231.

[2] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج05، ص 352.

المبحث الرابع: الإظهار والإضمار:

تشيع ظاهرة العدول عن الإظهار إلى الإضمار أو العكس في الأسلوب القرآني، وبليغ القول من كلام العرب لما لها من بلاغة في التعبير وقوة في التأثير، الأمر الذي يدفع بالباحث إلى تتبع مسالكها واستجلاء مقاصدها على غرار ما وقف عليه المفسرون الذين أولوا عناية كبيرة لهذا الجانب،فأبلوا البلاء الحسن في تقفي أثره في الذكر الحكيم.

و الإظهار والإضمار من أهم مباحث علم المعاني حيث يخرج فيه الكلام عن مقتضى الظاهر تبعاً لما يتطلبه المقام، " حقيقة الأمر أنَّ للمسند إليه ضوابط وقواعد ينبغي أنْ لا يخرج عنها، ولكنه حين يخرج عن تلك القواعد والأصول إنما يخرج لفائدة بلاغية تراد من هذا الخروج"[1] ، لأنَّ "الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك. والأصل أنّه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق"[2]. فالخروج عن هذا الأصل لا يكون اعتباطا وإنما يوضع المظهر موضع المضمر والعكس ليتكيف الكلام ومقتضيات الأحوال والملابسات المنوطة بالحدث الكلامي،فيعاد ذكر الاسم الظاهر الذي يفترض أن يضمر في التركيب، أو يضمر المضمر في مقام إظهار.

واختلف النحويون في إظهار المضمر فمنهم من أشاد بمزيته في التركيب[3]، ومنهم من ربطه بأغراض بلاغية كالتفخيم، ولا يجوز الإظهار لغير هذا الغرض عند سيبويه حيث قال: "ألا ترى أنك لو قلت ما زيد منطلقاً أبو زيد لم يكن كقولك ما زيد منطلقاً أبوه، لأنك قد استغنيت عن الإظهار،فلما كان هذا كذلك أجري مجرى الأجنبي واستؤنف على حاله حيث كان هذا ضعيفاً فيه. وقد يجوز أن تنصب. قال الشاعر، وهو سواد بن عدي:

لا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا

[1]– الظواهر البلاغية في سورة الملك (دراسة تفسيرية تحليلية)، رياض قاسم، مجلة الجامعة الإسلامية،العدد01، مج: 23، 2015.ص 178.

[2]– البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ج02، ص499.

[3] _ ينظر: إعراب القرآن للنحاس،ج03، ص117. وينظر: مشكل إعراب القرآن، القيسي، ج02، ص112.

فأعاد الإظهار"[1] حيث قامت كلمة " الموت" الثانية مقام المضمر في التركيب الواحد، والجملة يسبق الموتَ مفعول به ثان للفعل أرى الذي أصله خبر، والظاهر يقتضي ورود "الموت" بصيغة الإضمار" يسبقه".

وعليه فإن اللجوء إلى الإظهار أو الإضمار في التركيب لا يرد إلا لتحقيق أغراض لها من الخصوصية ما لا نجده في أصل الكلام، "وأدرك البلاغيون وحي الكلمة وعملها بما يثيره لفظها من شؤون في النفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها... فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه هذه الإشارة تحضره في النفس إلاّ أنّ قدرا كبيرا من التأثير يظلّ الاسم الظّاهر محتفظا بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه، لأنّها تتولّد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه وارتباطاته المختلفة جدّ الاختلاف"[2]. ولنا في هذا المبحث وقفة على نماذج من الذكر الحكيم التي حوت ظاهرة الإضمار والإظهار نفرعه إلى فرعين اثنين هما:

المطلب الأول: العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

يعدل عن الأصل فيخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيعبَّر بالاسم الظاهر بدلا من المضمر لتحقيق مقاصد بلاغية لا سبيل إلى الوقوف عليها إلا عبر هذا العدول مثلما يتجلى في الأمثلة الآتية:

أـ التعظيم والتفخيم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ سورة يونس، الأية: 05. عدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: "ما خلق الله ذلك " وكان الأصل أن يقول "ما خلق ذلك" ويكون ضميره مستترا تقديره هو أي: "هو الله"، وبلاغة العدول إلى الإظهار في هذا الموضع تتمثل في أنَّه ذكر اسمه جل جلاله الذي يوحي بالعظمة والجلال في

[1] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص41،42.

[2] _ خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، ص248

سياق الآية أي: ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الأحوال من عظيم خلقه سبحانه وتعالى[1].

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٗ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ سورةالإسراء، الآية: 42. عدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى:" لابتغوا إلى ذي العرش " بعد ورود ضميره مضمرا في بداية الآية في قوله:" قل لو كان معه"، ونكتة هذا العدول أنَّه سبحانه وتعالى ذكر صفة من صفاته قصد تبين عظمته عزَّ و جل على أنَّه الملك الأحد على عرشه استوى، ويرى المفسرون "لا يبتغوا إليه سبيلا في إفساد ملكه ومضاهاته في قدرته، وعلى هذا التأويل تكون الآية بيانا للتمانع وجارية مع قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ سورة الأنبياء، الآية: 22[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾ سورة يس، الآية: 23. عدل الله تعالى في الآية الكريمة عن الإضمار في قوله تعالى: "أأتخذ من دونه آلهة" إلى إظهاره في قوله: "إنْ يردن الرحمن"، وسبب العدول هاهنا راجع إلى حاجة المقام لذكره عز وجل بأعظم وأجل صفاته، لأن رحمته وسعت كل شيء وأنه هو الرحمن الرحيم أحق بالعبادة من غيره، أي هل أعبد غير الله الذي لا يرد إرادته شيء إنْ أراد أنْ يضرني إلا إنَّه رحمن رحيم بعابده، فكلمة الرحمن هنا جاءت مقابلة للضر وجاءت الرحمة سابقة للضر أي العقاب لأن رحمته تسبق عذابه[3].والله أعلم بمراده.

وقال عز وجل: ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥﴾ سورةالحديد، الآية: 05. أظهر لفظ الجلالة "الله" في موضع إضمار تفخيما وتعظيما له لأنَّ اسمه يوحي بالجلال والعظمة ثم أنَّ في ذكره وإظهار اسمه دلالة على أنَّ كل شيء في الدنيا لله وحده، وهو"خبر يعم جميع الموجودات ...أغراضها وجوهرها " [4].

[1] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 630.
[2] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج03، ص 459.
[3] _ ينظر: المصدر السابق، ج04، ص 451.
[4] _ المصدر السابق،ج05، ص 258.

ب ـ التقرير والتمكين:

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ سورة المائدة،الآية: 73. في الآية الكريمة إظهار في مقام الإضمار وذلك في قوله تعالى: " الذين كفروا " وكان ظاهر الحال يقتضي الإضمار في هذا الموضع فيقول "ليمسهم منهم عذاب أليم" وقد عدل عن الإضمار لتحقيق هدف بلاغي لا يتحقق إلا بالإظهار.

يقول الطاهر بن عاشور: "والمراد بالذين كفروا عين المراد بالذين قالوا الله إنَّ الله ثالث ثلاث فعدل عن التعبير عنهم بضميرهم إلى الصلة المقررة لمعنى كفرهم المذكور آنفاً... قصد تكرير تسجيل كفرهم "[1]. فعدل إلى الإظهار لتقرير الكفر فيهم*.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ . إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ سورة التوبة، الآية: 12 عدل عن وضع "أئمة الكفر" موضع ضميرهم وأظهرهم في الآية الكريمة، فالأصل أن يقول فقاتلوهم، وعدل عن الإضمار إلى الإظهار وذلك إشعارا بأنهم إذا نكثوا في شركهم وتمردوا وطغوا ثم أسلموا، أقاموا الصلاة ثم ارتدوا عن إسلامهم، فهم أئمة للكفر وذوو رياسة وتقدم فيه فجاز قتلهم لأنهم طعنوا العهد وخرجوا من الذمة[2].

وقال عز وجل: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ سورة يونس، الآية: 04. يتجلى الإظهار في مقام الإظهار في الآية الكريمة في قوله تعالى: "بما كانوا يكفرون" بعد وروده مضمراً في قوله تعالى في بداية الآية:"إليه مرجعكم" والعدول عن الإضمار وتكرير إسناد الكفر إليهم غرضه البلاغي تقرير الحكم وتقويته وتغيير النظم

[1]_ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج06، ص184.

*_ اسم الموصول منهم مومئا إلى سبب الحكم المخبر به عنه . وعلى هذا يكون قوله "منهم " بيانا للذين كفروا قصد منه الإحتراس عن أن يتوهم السامع أن هذا وعيد لكفار آخرين. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج06، ص 184.

[2]_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02، ص 144.

للإيذان بكمال استحقاقهم للعذاب، وذلك بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لأنهم عصاة ظلموا أنفسهم فلهم عذاب أليم، وشراب من حميم جزاءً بما كانوا يكفرون [1].

وقال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨﴾ سورة الكهف، الآية: 38. أظهرت كلمة "ربي" في الآية بدلاً من إضمارها بعد قوله تعالى: "لكنا هو الله ربي"*،والإظهار هنا غرضه البلاغي التقرير والتمكين، وذلك لتبيين حقيقة الشرك.ففي ذكره "إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك"[2]

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ سورة الكهف، الآية: 77. عدل الله سبحانه وتعالى عن الإضمار في قوله تعالى: " استطعما أهلها" لتأكيد صفة لؤمهم وشرهم وقال أبو السعود في هذا الالتفات:" ولعل العدول عن استطعامهم على أن يكون صفة للأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع"[3] فلا يعرف ابن السبيل حقه عندهم فورد العدول لترسيخ الصفة فيهم دون غيرهم .[4]

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧﴾ سورة الفرقان، الآية: 17. ففي الآية مقتضى الظاهر أن يقول: " "وما يعبدون من دونه" إلا أنَّه أظهر اسم الله في قوله تعالى: "من دون الله" لتوكيده وفيه إشارة إلى وجوب إسناد العبادة إليه سبحانه وتعالى و"الآية تخبر عن أن الله يوبخ الكفار في القيامة بأن يوفق المعبودين على هذا المعنى ليقع الجواب بالتبري من الذنب فيقع الخزي على الكافرين" [5].

---

[1] _ ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02،ص628. وينظر: الكشاف، الزمخشري، ج02،ص208.

[2] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص522. *_ (لكنا) أصله لكن أنا وقرئ لكنا بحذف الهمزة ثم أدغمت النون لتلاقي النونان وهو ضمير الشأن ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 02، ص 534.

[3] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج03، ص 541.

[4] _ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 02، ص 547.

[5] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص205.

وقال عز وجل: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ سورة العنكبوت، الآية: 54. بدأت الآية بضمير الغائب في قوله تعالى: " يستعجلونك بالعذاب" ثم عدل إلى إظهار الضمير الغائب في قوله " لمحيطة بالكافرين" وكان مقتضى الظاهر أن يقول: " إن جهنم لمحيطة بهم" إلا أن الحال اقتضى إظهار الكفار للدلالة على موجب الإحاطة بهم وأن جهنم محيطة بالكافرين كإحاطة الكفر والمعاصي بهم الآن وهذا رأي البيضاوي إذ يقول:" وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الإحاطة أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم "[1]. والمراد بذلك جنس الكفار.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ سورة سبأ، الآية: 43.عدل عن الإضمار الواضح في قوله تعالى:" إذا تتلى عليهم " إلى الإظهار في قوله:" وقال الذين كفروا" والسر وراء هذا العدول أن في ذكر الكفار تقريرا و تأكيدا على أنهم هم من قالوا كل تلك الأقوال و كلامهم لما يقرأ عليهم القرآن ويسمعون حكمته وبراهينه وكل الأقاويل الباطلة السابقة الذكر في الآية الكريمة فأسند القول إلى فاعل ظاهر يحمل إيحاء أن الله يعلم بكل ما تبدي نفوسهم " فقائل طعن على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأنه يقدح في الأوثان ودين الآباء، وقائل طعن عليه بأن هذا القرآن مفترى أي مصنوع من قبل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ويدعي أنه من عند الله وقائل طعن عليه بأن ما عنده من الرقة واستجلاب النفوس واستمالة الأسماع إنما هو سحر به يخلب ويستدعي تعالى عن أقوالهم وتقدست شريعته عن طعنهم "[2].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾سورة ص، الآية: 04. وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: "وقال الكافرون " "وكان مقتضى الظاهر أن يقال:" وقالوا هذا ساحر كذاب" ، وهذا لقصد وصفهم بأنهم كافرون

[1] ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج04، ص 196.

[2] ــ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج04، ص 424.

بربهم مقابلة لما وصموا به النبي ــصلى الله عليه وسلمــ فوصفوا بما هو شتم لهم يجمع ضروبا من الشتم تأصيلا وترفيعا وهو الكفر الذي هو جماع فساد التفكير وفاسد الأعمال"[1].

وقال الله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ﴾سورة الزمر، الآية: 17. في الآية الكريمة إظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: "فبشر عباد" وعدل عن الإتيان بضميرهم بأن يقال: فبشرهم إلى الإظهار باسم العباد مضاف إلى ضمير الله تعالى وبالصلة لزيادة مدحهم بصفتين أخريين هما : صفة عبودية الله أي عبودية التقرب وصفة استماع القول واتباع أحسنه"[2].

وقال الله تعالى في سورة غافر: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ﴾سورة غافر،الآية: 61. أظهر الله سبحانه وتعالى لفظ الناس ومقتضى ظاهرها أن يضمر فيقول:"أكثرهم لا يشكرون" إنما أظهر كلمة الناس لتقريرها وتمكينها للمستمعين أن الله خص الناس بأفضال لا تعد ولا تحصى ولكن أكثر هؤلاء الناس لا يشكرون النعمة فركز الله سباحه وتعالى على الناس ليؤكد وليشد انتباه السامع إليه تحديدا على عدم حمدهم وشركرهم [3]

وقال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ سورة الشورى، الآية: 09. عدل عن الإضمار إلى إظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى:"فالله هو الولي" ليؤكد ويقرر أنه هو الولي وهو القادر على كل شيء وذكر اسمه عز وجل بعد إنكار كل ولي سواه إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه فهو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى.[4]

وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾ سورة الأحقاف، الآية: 07. أظهر لفظ "الذين كفروا "

[1] ــ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 23، ص 209.
[2] ــ المصدر السابق، ج23، ص 365.
[3] ــ ينظر: الكشاف، تفسير الزمخشري، ج04، ص 159.
[4] ــ ينظر: المصدر السابق، ج04، ص 189.

وظاهر الحال يقتضي أن يرد مضمرا فيقول:" قالوا للحق لما جاءهم" وأظهر لما كان المقام بحاجة إلى ذلك لتأكيد كفرهم وقال أبو السعود:" هو عبارة عن الآيات المتلوة ووضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيقتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة" [1]

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾سورة ق، الآية:02. ورد في الآية الكريمة إظهار في مقام الإضمار على خلاف مقتضى الظاهر في قوله تعالى: فقال الكافرون والإظهار هنا إنما ليصفهم بالكفر لأن الذين عجبوا من أن يأتيهم منذر أي رسول من الله وهو من البشر مثلهم ويعجبوا أكثر لما يكون منهم هم أحق بوصفهم بالكفر فأسند الكفر إلى الذين قالوا أي إليهم ليصفهم ويبين لهم أنهم كفارا وذلك لإهانتهم وتحقيرهم وبالتالي هو تفسير للضميرين السابقين[2].

ج ـ التلذذ بذكر المظهر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ سورة الإسراء، الآية:105. ذكر الحق في الآية الكريمة أظهر مرة أخرى بدل الاتيان بضميره وكان مقتضى الظاهر أن يقول: "وبالحق أنزلناه ونزل" وأظهر هنا لأن في ذكره استلذاذ فالحق لفظ شريف يتلذذ المرء بذكره وتكراره ومن قوله تعالى ما أظهر وكرر ذلك قصد التلذذ بذكره.

وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ سورة فاطر، الآية:10.حيث أظهر كلمة العزة بدلاً من إضمارها في التركيب للتلذذ بذكرها.

د ـ التحقير والتنفير والاستهزاء:

وذلك كما في قوله تعالى:﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ سورة الملك، الآية:11. ذكر وأظهر أصحاب السعير في الآية الكريمة بدلا من الإتيان بضميرهم فيقول:

[1] ـ إرشاد العقل السليم، أبو السعود ،ج05،ص 122.

[2] ـ ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج26، ص 279.

"فسحقا لهم" والإظهار هنا بلاغته تنفير السامعين منهم فعندما يسمع المستمعون هذا ينفرون ويحتقرونهم و ذلك لأن " المراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب"[1].

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ سورة الملك، الأية: 20. ذكر الكافرون في الآية في مقام إضمارهم لمرام بلاغية تتلخص في قصد إهانة الكفار بكفرهم واتباعهم سبل الشيطان وقصد تقرير صفة الكفر فيهم كذلك يقول أبو السعود أن في الآية أنها: "اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ماهم فيه من غاية الظلال أي ما هم في زعمهم أنهم محفظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى وأن آلهتهم تحفظهم من بأس الله تعالى إلا في غرور وظلال فاحش من جهة الشيطان"[2].

وقال عز وجل: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة المجادلة، الآية: 19 أظهر اسم الشيطان في الآية الكريمة أكثر من مرة بدلا من إضماره والذكر هنا للتنفير القارئ منه لأن اسمه يذكر في الآية في مواضع الخزي والخسران فالسامع لاسمه يتملكه الخوف من أن يتبعه وينسيه ذكر ربه فيكون من الخاسرين[3].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾سورة الإخلاص، الآية: 01،02 "هو" ضمير شأن أما الله أحد هو الشأن كقولك زيد المنطلق يكون مقتضى الظاهر في الآية الكريمة أن يقول هو الصمد إنما أظهر الاسم لتوكيده وإسناد صفة الصمد إليه عز وجل والمتصفح لأسباب نزول الآية يترآى له سبب الإظهار فيها فقد رصدت الروايات أن السورة نزلت بعد سؤال نفر من أهل الكتاب عن الذات الإلهية وورد الإظهار لوضع السائل موضع المتعلم[4].

[1]_ إرشاد العقل السليم، تفسير أبي السعود، ج05، ص 362.
[2]_ المصدر السابق، ج05، ص 365.
[3]_ ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج04، ص422.
[4]_ ينظر:المصدر السابق، ج04، ص 703.704.

د ــ رفع اللبس والغموض:

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ سورة البقرة، الآية: 282 ذكرت كلمة رجل في التركيب بدلا من إضمارها في الآية لاستبعاد الوقوع في اللبس والغموض ففي ذكرها توضيح شاف وكاف لعملية الشهادة في الإسلام.

وأظهرت "إحداهما " في التركيب في مقام إضمارها لأن النفوس متشوقة إلى سبب شرط امرأتين في الشهادة فأظهر للإعلام عن مراد جعل امرأتين اثنتين في الشهادة " وهذا من أنواع أبرع الفصاحة إذ لو قال رجل لك : أعددت هذه الخشبة أن أدعم بها الحائط لقال السامع ولم تدعم حائطا قائما ؟ فيجب ذكر السبب فيقال: إذا مال ...أعددت هذه الخشبة أن يميل هذا الحائط فأدعمه" [1] فذكرت إحداهما لإزالة اللبس ولتوضيح سبب الشرط في شهادة المرأة.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ سورة آل عمران، الآية: 26 أظهر" الملك" أكثر من مرة في الآية الكريمة، وذلك في مقام إضماره فظاهر الحال يقتضي أن يقول: تؤتيه من تشاء وتنزعه ممن تشاء، إلا أنَّ سياق الحال اقتضى غير ذلك فأظهر لرفع اللبس الذي قد يقع فيه السامع أو القارئ للآية، والملك الثاني والثالث هما جزآن من الملك الأول الذي هو ملك عام وشامل ف" ملك الملك " أي تملك جنس الملك فترف فيه تصرف الملاك فيما يملكون " تؤتي الملك من تشاء" تعطي من تشاء النصيب الذي قسمته له "وتنزع الملك ممن تشاء" النصيب الذي أعطيته له."[2]

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾سورة المائدة، الآية: 46. الآية الكريمة تمهد للاحقتها، ففي إظهار "مصدِّقا لما بين يديه"

[1] ــ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج01، ص 382.

[2] ــ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 322.

في الآية إيحاء إلى أن عيسى ابن مريم " كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام، لأنَّ الإنجيل مواعظ و جوازر والأحكام فيه قليلة"[1] ففي إعادة الذكر تفسير وتبيين للسامع عن سبب نزول الإنجيل وأهمية التمسك بالتوراة "والمعنى وآتيناه الإنجيل ليضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم أهله بما أنزل الله فيه."[2]

وفي قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ سورة يوسف، الآية: 76.أظهر لفظ أخيه بدلا من أن يقول "استخرجها من وعائه" والسر وراء العدول تفادي الوقوع في اللبس فقد يظن القارئ للآية مع الإضمار أن الصواع قد وجد في رحل أحد إخوة يوسف غير بنيامين فأظهرت كلمة أخيه ليتحدد صاحب الرحل الذي أخرج منه الصواع.[3]

وقال الله تعالى في نفس السورة: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة يوسف، الآية: 75. عدل الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة عن إضمار " جزاؤه" والسبب تبيين الحكم وتفسيره لتجنب الغموض " أي جزاء سرقته أخذ ما وجد في رحله فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك: حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه"[4] حيث كان آل يعقوب حكم السارق عندهم أن يسترق سنة.

المطلب الثاني: العدول عن الإظهار إلى الإضمار:

كثيرا ما يكون الأصل في التعبير الإظهار، وقد يعدل عنه إلى الإضمار لدواع بلاغية يقتضيها الحال ويتطلبها المقام كأن يكون القصد التفخيم والتوكيد، حيث يعمد ضمير الشأن الذي يوطد لأمر ذي بال فيهيء النفس لتلقيه بمزيد من العناية والاهتمام لأنَّه" ليس إعلامك الشيء بغتة مثل

[1] _ المصدر السابق، ج 01، ص 564.
[2] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج02، ص 199.
[3] _ ينظر: الكشاف،الزمخشري، ج02، ص 342.
[4] _ المصدر السابق، ج02، ص 341.

إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام"[1] فيزيد الإضمار من فخامة الكلام التي تضهر بعد تفسيره وهو ما لا يمكن تحقيقه بغير هذا العدول. وهو ما سنحاول استجلاءه فيما يلي:

قال الله تعالى:﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾سورةالحج، الآية: 46.وردت بداية الآية بطريقة استفهامية غرضها إثارة التعجب عن حال الذين لم يعتبروا نتيجة عمى بصيرتهم، وقلوبهم، وهذا التوصيف يوحي إلى فضاعة صنيعهم وموت عقولهم ، واستحضر ضمير الشأن لفضاعة وخطورة الأمر "ويفيد هذا الوصف وراء التوكيد تعريضاً بالقوم المتحدث عنهم بأنهم لم ينتفعوا بأفئدتهم مع شدّة اتصالها بهم إذ هي قارة في صدورهم"[2]. ففسرت الصفات السابقة الذكر وأضمر الضمير في مقام إضماره لتأكيد الأمر وتقريره.

ومنه قوله تعالىٰ:﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ سورة المؤمنون، الآية: 117. في الآية الكريمة إضمار في مقام إظهار،فمقتضى الظاهر أن يرد الكلام بإظهار "الكافرين" إلا أن المقام الذي تطلب نوعا خاصا من التاكيد في هذا الموضع استلزم الإضمار لتقرير وإثبات حكم استحالة فلاح الكافرين[3] والعدول في الآية "يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل: إنَّ الكافرين لا يفلحون، لم يفد ذلك، ولم يكن ذلك كذلك إلا لأنك تعلمه إيّاه من بعد تقدمة وتنبيه أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطّد، ثمّ بيّن ولوّح ثمّ صرّح. ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق."[4] ويتكرر هذا النوع من الإضمار في الآيات التي يراد منها تقرير الأحكام وتأكيدها.

وقد يضمر الاسم في الكلام لعلم القارئ به: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ سورة القدر الآية: 01. أضمر "القرآن" تركيب الآية الكريمة فمقتضى الظاهر يقتضي القول: "إنّا أنزلنا القرآن". والمضمر معروف لدى القارئ ولا يحتاج إلى إظهاره كما أن في هذا العدول

[1] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 102.

[2] _التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،ج17، ص290.

[3] _ ينظر: تلوين الخطاب في القرآن الكريم، طه رظوان طه رضوان، دار الصحابة للتراث، مصر،ط01، 2007،ص 117

[4] _ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص102.

تفخيما للمضمر باعتباره راسخا ومعلوما في أذهان المسامعين.[1] إضمار المعلوم من سنن العرب في كلامهم لما يحمله هذا الأخير من الأثر الأسلوبي، ويكثر هذا الأسلوب في قصص الغزل كقول الشاعر:

أَبَتِ الوِصَالَ مَخَافَةَ الرُّقَبَاءِ وَأَتَتْكَ تَحْتَ مَدَارِعِ الظَّلْمَاءِ[2].

لم يظهر الشاعر المتغزل بها لتمام علم القارئ أو السامع بها.

وقال الله تعالى في هذا النسق لإثارة التشويق والتفخيم في نفس السامع: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ سورة الاخلاص الآية، 01. ورد ضمير الشان في طليعة جملة مقول القول، والأصل يقتضي ورود التركيب دونه ، وقد كان اهذا العدول الأثر الواضح في التأثير وجلب النفوس والاهتمام و " السر في تصديرها به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أوّل الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن"[3] إضافة إلى إضفاء عنصر التقرير والتأكيد في التركيب.

[1] _ ينظر التحرير والتنوير: ج30، ص453.

[2] _ ديوان صفي الدين الحلي، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر.بيروت، ط01، 1974،ص07.

[3] _ روح المعاني ،الألوسي، ج30، ص269.

المبحث الخامس: التضمين

يحفل الأسلوب القرآني بظاهرة التضمين التي نالت عناية فائقة من طرف النحويين والبلاغيين لما لها من أثر بالغ في التنويع الأسلوبي في الكلام حروف الجر والأفعال، وهو "مفتاح من مفاتيح هذه اللغة الشريفة وسر من أسرارها يفتر عن بديعة ويقضي إلى لطيفة من طريف ما استودعته هذه اللغة، لأنَّه أذهب في الإيجاز وأجمع لخصائص الصنعة وفيه من الإيماء والتلويح ما ليس في المكاشفة والتصريح،وذلك أحلى وأعذب"[1]. لما له من طاقة خلاقة في إخراج الكلام من هيئة إلى هيئة مغايرة عن طريق تعلق حرف يتعدى به إلى معان جديدة " فيكسبه نبلاً ويمنحه فضلا ويوجب له شرفا تطرب له النفوس وتجعل له مزية عند المخاطبين"[2]

والتضمين من سنن العرب في كلامهم، وهو ما رآه القاضي ابن العربي إذ قال: " التضمين في الفعل أقيس وأوسع وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال لما بينها ارتباط واتصال"[3]. وهو بذلك نوع من أنواع التوسع في استعمال لفظ يجعله مؤديا معنى لفظ آخر مناسب فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم"[4].

وتناول علماء اللغة ظاهرة التضمين جاعلين إياها من أهم مباحث علم النحو والبلاغة ومن العربية في مستوياتها الراقية، فقال سيبويه:" ومن كلام العرب أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام"[5]. نستشف من القول أنَّ العرب تضمِّن الأفعال معاني أفعال أخرى بتعديتها بحروف الجر التي يتعدى بها الفعل المقصود في الكلام، وهذا العدول الحاصل على مستوى التركيب من شأنه إضفاء دلالات إضافية على الكلام لا يمكن تحققها إلا من خلال التضمين الذي يحتاج إلى الفعلين أي: الفعل المتلفظ به والفعل المستوحى معناه من التعدية للوصل إلى المعنى الدقيق أو معنى المنشود من طرف المنتج للكلام.

---

[1] _ التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد ندىم فاضل، دار الزمان، المدينة المنورة، ط01، 2005، مج01، ص20.

[2] _ المرجع السابق، ص20.

[3] _ أحكام القرآن، ابن العربي الإشبيلي المالكي،تح:محمد علي البيجاوي، دار المعرفة، بيروت، دط، د ت، ج01، ص117.

[4] _ التضمين في النحو العربي، منيرة محمود الحمة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد05، 1993، ص 441.

[5] _ الكتاب، سيبويه، ج01، ص 51.

وتعرض ابن جني قضية التضمين في كتابه الخصائص مبينا أن الغرض من التضمين حجة المقام إلى معنى الفعلين الأول والثاني فقال: " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف فإن العرب تتسع فتوقع أحد الطرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد وهو ما في معناه"[1]. ومن هنا تظهر ليونة العربية وخصوبتها التي تتيح إمكانيات واسعة للوصل إلى ألطف المعاني وأبدعها بالوسائل والخيارات اللغوية الأنسب لحمل المعاني وما يترتب عن ذلك من لطائف وإشارات هادفة.

ومما جاء قائما على التضمين قوله عز وجل: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ سورة الإنسان،الآية:06 لا ينشدون الشرب للري ، ولا يطلبونه لإطفاء الظمأ لأن أهل الجنة لا يظمأون وإنما ينشدون من الشرب المسرة ويطلبون اللذة والاستمتاع"[2].

ومما فسر على التضمين قوله تباك وتعالى:﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ سورة البقرة، الآية: 14. الأصل في الفعل "خلا" أن يرد متعديا بحرف الباء فيقال خلا بفلان وعدل عن ذلك إلى تعديته بحرف الجر: "إلى" لدلالة الفعل على معنى الفعل " لقوا" فقال ابن عطية الأندلسي:"حيث نزلت " خلوا" في هذا الموضع منزلة ذهبوا وانصرفوا إذ هو فعل معادل لقوله: "لقوا" "[3] واستشهد ابن عطية بقول الفرزدق بأثر شعري حيث قال:"وهو مثل قول الفرزدق:

كَيْفَ تراني قَالبًا مِجَنِّي فقد قتَل اللهُ زياداً عنِّي

لما أنزله منزلة صرف وردَّ" [4]

ويحمل هذا التضمين دلالة الإنهاء أي إذا أنهوا إليهم السخرية وهذا ما ذهب إليه أبو السعود إذ قال: " على أن تعديته بإلى في قوله تعالى " إلى شياطينهم " لتضمنه معنى الإنهاء " [5]

[1] _ الخصائص، ابن جني، ج02، ص302.
[2] _ التضمين النحوي في القرن الكريم، محمد نديم فاضل، ص 22.
[3] _ المحرر الوجيز، بن عطية الأندلسي ، ج01، ص 96.
[4] _ المصدر نفسه، ج01، ص 96.
[5] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص81.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ سورة البقرة، الآية: 48 الفعل "تجزي" في الآية الكريمة تضمن معنى آخر غير المعنى الأصلي له وهو الفعل تقضي أو تغني أي " لا تقضي عنك شيئا من الحقوق "[1] و هو كذلك " بمعنى قوله تعالى " يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله ""[2] والغرض من هذا العدول على ما يبدو أن الفعل يجزي أكثر صرامة من الفعل تقضي أو تغني وهذا ليتماشى مع صرامة يوم الحساب الذي تحاسب فيه كل نفس بما كسبت وتجازى على ذلك الأساس.

وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾.سورة البقرة، الآية 102 الأصل في الفعل "يتلو" أن يتعدى بنفسه وعدل عن الأصل في الآية الكريمة بتعديته بحرف الاستعلاء ليتضمن معنى الافتراء وكفرهم بسليمان وما جاء في التوراة التي تنهى عن الشرك بالله وممارسة السحر فيؤمنون بالكتاب تارة ويكفرون تارة أخرى حيث قال الطاهر بن عاشور:" التلاوة قراءة المكتوب والكتاب وعرض المحفوظ عن ظهر قلب ... وتعديته بحرف الاستعلاء يدل على تضمنه معنى التكذيب أي تتلو تلاوة كذب على ملك سليمان كما يقال تقول على فلان أي قال عليه ما لم يقله وإنما فهم ذلك من حرف "على" "[3].

وعلى ما يبدو أن في استعمال الفعل "تتلو" بدلا من تفتري أو "تكذب" إثبات أن الفاعلين من جماعة الإنس أي شياطين الإنس لأنّ فعل التلاوة لا يصدر إلا عن الإنسان بينما يكون الإيحاء والتصوير من الجن وهو ما يثبته كذلك قوله تعالى " يعلمون الناس السحر"، وكذلك قوله "ولكن الشياطين كفروا".

وفى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦﴾ سورة البقرة، الآية: 226 تعدى الفعل " يؤلون" في الآية الكريمة ب "من"

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص139.
[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج01، ص 485.
[3] _ المصدر السابق ، ج01، ص 629.

والأصل أن يتعدى ب" إلى" للدلالة على البعد والامتناع بسبب الحلف " فقد ضُمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد، فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم مولين أو مقسمين "[1].

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾سورة آل عمران، الآية:73 الأصل أن يتعدى الفعل "تؤمنوا" في الآية الكريمة بحرف الباء إلا أنه عدل إلى تعديته بحرف " اللام" ليتضمن معنى الفعل اعترف وأقرَّ. وقال البيضاوي:" لا تظهروا إيمانكم وجه النهار لمن كان على دينكم لأن رجوعهم أرجى وأهم"[2] وقال الزمخشري:" أي لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم "[3] والمراد هنا زيادة ثبات المسلمين دون الكفار.

وقال الحق تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ سورة النساء، الآية:02 الفعل تأكلوا يتعدى بـ الحرف "مع" إلاَّ أنه تعدى بحرف "إلى " في الآية الكريمة ليتضمن معنى الضم أي: "مضمومة إلى أموالكم"[4] وقال صاحب البحر المحيط: " لا تضموا أموالهم في الأكل إلى أموالكم"[5] لتحقيق غرض النهي عن هذا المنكر إضافة إلى تحقيق الوجازة في الكلام والحسن الذي عمل على تحقيقه هذا التضمين في تركيب الآية.

ومثله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ سورة النساء، الآية: 10. حيث تضمن الفعل "يأكل" معنى "يملأ أو يلقي"[6]

---

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج 01، ص 257.

[2] _ أنوار النزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج02، ص 23.

[3] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 343.

[4] _ المحرر الوجيز،أبو السعود، ج01،ص 642.

[5] _تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج03، ص 16.

[6] _ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج04،ص 255. و إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج01، ص 653.

"أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال: كلوا في بعض بطونكم تعفوا"[1] ووقع الأكل في البطون بدل الأفواه في الآية للدلالة على فظاعة أكل مال اليتيم لتصبح بطونهم المملوءة بالأكل الحرام كالنار التي يأكل بعضها بعضا " ومعنى يأكلون نارا ما يجر إلى النار فكأنه نار في الحقيقة"[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ سورة النساء، الآية: 83. تضمن الفعل أذاعوا معنى أخبروا وأفشوا[3]. الفعل أذاع بمعنى أفشى يتعدى بنفسه فيقال اذاعه، وإذا أريد التوكيد قيل: أذاع به والعدول إلى استعمال الفعل أذاعوا في التركيب للوصول إلى دلالة السرعة في إفشاء سر المسلمين والمعنى "إذ سمعوا خبرا عن سرايا المسلمين من الأمن أي الظفر الذي يوجب أمن المسلمين ... بادروا إلى إذاعته"[4] و يقال: "أذاع السر ، وأذاع به قال:

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب"[5]

وقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة النساء، الآية: 87. الأصل أن يتعدى الفعل يجمع بحرف الجر " في" حيث يكون الجمع في القبور إلا أنه تعدى بالحرف " إلى" أو بمعنى "في" أو "مع" لأن يجمع تضمن معنى يحشر[6] في تركيب الآية الكريمة أي: " ليحشرنكم إليه"[7] يوم قيامهم من القبور للحساب والظاهر

[1] _ الكشاف، الزمخشري، ج01،ص 432

[2] _ الكشاف، الزمخشري، ص 432.

[3] _ كما يجوز أن يكون معنى الفعل أذاع : فعلوا به الإذاعة ، وهو أبلغ من أذاعوه ، ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 482.

[4] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج05، ص141.

[5] _ الكشاف، الزمخشري، ج01، ص 482.

[6] _ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج04، ص 255.

[7] _ الكشاف،الزمخشري،ج01،ص 485.

والظاهر أن الفعل " يجمع " يزيد الوعيد قوة وتقريرا للإيمان بيوم البعث[1] حيث أن الله يجمع الناس في القبور ثم يحشرهم إليه للحساب وقد حقق التضمين المعنيين.

وقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ سورة المائدة، الآية: 08. تعدى الفعل " يجرمنكم" بالحرف "على" لأنه تضمن " يحملنكم" والعدول هاهنا إنما لإفادة معنيين الأول معنى الكسب فيجرمنكم تعني يكسبنكم إذ يقال جرم فلان لنفسه كذا أي كسب فلما كان الجرم بمعنى الكسب شاع إطلاقه بمعنى الكسب والمعنى في الآية لا يكسبنكم الشنآن الاعتداء وفي تعديته بـ: على تحقيق لمعنى لا يحملنكم البغض والشدة على ألا تعدلوا[2].

وفي نفس النسق قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ سورة المائدة،الآية: 54الأصل أن يقال أذلة للمؤمنين فقيل أذلة على المؤمنين لتضمنه معنى العطف والحنو ورأى الزمخشري أن هذا العدول يحمل معنيين اثنين إذ قال:" هلا قيل أعزة على الكافرين ؟ قلت: فيه وجهان أحدهما أن يضَمن الذل معنى الحنو و العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ، والثاني مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل " أشداء على الكفار رحماء بينهم" سورة الفتح 29."[3]

ونلمس نفس العدول في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ سورة الأنعام، الآية: 44 تضمن

[1] _ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج05، ص148.

[2] _ ينظر: المصدر السابق ،ج06، ص 86.

[3] _ الكشاف،الزمخشري، ج01، ص 571.

الفعل " ذكروا" في الآية الكريمة معنى" أمروا " به " فتركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم "[1] إضافة إلى معنى التذكير "أن الله ذكرهم عقابه العظيم بما قدم إليهم من البأساء والضراء" [2]

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ سورة الأنعام، الآية: 88 الأصل أن لا يتعدى الفعل " حبط" بالحرف عن والسر وراء هذا العدول هو تضمن الفعل معنى بطل وزال وتلف وذهب لسوء غلب عليه[3] وقد استعمل الفعل حبط لأنه أقوى وأبلغ في الدلالة على تفضيع أمر الشرك بالله " وأنه لا يغتفر لأحد ولو بلغ من فضائل الأعمال مبلغا عظيما مثل هؤلاء المعدودين المنوه بهم "[4] والإحباط هنا يحقق معنى أن الشرك يلغي كل الأعمال الصالحة.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ سورة الأعراف، الآية: 51 تضمن الفعل "يجحدون" في الآية الكريمة معنى يكفرون وينكرون والعدول في الآية الكريمة لتحقيق معنيين معنى الكفر والتكذيب بآيات الله" أي وكما كانوا منكرين مكذبين بأنها من عند الله تعال إنكارا مستمرا"[5] ومعنى الفعل يجحدون الذي يفيد معنى أن أهل النار كانوا يدركون أنه الحق في صدورهم إلا أنهم جحدوه ولم يؤمنوا لتكبرهم ولانغماسهم في لهو الدنيا والله أعلم بمراده . ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩﴾سورة هود، الآية: 59 وفي قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾سورةالنحل، الآية: 71. الجحود المتضمن معنى الكفر الذي يتعدى بالباء لأن الجحود يتعدى بنفسه[6].

---

[1] _ المصدر السابق،ج01، ص 626.

[2] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج07، ص 229.

[3] _ ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج02، ص 318.

[4] _ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 07، ص 229.

[5] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 348.

[6] _المصدر السابق:ج03، ص268.

وقال عزَّ وجل: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾سورة الأعراف، الآية: 187. تعدى الفعل "حفي" في التركيب بالجار والمجرور " عنها" على جهة التضمين لأن ما كان حفيا بشيء أدركه وكشف عنه أي وكأنك كاشف بحفاوتك عنها[1] أو " كأنك بليغ في السؤال عنها"[2] وفي استعمال الفعل " حفي" دلالة على المبالغة " ومنه إحفاء الشارب ، واحتفاء البقل : استئصاله ، وأحفى في المسألة : إذ أحلف وحفي بفلان وتحفى به : بالغ في البر به وعن مجاهد: استحفيت عنها السؤال حتى علمت"[3].

وقال عز وجل: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾سورة التوبة، الآية: 04 الفعل "أتَّم" لا يتعدى بـ "إلى" فتعديته بـ "إلى " في الآية الكريمة عدول عن الأصل والسر وراء هذا العدول إنما لتضمن الفعل "أتم" معنى "أدوا" أي: "فأدوه إليهم كاملا"[4] كما أن الفعل أتم أفاد معنى وجوب تمام كمال تأدية عهد المشركين.

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾ سورة المؤمنون، الآية:06.05 تضمنت حافظون في الآية الكريمة معنى متمسكون قال أبو السعود: " ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى "إلا على أزواجهم" من نفي الإرسال الذي ينبئ عنه الحفظ أي لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم"[5] وذكر الجمل في الصلة على أزواجهم أربعة وجوه من بينها : "أنه متعلق ب "حافظون" على تضمين معنى ممسكين أو

[1] _ ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي،ج04، ص435

[2] _ الكشاف،الزمخشري، ج02، ص 88

[3] _المصدر السابق،ج02، ص88.

[4] _ إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج02، ص 517.

[5] _ المصدر السابق، ج04، ص 49.

قاصرين و كلاهما يتعدى بـ"على" قال تعالى " أمسك عليك زوجك" سورة الأحزاب، الآية: 37. [1]

وذهب الزمخشري إلى نصبه على الحال حيث قال: " أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها ، فخلف عليها فلان ، ونظيره كان زياد على البصرة أي : واليا عليها ...والمعنى : أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم ...أو تعلق "على " بمحذوف يدل عليه غير ملومين " [2]إلا أننا نرجح قول أبي السعود والجمل في تضمينهم لحافظون معنى ممسكون التي تتعدى بالحرف " على" للوصول إلى دلالة حفظ الجوارح وإمساكها وهو ما وفره التضمين في التركيب.

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ سورة النور، الآية: 63 الأصل أن يتعدى " يخالفون" بنفسه أو بـ"إلى" وتعديته بـ "عن" في الآية الكريمة لتضمنه معنى الصد قال ابن عطية الأندلسي" معناه يقع خلافهم بعد أمره وهذا كما تقول : كان المطر عن ريح وعن هي لما عدا الشيء والفتنة في هذا الموضع للاخبار بالرزايا في الدنيا وبالعذاب الأليم في الآخرة"[3] وقد زاد التضمين المعنى لطفا ودقة وهو مانتلمسه من قول الزمخشري:" يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول ، لأن الغرض ذكر المخالف و المخالف عنه الضمير في أمره"[4] فلو أسقطنا الحرف عن من التركيب لزال جمال معنى الفعل.

قال عز وجل في سورة القصص: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ سورةالقصص، الآية:10. تعدى الفعل "تبدي" بـ"الباء" لتضمنه معنى تصرح قال الزمخشري:" لتصرح به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه

[1] _ ينظر:إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج04، ص50.
[2] _ الكشاف، الزمخشري، ج 03، ص157.
[3] _ المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج04، ص198.
[4] _ الكشاف، الزمخشري، ج03، ص 227.

ولدها"[1] والعدول هنا لإفادة معنى كل من الفعلين " فبدوها بدون الجهر لا برهان لهم عليها ولا دليل فالبدو ما كان بدون قصد ... ثم جاء متعديا بالباء... ليتضمن معنى التصريح والجهر"[2].

وقد أفادت لولا التي تفيد الامتناع لوجود معنى الاحتراز أي: " فلولا ربط الله على قلبها بالصبر لجهرت به وصرحت بل كادت ... ولكن الله ربط لسانها"[3] فكشفت التعدية بالباء عن لطيفة من لطائف اللغة العربية وهي الإحكام والتقوية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ سورة القصص، الآية: 58. تضمن الفعل "بطرت" والذي يعني سوء احتمال الغنى فلا يحفظ حق الله فيه معنى الفعل المتعدي " خسرت" قال الزمخشري: "

وانتصبت معيشتها إما بحذف الجار وإيصال الفعل وإما على الظرف بنفسها كقوله زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف زمان المضاف : أله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم. ومقدم الحاج، وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت"[4]ونرجح التضمين على حذف المضاف أو إسقاط حرف الجر أو النصب على الظرفية فالتضمين " أشيع وأيسر لامتداد معناه في المضمن والمضمن فيه، وهو أحسن من معنى فذّ"[5]

قال عزَّ وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾سورة السجدة، الآية: 05 تضمن الفعل "يدبر" معنى "ينزل" قال الزمخشري:"المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبرا "[6] والسر وراء هذا العدول لإفادة معنى تدبيرالله لأمره بكل إتقان وحكمة منزلا إياه من السماء إلى الأرض وقد ساعد الحرفان "من" و" مع" على حصول معنى الدقة والصرامة في تسيير شؤون الكون.

---

[1] _ المصدر السابق،ج 03، ص351.

[2] _ التضمين النحوي، محمد نديم فاضل، ص 237.

[3] _ التضمين النحوي، محمد نديم فاضل، ص237.

[4] _ الكشاف،الزمخشري، ج03، ص 376.

[5] _ التضمين النحوي،محمد نديم ، ص 239.

[6] _ الكشاف، الزمخشري، ج03، ص 450.

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾ سورة الصافات، الآية: 08.تعدى الفعل "يسمعون" بالحرف "إلى لتضمنه معنى الإصغاء والانتباه وفي تعديته بإلى تحقيق للإصغاء مع الإدراك معا قال الزمخشري: " فإن قلت أي فرق بين " سمعت فلان يتحدث وسمعت إليه يتحدث؟ قلت: المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بـ"إلى" يفيد الإصغاء مع الإدراك"[1] أي لا يسمعون ولا يدركون فصور لنا هذا التضمين عجز الشياطين التام عن سماع وإدراك كلام الملائكة رغم إصغائهم محاولتهم استراق السمع.

وقال الله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة محمد، الآية: 38. تعدى الفعل "يبخل" في الآية الكريمة بـ"عن" والأصل أن يتعدى بالحرف "على" وعلة العدول في هذا الموضع إما لتضمن الفعل " يبخل معنى الإمساك قال أبو حيان: "بخل يتعدى بعلى وعن وكأنما إذا عدي بعن تضمن معنى الإمساك"[2] .وقال الزمخشري: " بخلت عليه وعنه، وكذلك ضننت عليه وعنه"[3] والمقام هنا مقام تصوير للذين يمسكون عن أنفسهم لنصرة الدين والله من جماعة المؤمنين وهو ما حققه حرف الجر عن في التركيب بينما البخل الذي يتعدى بعلى يكون في مواضع أخرى التي يكون فيها منع المال المكروه.

بعد تعرضنا لهذه العينات المختلفة من أصناف العدول التركيبي وما تضمنته من خصائص تركيبية تتجلى على إثرها جملة من المقاصد والدلالات التي عبَّر عنها القرآن الكريم بأسمى بيان وأرقى عبارة. ولعل أهم فكرة يمكن استخلاصها من هذا تتمثل في مرونة اللغة العربية وحيويتها في التعبير عن مختلف انشغالات الفكر ومتطلبات المعنى عبر آلية العدول التي تتكيف تبعا لمقاصد الخطاب. وقد ضرب القرآن الكريم أروع الأمثلة في هذا المجال وجاء بما لا قِبل للعرب به.

[1] _ المصدر السابق،ج04، ص 34.

[2] _ البحر المحيط، ابو حيان، ج08، ص86.

[3] _ الكشاف الزمخشري، ج04، ص 287

الخـــــــاتمة

الخـــاتمــة:

بعد هذه الدراسة في ظاهرة العدول التركيبي، و وقوفنا على أكثر ظواهرها حضورا في القرآن الكريم سجلنا جملة من النتائج التي نوجزها فيما يأتي:

1_ نالت ظاهرة العدول حظها الأوفر من الدراسة في التراث العربي والتي وجدناها مبثوثة في ثنايا كتبهم، فراحوا يلفتون النظر إليها مما يعكس وعيهم التام بالتصرف اللغوي الذي يؤدي إلى معان جديدة يتوصل إليها عبر مجموعة من الآليات التي تصب في بحر العدول .حيث تنبهوا إلى ما يحدثه العدول من مفاجأة تجلب انتباه المتلقي وتركيزه ما يحدث حيوية في النشاط الذهني لديه.

2_حفل تراثنا اللغوي بجملة من المصطلحات التي عبرت عن ظاهرة العدول فورد هذا الأخير بلفظه تارة وبمعناه تارة أخرى في الكتب التراثية التي بلغت ذروتها في التنقيب عن أوجه الفصاحة والإعجاز اللغوي في أساليب القرآن الكريم. فعبر عنه سيبويه بمصطلح التوسع في عديد من المواضع في كتابه وعبر عنه أبو عبيدة بمصطلح المجاز وجعله ابن جني من شجاعة العربية إذ نلفي حضور مصطلح العدول بقوة عند جهابذة الدرس اللغوي قديما.

3_ اهتدى علماء العربية قديما إلى وضع تصوّر علمي دقيق للنظام التركيبي في اللّغة يجمع بين الأصول التي تمثّل قاعدة خلفية للفروع التي تخرج عنها وقيّدوها بجملة من الدواعي والمسوّغات.

4_. ينقسم الكلام في اللغة إلى مستويين: مستوى مثالي وآخر معدول حيث يمثل المستوى الأول_ المثالي_ الكلام في أصله المتواضع عليه في عرف النحاة، بينما يخرج في المستوى الثاني عن الأصول اللغوية إلى فروعها وهذا المستوى يمثل لغة الإبداع ينأى باللغة بعيدا عن طابعها النفعي الذي يمثله المستوى الأول إلى طابع فني تلون فيه الفكرة والفكر معا.

5_ يعتبر مصطلح العدول الأليق بالتعبير عن هذه الظاهرة باعتباره مصطلحا أصيلا كما أننا رأيناه أنسب للتعبير عن الظاهرة في القرآن الكريم وهو ما جعل عبد السلام المسدي يصطفيه عن الانزياح نفسه.

6_ العدول التركيبي فروع حيد بها عن أصلها التركيبي المفترض وهو ضرب من الشجاعة اللغوية لما يحمله من طاقات خلاقة وحيوية لغوية متعددة تعدد الأحوال يتوخى المتكلم من نهجها مراعاة سياق الحال وكل الظروف المحيطة بالحدث الكلامي.

7 _ تشكل الأصول المطردة في النحو العربي مقياسا علميا وضابطا نحويا تفسر من خلاله التحولات الأسلوبية التي تعد خيارات أسلوبية تختار فيها الدوال وطريقة ترتيبها في التركيب .

8 _تبوأت ظاهرة العدول مكانة مميزة في الدراسات اللغوية الحديثة لما لها من ثقل أسلوبي لافت للانتباه في لغة الإبداع الناشئة عن عدول الكلام عن النسق المألوف وهو ما رآه جون كوهن حيث مثلت ظاهرة العدول سمة بارزة في الدراسات الأسلوبية الحديثة.

9_ تأخذ الأركان الإسنادية في التركيب اللغوي في العربية أوضاعا مناسبة للحدث الكلامي، فيكون التقديم مقصودا في الجملة العربية وكذلك هو الأمر بالنسبة للحذف والالتفات والتضمين والإظهار والإضمار، وذلك إنما لتحقيق مقولة "لكل مقام مقال" والتي تعنى بمطابقة الكلام لمقتضى الأحوال والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي.

10_ يأتي العدول عن الأصل كأسلوب إجرائي في الكلام يلجأ إليه لتحقيق مقاصد دلالية وغايات جمالية عن طريق التقديم والتأخير أو الحذف أو الإضمار وما إلى ذلك من عوارض التركيب التي تتجاوب مع متطلبات الحدث الكلامي.

11_ أولى البلاغيون ظاهرة العدول عناية خاصة لما لها من ثقل أسلوبي في عملية الإبداع التي توفّر للمتكلّم مساحة واسعة لتجسيد أفكاره.

12_ لقد مثّل البحث في الإعجاز القرآني رافدا خصبا من روافد الجمع بين النحو والبلاغة بغية الوقوف على أسرار النظم القرآني الذي قام في أساسه على تلوينات العدول، ومخارج الكلام على غير المعتاد من القول.

13_ أخذت ظاهرة العدول في الدّراسات الأسلوبية الحديثة بعدا تفسيريا عميقا حيث ربطت بين الخطاب وصاحبه وما يتميّز به من خصوصيات هي بمثابة سمات فارقة بين الأفراد.

14_ يمثّل العدول عن الأصل الجانب الإبداعي من اللّغة التي تختزن طاقة تعبيرية خلاّقة تتجاوز حدود الإبلاغ إلى فنيات الإمتاع.

15_ تمتاز اللّغة العربية بثراء معجمي كبير، ومرونة ذات خصب وفير تؤهّلها للتجاوب مع كلّ متطلبات الفكر، ونوازع النفس الإنسانية وما يعتريها من أحوال. ولعلّ هذه الخصوصيات التي بوّأتها منزلة سامية هي التي أهّلتها لأن تكون حاملة لأعظم وأقدس نص عرفه البشر _ القرآن الكريم_ الذي حوى كثيرا من المبتكرات الأسلوبية التي تسحر الألباب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، عدنان حسين قاسم، مؤسسة علوم القرآن،الإمارات العربية، ط01، 2008
2. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، سوريا،ط01، 2008.
3. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، القاهرة، ط04، دت.
4. الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء،الاسكندرية،ط01، 1998.
5. أحكام القرآن، ابن العربي الإشبيلي المالكي، تح:محمد علي البيجاوي، دار المعرفة،بيروت،دط،د ت.
6. الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، سورية، ط01، 2001.
7. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، تح: عبد القادر أحمد عطا،مكتبة الرياض الحديث، الرياض، دط،دت.
8. الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي، فؤاد بو علي، علم الكتب الحديث،الأردن،ط02، 2011.
9. أسلوب الوعيد في القرآن الكريم، عبد الحليم حنفي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2000.
10. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 1423هـ 2002م.
11. الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط12، 2003.

12. أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبد الله خضر حمد ، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط01، 2013.

13. الأسلوبية الشعرية ، عشتار داوود ، دار مجدلاوي ، الأردن ،ط01، 2007.

14. الأسلوبية في النقد العربي المعاصر،أيوب جرجيس العطية، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط1، 2014.

15. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان، ط:05، 2006م.

16. الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، دار هومة، الجزائر، دط، .دت.

17. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 1997.

18. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عزالدين بن عبد السلام،تح: رمزي سعد الدين دمشقية،دار النشر الإسلامية، ط01، 1987.

19. الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي،تح: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط03. دت.

20. أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب،القاهرة، ط01، 2006.

21. الأصول اللغوية المرفوضة، علي عبد الله حسن العنبكي، الرضوان للنشر والتوزيع،عمان، ط01، 2014.

22. الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، عالم الكتب،القاهرة،دط،2000.

23. الأصول في النحو، ابن السراج، تح: الحسين الفتيلي مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت ط01، 1426هـ.

24. الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة ط1، 2002.

25. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي،لبنان،ط09، 1973.
26. الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام النحوي والبلاغي، حسن منديل حسن العكيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2009.
27. إعراب القرآن الكريم، محمد الطيب الإبراهيم، دار النفائس، بيروت ،ط05، 2011.
28. إعراب القرآن الكريم، محمد محمود القاضي، دار الصحوة، القاهرة، ط01، 2010.
29. إعراب القرآن، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تح: خالد العلي، دار المعرفة،بيروت، ط02، 2008.
30. الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في لأصول النحو، أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الأنباري، تح:سعيد الأفغاني،دار الفكر العربي،بيروت،ط01، 1971.
31. الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تح: عبد العليم عطية،دار البيروتي،دار الكتاب العربي، القاهرة ،ط2، 2006.
32. الإكسير في علم التفسير تح: عبد القادر حسين، الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي،تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، دط،دت.
33. الألفية في النحو والصرف،بمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، المكتبة الشعبية،بيروت،ط01،دت.
34. الأمالي، أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01،دت.
35. الانزياح الشعري عند المتنبي، أحمد مبارك الخطيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط01، 2009.
36. الانزياح في الشعر العربي المعاصر، ندية حفيز، دار هومة، الجزائر، ط1، 2013.
37. الانزياح من منظور الدراسات الغربية، أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، 1426هـ - 2005م.

38. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار السعادة، القاهرة، ط04، 1961.

39. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، در إحياء التراث العربي، بيروت،دط،دت.

40. الّإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي،تح: حسن الشاذلي، الرياض، السعودية،ط1969،01.

41. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني،تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003.

42. البحر المحيط (في التفسير)، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، عناية :صدقي محمد جميل، دار الفكر،لبنان، دط، دت.

43. بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر، الأردن،ط1، 1980.

44. بدائع التفسير ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، تح: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، مصر، ط1 1427.

45. بدائع التفسير، بن القيم الجوزية،تح: يسري السيد محمد،صالح ابن أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1427،01.

46. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج03، تح: أبو الفضل إبراهيم،دار التراث، القاهرة، ط01، 1391هـ.

47. بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، علي أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 2006م.

48. بلاغة الحذف في التراكيب القرآنية، حسين مصطفى غوانمة، دار حامد، الأردن،ط01، 2015.

49. البلاغة العربية قراءة أخرى ،محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ط01، 1997.

50. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، القاهرة.دط، دت.
51. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، مكتبة النهضة، بغداد،ط1، 2006.
52. البلاغة والأسلوبية ،محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط01، 1994.
53. البلاغة والأصول(دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي)، محمد مشبال، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007.
54. بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء،المغرب، ط01، 1986م.
55. البيان في روائع القرآن، تمام حسان، علم الكتب، مصر، ط01، 1993.
56. البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية،بيروت،ط02، 2003.
57. تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1966.
58. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد مختار ولد أباه، دار الكتب العلمية،بيروت، ط02، 2008.
59. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبيرتو إكو، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط01، 2000.
60. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح : السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.
61. التبصرة والتذكرة، الصميري، تح: فتحي أحمد مصطفى علي الدين، إحياء التراث الإسلامي، ط01، 1983.
62. تحصيل عين الذهب في علم مجازات العرب، يوسف بن سليمان الشنتمري، منشورات مؤسسة العلمية للمطبوعات، بيروت،لبنان،1410هـ - 1990م.

63. تخليص الشواهد وتخليص الفوائد ابن هشام عبد الله بن يوسف، تح: عباس مصطفى الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط:01، 1986م.
64. التراكيب النحوية العربية، رابح بو معزة، دار رسلان، دمشق، دط، 2015، ص12.
65. التركيب اللغوي للأدب، (بحث في فلسفة اللغة والاستيطيقا)، لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر، الرياض، 1409هـ - 1989م.
66. التضمين النحوي في القرآن الكريم محمد نديم فاضل، دار الزمان، المدينة المنورة، 1426هـ ،ط01، 2005.
67. التعريفات، الشريف الجرجاني، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1971.
68. التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ج01، دار المعارف، مصر، دط، 1990.
69. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر، دط، 1984.
70. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت،دط، 1971.
71. التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط01، 1981.
72. التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، دط، 2005.
73. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي،تح: علي محمود مقلد، دار كتب الحياة، لبنان، دط، دت.
74. التلخيص، الخطيب القزويني، تح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط02، 1932.
75. تلوين الخطاب في القرآن الكريم، طه رظوان طه رضوان، دار الصحابة للتراث، مصر،ط01، 2007.

76. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01، 2001.

77. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ط01، 2000. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب ، السعودية،ط01، 1423هـ -2003م.

78. جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، دط، 1984.

79. الجمل، عبد القاهر الجرجاني، تح: علي حيدر، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط،1972.

80. الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، دار بن حزم، بيروت، ط01، 2000.

81. الحذف بين البلاغيين والنحويين، حيدر حسين عبيد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2013. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ج10،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط01، 1998.

82. الحيوان، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح: غسان شديد، دار نويليس، بيروت،ط01، 2005.

83. حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، أحمد سمير معلوف، ،إتحاد الكتاب العرب،سورية، ط01، 1996.

84. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط04، 1997.

85. خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، 1427هـ - 2006م.

86. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط01، 1992.

87. الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط01،2015.

88. الخطابة، ابن سينا، تح: محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية، القاهرة، دط، 1954،

89. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،أحمد بن يوسف السمين الحلبي، ج01، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط،دت.

90. الدرّ المصون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح:أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

91. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسين بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2005.

92. دراسة في جماليات العدول، خيرة حمرة العين، شعرية الانزياح، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، دب، ط01، 2011.

93. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي ، تح: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني، مصر، ط03، 1992.

94. ديوان أبي نواس الحسن بن هاني، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي: دار الكتاب العربي، بيروت، 1953.

95. ديوان السيد الحميري، تحقيق: شاكر هادي شاكر، والسيد محمد تقي الحكيم، دار مكتبة الحياة، بيروت،ط01، 1985.

96. ديوان المعاني، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، مكتبة القدسي، القاهرة، 1352هـ.

97. ديوان جميل،تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط:1413،02هـ - 1986م.

98. ديوان حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، 1411هـ - 1990م.

99. ديوان ذي الإصبع، تح: عبد الوهاب محمد علي، ومحمد نائف الديلمي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1973.

100. ديوان صفي الدين الحلي، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974م.

101. ديوان كثيّر عزّة، تح: إحسان عبّاس، دار الثقافة بيروت، لبنان،ط1، 1391هـ - 1971م.

102. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.

103. الرؤيا الإبداعية ، هاسكل بلوك وهيرمان سالنجر، ترجمة: أسعد حليم، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، 1966م.

104. سميوطيقا الشعر، ميشال ريفاتير، تر: حميد الحمداني، در النجاح الدار البيضاء،ط01، 1993.

105. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل،دار التراث،القاهرة، ط02، 1980.

106. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، تح: ممد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1955.

107. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: ممد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1955.

108. شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:01، 1422هـ - 2001م.

109. شرح الكافية، الرضي محمد بن الحسن الاستربادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1985.

110. شرح المفصل، ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي النحوي)، شرح المفصل، علم الكتب، بيروت، دط، دت.

111. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي،تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط :01، 1412هـ - 1992م.

112. الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: مفيد قمحة،دار الكتب، بيروت،ط02، 1989.

113. الظاهرة القرآنية، ابن نبي مالك، دار الفكر، دمشق، ط04، 1987،ص 191.

114. الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط01، 2006.

115. الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط01، 2006.

116. العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، مصطفى السعدني، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

117. العدول التركيبي في القرآن الكريم مسائله ومناهله، عبد القادر حمراني، نور نشر، ألمانيا، ط01، 2019 .

118. العلاقة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، محمد عبد اللطيف حماسة، دار الفكر العربي، بيروت، دط، دت.

119. علم المعاني في الموروث البلاغي ، حسن الطبل، مكتبة الإيمان، مصر، ط02، 2004.

120. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، مصر، دط،2000.

121. علم المعاني،البيان، البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ،دط،دت.

122. العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي بن حسن ابن رشيق القيرواني، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي،القاهرة ط01، 2000 .

123. العوامل المائة النحوية، عبد القاهر الجرجاني، دار الطلائع، القاهرة، دط،2016.

124. فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، عبد الله طاهر الحذيفي، عالم الكتب الحديث،إربد، ط01، 2009.

125. فضاءات الشعرية، "دراسة في ديوان أمل دنقل"، سامح الرواشدة، المركز القومي للنشر، إربد ،ط1، 1999.

126. الفكر النحوي عند العرب، علي مزهر الياسري، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، ط01، 2003.

127. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط02،دت.

128. فن القول، أمين خولي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، 1996.

129. الفوائد (المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان)، ابن القيم ، تح: السيد محمد بدر الدين العسافي مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1327.

130. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل ، بيروت، دت، دط.

131. القياس في النحو، منى إلياس، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط01، 1985.

132. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت. ط01، 1998.

133. كتاب البديع، أبو العباس عبد الله ابن المعتز،تح: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ط01، 2012 .

134. كتاب الحروف، أبو نصر الفرابي، تح: محسن مهدي، دار المشرق، الأردن،ط03، 2004.

135. كتاب الوحشيات، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تح:عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، القاهرة. ط03،دت.

136. الكتاب بين المعيارية والوصفية، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط01، 1989.

137. الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبيويه ، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط03، 1983.

138. كشاف اصطلاحات الفنون، التهتاوي محمد علي الفاروقي، تح: علي دحدوح، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط01، 1996.

139. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: يوسف حمادي، مكتبة مصر، القاهرة، ط01، 2010.

140. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة ، تح:عبد الجواد خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ط:01، 1410هـ - 1990م.

141. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط02، 1981.

142. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998.

143. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، در صادر، بيروت، ط03، 2004.

144. اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 1995.

145. اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، إربد، ط1، 1995.

146. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط04، 2004.

147. اللغة بين البلاغة والأسلوبية، مصطفى ناصف،، دار الأندلس بيروت، لبنان.دط، دت.

148. اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، دار الفكر ، القاهرة، ط 1، 1989.

149. اللغة والإبداع مبادئ في علم الأسلوب العربي، عياد شكري محمد، ناشيونال بريس، مصر، ط01، 1988.

150. اللغة، فندريس، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، دت، دط.

151. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تح:أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة،مصر،ط02،دت.

152. مجاز القرآن، أبو عبيدة، تح: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، مصر، دط، دت.

153. المحرر الوجيز،أبي أحمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01، 2001.

154. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تح:لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط،دت.

155. المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عياد شكري محمد، عالم المعرفة، الكويت،دط، 1993.

156. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد عبد الرحيم، دار الفكر ، بيروت،ط01، 2005م.

157. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، خليل أحمد عمايرة، دار وائل، عمان،ط01، 2004.

158. مشكل إعراب القرآن، أبو طالب القيسي، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة، القاهرة، ط01، 2009.

159. المصنف، ابن جني، المصنف، تح: إبراهيم مصطفى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، د ت.

160. المطوّل،مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2007.

161. معالم التنزيل، أبو محمد بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997.

162. معاني التراكيب، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط01، 2014.

163. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب،بيروت، ط01، 1988.

164. معاني القرآن، أبو زكريا بن زياء الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1983م.

165. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة مجدي، والمهندس كامل، مكتبة لبنان، بيروت ط02، 1984.

166. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان، دط، دت.

167. المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، محمد يونس علي دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط02، 2007.

168. مغني اللبيب عن كتب الآعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دط،1991.

169. مفاتيح الألسنية، جورج مونان، تعريب الطيب البكوش، منشوراتسعيدان، تونس.1994م.

170. مفاتيح الغيب، الشهير بالتفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي.

171. مفتاح العلوم،السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط02، 1987.

172. مفهوم الإبداع، محمد طه عصر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000.

173. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ناصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط06، 2005.

174. المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، حواس بري، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

175. المقتضب، المبرد محمد بن زيد، ج01،تح:محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، دط، دت.

176. ملحة الإعراب،أبو القاسم بن علي الحريري البصري، دار عمار، عمان، دط، دت.

177. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، مصر، ط05، 1975.

178. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تح: جعفر الكتاني، دار الرشيد، بغداد،ط01، 1989.

179. نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تح:عادل أحمد عبد الموجود،وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ط01، 1992.

180. النحو العربي والمنطق الرياضي، مها خير بك ناصر، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط02، 2014.

181. النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط01، 2000.

182. النحو والنص، يوسف أحمد جاد الرب، دار غريب، القاهرة، دط، 2015.

183. نظرية الأدب، أوستين وارين و وليك ، تر : محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سوريا،دط،1997.

184. نظرية الأصل والفرع، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط01، 2001.

185. نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2013.

186. نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م.

187. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان،دط،دت.

188. النقد والأدب، ستاروبنسكي ، تر: بدر الدين قاسم الرافعية، وزارة الثقافة ، دمشق ،ط01، 1976.

189. النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط03،دت.

190. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: سعد سلمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، مصر،2003م.

191. النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط:01، 1401هـ -1981م.

192. هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث الغربي، بيروت، لبنان، ط06، 1980م.

193. الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، المرصفي، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ط01. 1292هـ.

194. سياق الحال في كتاب سبويه، أسعد خلف العوادي، دار حامد، عمان، ط01، 2011.

الرسائل العلمية:

1. خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير " التحرير والتنوير إبراهيم علي الجعيد، ، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999، 1419هـ .
2. النظم القرآني في سورة البقرة، حسين الدراويش، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1986.

المجلات والدوريات:

1. الأسلوبية اللسانية، أولريش بيوشل، تر: خالد محمود جمعة، مجلة نوافذ، العدد:13، 2000.
2. التضمين في النحو العربي، منيرة محمود الحمة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد05، 1993.
3. الظواهر البلاغية في سورة الملك (دراسة تفسيرية تحليلية)، رياض قاسم، مجلة الجامعة الإسلامية،العدد01، مج: 23، 2015.
4. العدول بين النحو والدراسات الأسلوبية الآليات والغايات، تيقرشة فايزة، مجلة اللغة العربية،العدد19، 2007.
5. العدول عن مقتضى الظاهر في البلاغة العربية، عبد القادر حمراني، الآكادمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، العدد21،جانفي 2019.
6. فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، عبد الله صولة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية الدار البيضاء، عدد:01، 1987م.
7. قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، عز الدين إسماعيل، مجلة فصول، مصر، مج 07، العدد: 04. 03، 1988
8. المصطلح البلاغي القديم، تمام حسان، مجلة فصول، مج 7،ع 3.4.

المراجع الأجنبية:

1. Dectionnaire la rousse , paris France 1979 .
2. Essais de linguistique generale, R jakipson.
3. *Essais de stylistique structurale. Riffaterre Michaël...*
4. *Générative grammar and stylistic analysis , Thorne ; new horizons in linguistics.*
5. sens et expression de nuit, jean Searle ; paris,1979.
6. structure du langage poétique ,Cohen jean , Flammarion 1966

فهرس المحتويات

الفـــــــهرس

مقدمة.....أ،ب، ج،د
مــدخل..... 06

القـــــسم النــظري

العدول التركيبي ماهيته ومظاهره في الدراسات اللغوية.....18
المبحث الأول : مفهوم العدول التركيبي وماهيته.....18
المبحث الثاني : العدول التركيببي في التراث العربي.....34
المبحث الثالث :ظاهرة العدول التركيبي بين التحليل والتفسير.....48
المبحث الرابع:العدول في الدراسات الغوية الحديثة والمعاصرة.....74

القـــــسم التطبيــقي

أصناف العدول التركيبي في القرآن الكريم ودلالاته البلاغية.....91
المبحث الأول: التقديم والتأخير.....91
المبحث الثاني:الحذف.....133
المبحث الثالث: الالتفات..... 193
المبحث الرابع: الإظهار والإضمار.....246
المبحث الخامس: التضمين 259
الخاتمة:.....271
قائمة المصادر والمراجع:..... 275
فهرس المحتويات:.....292

ملخص البحث:

تكتسي ظاهرة العدول التركيبي أهمية بالغة في الدراسات اللغوية قديما وحديثا بفعل ما تتضمّنه من سمات أسلوبية ذات طاقة إبداعية خلاّقة تتجلّى في أساليب تعبيرية ، وأنماط تركيبية تختلف باختلاف المقامات والأحوال. وما تستهدفه من مقاصد ودلالات. وقد تجلّت معالم هذه الظّاهرة الأسلوبية الجامعة بين الإبداع والإمتاع بشكل سافر في الخطاب القرآني الذي حوى كثيرا من مبتكرات هذا الفن الأسلوبي البديع الذي أغرى بالباحثينودفعهم إلى النظر في أصول هذه الظاهرة وفروعها. والتنقيب في خصائصها، وما يترتب عن ذلك من دلالات لاسبيل إليها إلاّ من خلالها. وقد جاءت هذه الدّراسة لتقف على مسالك القول في هذا الشّأن. وتجمع ما أمكن من ألوان العدول التركيبي التي تضمّنها البيان القرآني رابطة إيّاها بمقاصد الخطاب عبر مختلف الآلياتالتركيبية التي قام عليها التعبير.وما أصّله النّحاة والبلاغيون، وما وقف عليه المفسّرون لكتاب الله تعالى من أفكار رائدة في هذا الباب من شأنها أن تثري فصول هذا البحث الناظر في ظاهرة العدول تحليلا وتفسيرا، وتمثيلا واستنتاجا.

Research Summary

The phenomenon of composite displacement "deviation" is very important in the linguistic studies ancient and recent, because of the stylistic creative characteristics and its energy, manifested in expressive styles and patterns of different structures according to different situations. The aims of the purposes and connotations. The features of this stylistic phenomenon that gathered between creativity and enjoyment have been clearly manifested in the Qur'anic discourse, which contains many of the innovations of this wonderful stylistic art, which enticed researchers to consider the origins of this phenomenon and its branches. And exploration in their characteristics and the implications of this can only be through them. This study came to stand on the lines of say in this regard.

And combines the possible colors of the composite displacement "deviation" contained in the Quranic statement linking it to the purposes of speech through the various mechanisms of synthesis on which the expression. And what the origin of the grammarians and rhetorical specialist, and what the interpreters of God's book have focused on the pioneer ideas in

this section will enrich the chapters of this research looking at the phenomenon of composite displacement “deviation” analysis, interpretation, representation and concluding.

Résumé de recherche :

Le phénomène de «déviation» de déplacement composite est très important dans les études linguistiques anciennes et récentes, en raison de ses caractéristiques créatrices stylistiques et de son énergie, qui se manifestent dans des styles expressifs et des motifs de structures différentes selon les situations. Les buts des buts et connotations. Les caractéristiques de ce phénomène stylistique réunissant créativité et plaisir se sont clairement manifestées dans le discours coranique, qui contient de nombreuses innovations de cet art stylistique merveilleux, qui a amené les chercheurs à se pencher sur les origines de ce phénomène et de ses branches. Et l'exploration de leurs caractéristiques et de leurs implications ne peut se faire que par eux. Cette étude est venue dans la ligne de dire à cet égard.

Et combine les couleurs possibles de la «déviation» de déplacement composite contenue dans la déclaration coranique en le reliant aux fins de la parole à travers les divers mécanismes de synthèse sur lesquels l'expression. Et ce que l'origine des grammairiens et spécialistes de la rhétorique et ce que les interprètes du livre de Dieu ont axé sur les idées pionnières de cette section viendra enrichir les chapitres de cette recherche

consacrée au phénomène de la «déviation» du déplacement

.composite. final